نظرية المعرفة

موريس كورنفورث

ترجم من طرف

ناجي العبودي

تقديم

تهتم نظرية المعرفة بالأسئلة المتعلقة بالأفكار وأصلها، انعكاسها على الواقع، والطريقة التي يتم من خلالها تجربة وتطوير هده الأخيرة ودورها في حياة المجتمع. لطالما اهتمت الفلسفة بهده الأسئلة. كانت لنظرية المعرفة الأولوية القصوى في الفلسفة البرجوازية، فقبل التوصل لأي استنتاج كيفما كان يحب علينا التأكد مما نعرفه والاساسات التي بنيت عليها هده الأخيرة. ولكن لطالما تعامل فلاسفة البرجوازية بتجريدية مع المسألة. فاعتبروا ان وجود عقل الفرد هو الامر الوحيد المفروغ منه، تسائلوا عن كيفية تكون المعرفة داخله، ولكن بما ان الانسان وعقله لا يوجدان في الفراغ التام، أصبح هدا السؤال مولدا لأسئلة أخرى عقيمة دون إجابة.

بالمقابل، ترى الماركسية انه يجب علينا دراسة الموضوع المطروح بشكل ملموس، والتساؤل عن مصدر هده الأفكار ودراسة تطورها وتطبيقها في الواقع المادي الموضوعي للمجتمع.

يحاول هدا الكتاب تطبيق اساسات المادية الجدلية والمادية التاريخية لشرح كيفية تكون الوعي الإنساني، تدريجيا بداية بالوعي الانعكاسي، الدي يمكن جميع الكائنات الحية من التفاعل مع محيطها الخارجي وصولا الى الحرية الإنسانية و هدا هو التدرج الدي سنتبعه.

وهكذا، تكون لنظرية المعرفة دلالة إيجابية وسلبية في نفس الوقت، فهي تمكننا من اختبار افكارنا وتطويرها واستعمالها كأداة لتطوير الإنسانية، ولكنها بالمقابل تجعلنا نتخلص من المثالية والغموض المتعلق بالعقل البشري.

موريس كورنفورث

لندن، ماي ىيلآو

الفصل الأول

الطبيعة وأصل العقل

العقل والجسد

العقل جزء لا يتجزأ من الجسد. فالوظائف العقلية هي وضائف الدماغ، وهو العضو الأكثر تعقيدا بالنسبة للكائنات الحية في علاقتها بالعالم الخارجي. ان اول أنواع الوعي هو الوعي الحسي، والتي بدورها نتيجة لتطور ردود الفعل المشروطة.

يمكن اعتبار الاحاسيس بالنسبة للكائنات الحية بمثابة نضام الإشارات المتعلقة بالعالم الخارجي. ولقد طور الانسان نضام اخر وهو الكلام والدي يؤدي وضيفة مجردة وعامة وهي مصدر النشاط العقلي المتطور (الغريب للبشر).

المادة والعقل

تتعارض النضرة المادية للعقل مع نضيرتها المثالية.

بالنسبة للمثالية، مهما بلغت شدة ارتباط العقل بالجسد، فهدا الأخير منفصل تماما عن العقل. بالنسبة للمثالية يتمثل دور العقل في تحريك الجسد وتوظيف الأعضاء الحيوية لتلقي إشارات من العالم الخارجي والتصرف بناء عليها، ولكن وجوده لا يعتمد على وجود الجسد. علاوة على دلك، تعتبر المثالية انه بالرغم من اعتماد العقل على الجسد في بعض الوظائف الا انه لا يحتاجه في اغلب الأحيان، فمثلا يعتمد العقل على الجسد في الأنشطة الحسية، ولكن في الأنشطة الأكثر سموا كتلك الفكرية او الروحية.

و هدا التصور ضارب في القدم، ولدلك امن بعض الناس قديما بكون الروح نوع من البخار الخفيف، و هدا هو المعنى الأصلي لكلمة الروح التي توجد داخل الجسد، ولكنها قادرة على الخروج منه واختبار وجودها المستقل. مثلا كان يعتقد بخروج الروح اتناء النوم عن طريق النوم. او انه يمكن للروح الخطأ ان تدخل الجسم الخطأ. فمثلا كان يعتقد البعض ان الحمقى او مرضى الصرع هم اشخاص سيطرت

عليهم الأرواح الشريرة. ونتيجة لهدا التصور البدائي ظهرت فكرة خلود الروح بعد الموت ووجودها حتى قبل الولادة.

والنظريات المثالية المتعلقة بالعقل ما هي الا تحسين وتنقيح لهده الأفكار.

ومن بين هده النظريات تلك التي تعتبر ان العقل والجسم هما مادتان مختلفتان تماما، احداهما ذات أساس مادي والأخرى ذات أساس معنوي روحي تمتد الأولى في المكان ولها وزن وكتلة اما الثانية تفكر، تتمنى وتكتسب المعرفة. ولا زالت وجهة النضر منتشرة بشكل كبير داخل العديد من الاوساط حيت يتم اعتبار ان خصائص الفكر والإحساس مختلفة تماما عن خصائص المادة وانه مهما اقترن فكرنا بحالتنا الفيزيائية فالفكر مستقل عن الجسم والمادة.

تعتبر المثالية أيضا ان الفكر، الاحاسيس وما الى دلك ليست بأي شكل من الاشكال نتيجة تدرج او تسلسل مادي أي انه لا يصح ولا يتسنى لنا

فهم هده الاحاسيس الا عن طريق فهم طريقة عمل الدماغ الدي تسيره قوى خارجية لا مادية.

وعلى شدة انتشارها، توجد وجهة النضر المادية والتي تعتبر ان جميع الوظائف العقلية تعتمد بالأساس على الأعضاء الحيوية المرتبطة بها ولا يمكن ممارستها دون هده الأخيرة، أي ان جميع الأنشطة الفكرية ليست منفصلة عن المادة، فالعقل بحد داته أسمى تعبير عن المادة. والمادية الحديثة، والتي تسلحت بنتائج الدراسات والبحوث العلمية المرتبطة بأشكال الحياة العضوية وبنظرية التطور، مما جعلها قادرة على إعطاء جواب قاطع للتصور المتالي للعقل. فالعقل نتيجة لتطور الحياة البشرية. فالكائنات الحية التي بلغ جهازها العصبي مستوى معين من التطور، كما هو الحال عند الحيوانات، تمكنوا من تكوين مستويات من الوعي وبمرور مدة من التطور يصل هدا الوعي لمستوى الفكر، أي وضائف العقل البشري من ابسطها لأعقدها، ما هي الا وضائف جسدية ومادية، والعقل نتيجة للمادة في اعلى مستويات

تنظيمها وتعقيدها. ما ان تم التأكيد على هده الفكرة حتى تتلاشى وتنتهي الفكرة التي تعتبر ان الجسد منفصل عن العقل او الروح او ان هده الأخيرة قادرة على مغادرته. عقل بدون جسد هي فكرة عبثية. فالعقل لا يوجد بانفصال وتجريد عن الجسد.

ان هدا الاعتبار لا يعني بتاتا نفي وجود العقل البشري ووجود عمليات معقدة داخله، من الماكد ان العقل والفكر والاحاسيس هي أشياء حقيقية. فالمادية لا تنفي وجود العقل البشري، بل تنفي وجود العقل او عمله بشكل منفصل عن الجسد والمادة. مثلا عندما نتحدث عن العقل، يعتبر علماء الدين واللاهوت والفلاسفة ان العقل منفصل عن الجسد وله خصائص مختلفة تماما، ولكن لا يتم قصدها في الحياة العملية.

لنفترض مثلا ان يتم سؤالك: بما تفكر؟ أي بمعنى اخر مادا تفعل؟ أي ان هدا السؤال لا يفترض بتاتا وجود شيء مستقل او منفصل اسمه العقل.

كدلك جملة (يجب عليك تطوير عقلك) او (ان عقلك نشيط) هي ملاحظات تشير الى أشياء عادة ما نفعلها في حياتنا اليومية. او ادا تعرضت لحادثة على مستوى الراس هناك احتمالية ان تتأثر وظائفك الدماغية لفترة معينة، عندئذ لا تسري تلك الملاحظات التي ذكرناها لان الأداة التي تمكننا من القيام بهده الوظائف تعرضت للأذى.

يتوفر الانسان على العقل، لدلك فان كونه يفكر، يتمنى ويحلل هي أنشطة مرتبطة بوجوده الفيزيائي المادي وبجسم غاية في التنظيم، معتمدة على عمل الأعضاء الحيوية. فعند وجود جسد معين ذات تنظيم معين وظروف مادية معينة، تظهر هده الأنشطة، وتتوقف بتوقف وضائف الجسد، فالعقل أسمى تعبير للمادة.

لخص ستالين المسألة فيما يلي:

الفكر هو نتيجة للمادة، والتي بلغت درجة معينة من الكمال من خلال تطورها، خاصة الدماغ والدي هو أداة التفكير، ولدلك لا يمكننا فصل الفكر عن المادة.

الوعي والجهاز العصبي

ان الاجسام العضوية هي الاجسام الوحيدة القادرة على التفكير والإحساس. ان ضهور العقل مرتبط بالأساس بتطور الجهاز العصبي المركزي عند بعض الكائنات الحية.

عندما طورت الأجسام الحية الجهاز العصبي، وعندما تطور الدماغ من الجهاز العصبي المركزي، ظهرت الوظائف الذهنية الأولية، التي تركز على الإحساس، إلى الوجود. ومع زيادة تطور الدماغ - القشرة الدماغية ومراكزها العليا، والتي نجدها في الإنسان - ظهرت الوظائف الذهنية العليا، وظائف الفكر. والدماغ هو عضو الفكر. والتفكير هو وظيفة يؤديها الدماغ.

قد يقوم بعض الأشخاص بأنكار هده الحقائق المثبتة. ومع ذلك، هناك معتقدات منتشرة على نطاق واسع تتعارض مع كل

. هذا، على سبيل المثال، الإيمان بالبقاء الشخصي بعد

الموت. أولئك الذين يحملون هذا الاعتقاد عادة ما يفترضون انه ببلوغ الوجود الواعي في المستقبل بعد الموت سوف تصبح الكثير من الأشياء أكثر وضوحا بالنسبة لنا مما هي عليه الآن. بعبارة أخرى إنهم يعتقدون أن عقولنا لا يمكن أن تبلغ كامل امكانياتها إلا بعد موتنا. إنهم يعتقدون أنه نظرًا لأن الدماغ هو جهاز الفكر، فإن فكرنا لن يصل إلى الكمال إلا عندما لا يتبقى لدينا عقل نفكر فيه.

يعتبر لينين انه بغية التوصل لتحليل وتفسير طريقة عمل العقل، أصله وطبيعته وجب دراسة الركيزة المادية للظواهر العقلية والعمليات العصبية. أسس هذه الدراسة هي عمل عالم وظائف الأعضاء العظيم، إيفان بافلوف، فما هي إذن الاستنتاجات الرئيسية لعمل بافلوف التي لها تأثير على هذه المشكلة؟

الكائنات الحية والبيئة

قبل بافلوف، كان يعتقد ان وضيفة الجهاز العصبي تقتصر على أداء الوظيفة الأساسية المتمثلة في تنسيق عمل مختلف أجزاء الكائن

الحي، حيت أطلق السير تشارلز شيرينغتون على هده العملية اسم "العمل التكاملي للجهاز العصبي المركزي. بالمقابل شدد بافلوف على ضرورة دراسة جزء اخر هائل من فيزيولوجية الجهاز العصبي.

باعتباره جهاز يصل بين الكائن الحي ومحيطه الخارجي وليس بين الأعضاء المختلفة داخل جسم الكائن الحي كما كان يعتقد آنذاك.

ان وضيفة الجهاز العصبي المركزي ليست ببساطة تنظيم عمل أعضاء وأجزاء الحسم الحي والعلاقة بينها. بل تنظيم عمل الجسم الحي كوحدة متكاملة في علاقته مع محيطه.

يبني الحيوان انطلاقا من عمل جهازه العصبي، علاقات شديدة التعقيد مع محيطه الخارجي، والتي تمكنه من العيش في هدا الأخير والحصول على احتياجاته والتفاعل مع محيطه بشكل معين. ونتيجة لدلك فالحيوان يمتلك وعي بمحيطه ويتفاعل معه ويتصرف بناء على الإشارات الدي يتلقاها من هدا المحيط عن طريق أعضائه الحيوية وأجزاء جسمه، والعضو الدي يتحكم بكامل هذه العملية هو الدماغ.

ان ابسط نوع من رد الفعل، حيث يثير التحفيز الذي يؤثر على الأعضاء الحسية استجابة عضلية، مشكلا ارتباطًا بين الحيوان وبيئته وردة فعل مماثلة.

ما يصف العلاقة الحيوية بين الحيوان ومحيطه. اتبت بافلوف ان العلاقة الحيوية بين الكائن الحي مع محيطه تبدأ انطلاقا من ردود فعل ثابتة ومستمرة وهي ما اسماها "ردود الفعل اللا مشروطة' 'ويتطور عن طريق بناء ارتباطات مؤقتة ومتنوعة والتي تسمى "ردود الفعل المشروطة".

ومن اجل دراسة تطور ردود الفعل، قام بافلوف بالاعتماد على معطى علمي معروف، وهو إطلاق الحيوانات للعاب عن طريق الغدد اللعابية للاستعداد للأكل، ولدلك يقوم الكلب بأطلاق كمية معينة من اللعاب عند تزويده بالطعام، و هدا متال على ردود الفعل اللا مشروطة، قام بافلوف بالتوصل لمعطى انه ادا تم دق جرس كلما تم تزويد الكلب بالطعام، ومع مرور الوقت سيصبح دق الجرس كافيا لكي يقوم الكلب

بأطلاق اللعاب. و هدا ما اسماه رد الفعل اللا مشروط، حيت أصبح صوت الجرس مرتبطا بالطعام عند الكلب حتى ادا لم يتم تقديم الطعام بعد.

بينما تشكل ردود الفعل اللا مشروطة جزء من ارت الكائن الحي الطبيعي، فان ردود الفعل الغير مشروطة يتعرف عليها الكائن الحي قيد حياته، ما يجعلها قابلة للتطوير او التغيير. فادا توقفنا عن تقديم الطعام بعد سماع صوت الجرس، سيتوقف الكلب عن التفاعل مع صوت الجرس لأنه لم يعد مرتبطا بالطعام، او يمكن تعليمه التفاعل مع نوع معين من أصوات الجرس الخ.....

يمكن إيجاد الاليات المتعلقة بردود الفعل داخل الدماغ، في الروابط الموجودة بين المراكز الحسية والحركية للدماغ. المراكز الحسية متميزة عن المراكز الحركية، وظيفة الأولى تتمثل في تلقي الإشارات والأخيرة في ارسالها. إنهم متصلون بطريقة تجعل انه عندما تأتي رسالة من الأعضاء إلى المراكز الحسية، وتنتقل عبر المراكز الحركية، والتي ترسل

بعد ذلك رسالة إلى العضلات، الغدد، إلخ. بحيث يتم تقديم استجابة مناسبة لحافز معين.

فردود الفعل الغير مشروطة مبنية على علاقة ثابتة ومستمرة بين الأعضاء والمراكز الحسية. وردود الفعل المشروطة مبنية على علاقات مؤقتة ومشروطة بين الأعضاء والمراكز الحسية قيد حياة الحيوانات. فالعلاقة بين الأعضاء والمراكز الحسية هي العلاقة بين الحيوان ومحيطه الخارجي، بحيث ان دور هده العلاقات هو ربط الحيوان بعالمه الخارجي.

وبالتالي، فإن اتصال الطعام واللعاب غير المشروط داخل دماغ الكلب يربط الكلب بمحيطه بطريقة تجعل الكلب يستعد لتناوله وهضمه عند تقديم الطعام. ويربط اتصال الجرس واللعاب المشروط داخل دماغ الكلب بمحيطه بطريقة تجعل الكلب يستعد مرة أخرى لتناول الطعام عندما يدق الجرس، والذي تعلم الكلب ربطه بالطعام.

يعيش الحيوان فقط عن طريق ارتباطه بمحيطه، أي من خلال روابطه الخارجية يتم إنشاؤها من خلال الروابط الداخلية داخل دماغه. أظهر بافلوف أن هذه الروابط للحيوان مع محيطه تتشكل من خلال تطوير وصلات مشروطة من اتصالات غير مشروطة، اي بتطوير ردود فعل مشروطة من ردود أفعال غير مشروطة.

للتلخيص، فان ردود الفعل اللا مشروطة نسبيا دائمة وموروثة بين الحيوان ومحيطه، فمثلا عندما يمر شيء امام العين، ترمش الجفون وهده علاقة لا مشروطة تهدف لحماية العين وهي غير مرتبطة بالظروف المتغيرة التي قد تواجهها، فقد ولد الحيوان بفضل سنوات من التطور.

من ناحية أخرى، فإن الاتصال المشروط هو اتصال مؤقت ومتغير للغاية بين الحيوان وبيئته، والذي يكتسبه في سياق حياته الفردية، والذي يمكن أن يختفي أيضًا. الكلب، على سبيل المثال، سيذهب إلى مكان معين لتناول العشاء. وهذه صلة اكتسبها خلال حياته؛ لقد

أصبح مشروطًا بالبحث عن العشاء في ذلك المكان، وبعبارة أخرى، فقد تعلم البحث عن العشاء هناك. وإذا تغيرت الظروف، فيمكن تغيير مثل هذه الروابط المشروطة بشكل مقابل. يمكن للكلب أن يتعلم البحث عن عشائه في مكان آخر.

أظهر بافلوف أن الجهاز العصبي للحيوانات العليا له وظيفة اكتساب وإنشاء روابط مؤقتة ومتغيرة بين الحيوان ومحيطه، حيث يقوم الحيوان بتكييف ردود أفعاله مع الظروف المختلفة لبيئته، وأيضا، من خلال عملها الخاص على بيئتها، تكيف بيئتها مع متطلبات الحيوان يتم تنفيذ هذه الوظيفة في الدماغ، وبالتالي وصف بافلوف الدماغ بأنه "عضو العلاقات الأكثر تعقيدًا للحيوان

النشاط والوعي والاحساس

شدد بافلوف على ان النشاط العقلي مماثل للنشاط العصبي الأكبر، وان الجوانب المختلفة من النشاط العقلي يجب تفسيرها انطلاقا من المعطيات المحصل عليها من خلال دراسة النشاط العصبي الأعلى. هده

الازدواجية التي تعتبر ان الروح والجسد منفصلان رسخت في ادهاننا فيقول:

بالنسبة للعلماء، هدا الانفصال غير ممكن.

ان النشاط العقلي هو نشاط دماغي، وادا كان الدماغ هو العضو الأكثر تعقيدا في علاقة الحيوان بمحيطه، ثم يجب أن نعتبر النشاط العقلي جزء من النشاط الذي يربط الحيوان نفسه بالعالم الخارجي. أساسه هو تكوين ردود فعل مشروطة.

تبدأ الحياة العقلية عندما تبدأ الأشياء في اتخاذ معنى بالنسبة للحيوان، وهذا يحدث بالتحديد عندما يبدأ الحيوان، نتيجة لتكوين ردود فعل مشروطة، في تعلم ربط شيء بآخر. شيء ما لديه معنى للحيوان عندما يتعلم الحيوان ربط وجودها مع شيء آخر. على سبيل المثال، يتعلم الكلب ربط تحفيز خاص لحاسة الشم مع وجود طعام معين، أو كلب آخر، أو سيده، إلخ، إلخ. يتلقى الحيوان باستمرار عددًا هائلاً من المحفزات من خلال أعضائه الحسية الخارجية

والداخلية، ويتعلم ربط المحفزات المختلفة بأشياء مختلفة. وبالتالي فإن المحفزات المختلفة لا تصبح مجرد محفزات يتم استدعاء استجابة ثابتة لها تلقائيًا، لكنها تشكل بالنسبة للحيوان نظاما لإشارات والعالم الخارجي وعلاقاته الخاصة بالعالم الخارجي، والتي تنتج عنها مجموعة متنوعة من ردود الفعل.

وهكذا يصبح الحيوان على دراية بالأشياء. أن إدراك الأشياء هو في الأساس حالة نشطة، وليس حالة سلبية. إن إدراك الأشياء ليس مجرد .التأثر بها، ولكن التفاعل معها.

يعني الوعي أولاً وقبل كل شيء أن يميز الحيوان، باستخدام أعضائه الحسية، سمات معينة لبيئته عن البيئة الكاملة، ويستجيب لها. على سبيل المثال، تختار الحيوانات طعامها بالرائحة، واللمس، والبصر، وتأكله.

والوعي يعني، ثانيًا، أن يعطي الحيوان معنى لمختلف سمات بيئته، بمعنى أنه يربطهم بأشياء أخرى. على سبيل المثال، تصبح بعض

الاشياء خطيرة نتيجة الاشارات التي ترتبط بها، وما إلى ذلك، فيستجيب الحيوان وفقًا لذلك.

وبالتالي فالوعي النشط بالأشياء رهين بتكوين ردود فعل مشروطة، يعني أن الحيوان يتعلم ربط المحفزات التي يتلقاها بالفعل، ولذا فهي قادرة على تكوين التوقعات والتعلم من خلال الخبرة. بهذه الطريقة يؤدي تكوين ردود الفعل المشروطة إلى ظهور الفرق بين الذاتية والموضوعية. هذا الاختلاف، الذي كان موضوع الكثير من التكهنات والغموض من قبل الفلاسفة، له تفسير طبيعي. فالفرق بين الذاتية والهدف يظهر بمجرد أن تبدأ الحيوانات في إدراك الأشياء. إنه ببساطة الفرق بين الظروف المادية الموجودة وجوانبها التي يعرفها الحيوان والمعنى الذي يربطه بها. وبالتالي، فإن الذاتية بدلاً من الموضوعية، العقلية بدلاً من الوعي الجسدي، بدلاً من الوعي الذي يدركه - كل هذه الاختلافات تنشأ نتيجة لذلك التطور الدي يعرفه النشاط

العصبي الأعلى للحيوانات من خلال بناء ردود فعل مشروطة لعلاقات .أكثر تعقيدًا للحيوان مع العالم الخارجي.

تختلف الذاتية عن الموضوعية، لأن (أ) الحيوان يدرك فقط بعض الأجزاء أو الجوانب وليس محيطه بأكمله، و (ب) قد يكون المعنى الذي يربطه بالأشياء خاطئا - أي أن الأمور قد تصبح مترابطة معا بصورة ذاتية بطرق مختلفة عن الطرق التي ترتبط بها معا بصورة موضوعية، .في الواقع الفعلي

والموضوعي هو قبل الذاتي، لأن (أ) وجود الأشياء شرط للوعي بها بينما الوعي بالأشياء ليس شرطًا لوجودها، و (ب) الأشياء كانت موجودة قبل وقت طويل من ظهور أي وعي بها أو يمكن أن تنشأ من جانب الكائنات الحية.

إذن، نشاط الجهاز العصبي هو نشاط بناء علاقات معقدة ومتغيرة مع العالم الخارجي - ينشأ الوعي. عندما تتكون ردود فعل مشروطة، والتحفيزات التي يبدأ الحيوان في تلقيها والعمل من أجلها كإشارات،

ويتعلم كيفية التعرف على مثل هذه الإشارات وتنظيم سلوكها بشكل يتماشى معها، ثم تظهر خاصية جديدة في الجهاز العصبي للحيوان، وهي الوعي.

الوعي ليس «شيئًا» غامضًا يأتي إلى الوجود، جنبًا إلى جنب مع الحياة المادية عمل الدماغ. بل إن الوظيفة الجديدة هي التي تميز عملية الحياة هذه. تصبح عملية الدماغ عملية واعية نتيجة لعمل الدماغ كـ «عضو العلاقات الأكثر تعقيدًا للحيوان مع العالم الخارجي». الوعي هو الصفة الغريبة لعلاقة للحيوان بالعالم الخارجي المتأثر بعمل الدماغ.

يدرك الحيوان محيطه من خلال المحفزات في مختلف مراكز دماغه والعلاقات داخله. بقدر ما يعيش الحيوان في مثل هذا مع محيطه، فهو واعي ووجوده واعي.

الشكل الأولي للوعي بين الحيوانات هو الوعي الحسي، أو الإحساس. ينشأ هذا عندما، من خلال تكوين ردود أفعال مشروطة، وتحفيزات

مختلفة تكتسب أجهزة الإحساس بها معنى وتصبح إشارات لـ الحيوان.
بالنسبة للمراقب الخارجي، هذه التحفيزات هي ببساطة تعديلات
أعضاء الإحساس التي يستجيب لها الحيوان بطرق محددة. لكن حياة
الحيوان أصبحت بعد ذلك حياة واعية بشكل حسي. عملية الدماغ،
أو بالأحرى، جزء من عملية الدماغ، أصبحت عملية واعية في التي
.تحفز أعضاء الإحساس تصبح أحاسيس

والفرق بين الموضوعي والذاتي نشأ في حياة الحيوان، وتشكل
أحاسيسه المحتوى الفعلي للجانب الذاتي من حياته، في جوانب
أخرى، ومضمون وعيه. كل أحاسيسه لأنه يشير إلى أشياء محددة
وعلاقات مع الأشياء. ومن ثم قال بافلوف إن الأحاسيس هي إشارات
.«إلى» العلاقات الموضوعية للكائن الحي مع العالم الخارجي ". وقال إن
الحيوان يمتلك «نظام إشارة»، أي نظام من إشارات ذاتية.

من خلال اكتساب نظام الإشارة هذا، يكتسب الحيوان بالتالي الخبرة
والقدرة على التعلم من التجربة. هذا هو الشيء الجديد العظيم في

الحياة الذي يظهر مع الوعي الحسي، والذي تطور مع التطور التدريجي لأشكال للحياة الحيوانية. حيت ينتقل الإحساس إلى الإدراك. ويشير مصطلح «الإحساس» إلى الإشارات الخاصة ل الروابط بين الحيوان والعالم الخارجي الناتجة عن التحفيزات المختلفة لأعضاء الحس المختلفة. وبالتالي هناك أحاسيس الضوء أو اللون من العيون، الصوت من الأذنين، الرائحة من الأنف، وهلم جرا. اعتبر العديد من علماء النفس والفلاسفة الإحساس مجرد تلقي سلبي للحوافز من قبل أجهزة الحس؛ لهذا السبب، غالبًا ما يطلقون على الأحاسيس مصطلح «الانطباعات»، مما يعني أن الإحساس كان مجرد دليل على تأثر كائن خارجي بالجهاز الحسي.

على العكس من ذلك، فإن الإحساس هو في الأساس نشاط للدماغ، وهو استجابة نشطة في الأجزاء الحسية من الدماغ لتحفيز الاعضاء الحسية. يصبح التحفيز الذي يتلقاه عضو الإحساس إحساسًا عندما

يمر في هذا النشاط الدماغي، ويصبح إشارة إلى بعض الارتباط بالعالم الخارجي.

يتطور الإحساس إلى إدراك عندما يحدث في هذا النشاط الحسي للدماغ تكامل الاستجابات للعديد من التحفيزات الحسية. يستجيب الحيوان باستمرار للإشارات الواردة من حواسه ويتعرف عليها، ويتعلم ربط الأحاسيس معًا بحيث لتحمل معًا تمثيلًا معقدًا للأشياء المعقدة في العلاقات المعقدة - وهذا ما نسميه «الإدراك»، والدي يختلف عن «الإحساس». من خلال «الإدراك»، نشير إلى الوعي الحسي للأشياء المعقدة في العلاقات المعقدة والتي، في الحيوانات العليا، هي نتاج أحاسيسها. وبالتالي فإن الإدراك هو تطور في استخدام نظام الإشارة للإحساس.

تطور النشاط العقلي للإنسان

وضع بافلوف أسس دراسة النشاط العقلي الأعلى للإنسان - أي الكلام والفكر. تمتلك كل الكائنات، بما في ذلك الإنسان، نظام

إشارات، ونظام إشارات للعلاقات الموضوعية بين الحيوان والعالم الخارجي؛ ومن هنا يستمدون تصوراتهم. ذهب بافلوف للإشارة إلى ذلك، فبالإضافة إلى نظام الإشارة الذي يشترك فيه الإنسان مع الحيوانات، يمتلك الإنسان أيضًا نظامًا آخر، نظام الإشارة، وهو خاص بالإنسان فقط.

وعن وصول الحيوان النامي إلى مرحلة الانسان كتب بافلوف، "كانت إضافة مهمة للغاية إلى آلية النشاط العصبي الأعلى ". مع الحيوان ومحيطه وعلاقته به. بعبارة أخرى، يصبح الحيوان مدركا لمحيطه من خلال الأحاسيس، ويتطور هذا الاحساس إلى إدراك. هذا ينطبق أيضًا على الانسان، حيت اننا ندرك بشكل حسي العالم من حولنا من خلال الأحاسيس والتصورات. "هذا هو النظام الأول للإشارات. وهو مشترك بين الإنسان والحيوانات "، كتب بافلوف. "لكن الكلام يشكل نظاما ثانيا لإشارات الواقع، وهو نظامنا الغريب، وهو إشارة للإشارات الأولى ".

إذن، اعتبر بافلوف الخطاب البشري "نضام إشارة ثانية، تطورت من خلال نشاط الدماغ البشري إضافة إلى نظام الإشارة الأول للأحاسيس. واعتبر أن تطوير نظام الإشارة الثاني هو أساس تنمية كل النشاط العقلي الأعلى للإنسان.

أشار بافلوف إلى الأحاسيس، او الإشارات الأولى للواقع، الذي يمتلكه الإنسان المشترك مع الحيوانات، «كإشارات ملموسة». إنها إشارات لأجسام محددة وللصلات الفورية بأشياء محددة ملموسة.

لنفترض، على سبيل المثال، أنني أبحث عن شيء - طوق على الأرض مثلا، ثم ان احساس بصريا معين هو الإشارة بالنسبة لي إلى أنني وجدت ما أبحت عنه. هذا الإحساس بالذات هو إشارة بالنسبة لي من مكان وجود جسم معين ملموس. من ناحية أخرى، تعمل الكلمات كإشارات في إشارة مختلفة. قال بافلوف إنهم يعملون، ليس كإشارات أو أحاسيس أولى، بل كإشارات لأجسام محددة ملموسة، بل كإشارات «الإشارات الأولى.»

وهكذا، على سبيل المثال، إذا قلت لشخص ما، "من فضلك ساعدني في البحث عن المربط الخاص بي، "تعمل عبارة" المربط "مثل إشارة له ولي عن نوع الإحساس المرتبط مع الشيء الذي نبحث عنه. وبالتأكيد، لن يفهمني وستفشل الكلمات في وظيفة الإشارة في حالته، ما لم تكن الكلمات التي أستخدمها تشير على أنها «إشارات الإشارات الأولى» - أي ما لم تكن مرتبطة بأحاسيس محددة، مع نوع محدد من التجارب.

لأن الكلام ينشأ كنظام لـ "إشارات الإشارات الأولى، "يترتب على ذلك أن ما نقوله يعتمد على نوايانا. ما هي الأحاسيس التي لدينا تعتمد على ما هو خارجي أو العمليات الجسدية الداخلية المثيرة للأحاسيس. تعتمد الأحاسيس لدينا على ما هو موجود بالفعل، هنا والآن. لكن لا يوجد مثل هذا القيد على قدرة استخدام الكلمات. لذلك يترتب على ذلك أن إشارات الخطاب، كما قال بافلوف، "تمثل تجريدًا من الواقع وتسمح بتشكيل تعميمات، والتي تشكل أعلى مستوى لدينا، وتحديداً الإنسان.

لأنها تعمل كـ «إشارات الإشارات الأولى» وليس «كإشارات ملموسة»، فإن الكلمات لا تشير فقط إلى أشياء معينة تجعل وجودها محسوسًا على الفور على مستوى الأحاسيس، ولكن للأشياء بشكل عام التي تنتج أحاسيس من نوع محدد. بالكلمات يشير المتكلم إلى أنواع الأشياء والصلات بالأشياء التي تشير إليها الأحاسيس، وليس فقط لأشياء محددة ملموسة والصلات. ومن ثم تؤدي الكلمات وضيفة تجريدية وتعميمية، لأن الكلام قادر على الإشارة إلى الكائنات بشكل عام وإلى .الروابط العامة بين الكائنات

من هذه الوظيفة التجريدية والتعميمية لنظام الإشارة الثاني، الكلام، ترتبط الحياة العقلية الأعلى بأكملها خاصة بالإنسان، وتكوين المفاهيم وممارسة التفكير.

ينشأ نظام الإشارة الثاني فقط في علاقة لا تنفصل عن الأولى، والتي لا يمكن أن تكون في أي ظرف من الظروف منفصلة. نظامي الإشارة في الدماغ البشري في تفاعل المستمر. لذلك لا يمكن أبدًا اعتبار تطوير

الثانية شيئًا منفصلاً عن الأولى - لا يمكن اعتبار ان فكر الإنسان ينموا بشكل مستقل عن إحساسه، ولا يمكن اعتبار الفكر البشري بمثابة التطور بشكل مستقل عن الظروف الملموسة للإنسان. فبدون إحساس، لا يمكن أن يكون هناك كلام ولا تفكير، لأن الإشارات الثانية تتطور فقط كإشارات الإشارات الأولى. في الوقت نفسه، تطور الأول في الإنسان مشروط أيضًا بنظام الإشارة الثانية.

وان تطور تصورات الإنسان للأشياء مشروط بأفكاره عنها. يتضح هذا، على سبيل المثال، من حقيقة أن تسمية الأشياء عند الأطفال جزء لا غنى عنه من تعليم حواسهم. ولفهم اتصال نظام الإشارة الثاني مع الأول، ووظيفة التجريد والتعميم التي يؤديها نظام الإشارة الثاني، يجب أن نتذكر أنه عند بناء اتصالات مشروطة بالأشياء من خلال الأحاسيس، يتعلم الحيوان بالفعل التفاعل مع وتمييز ما هو مشترك بين الأشياء المختلفة - أي على سبيل المثال، فهي تعترف بالفعل بالعام في الخاص.

على سبيل المثال، يربط الكلب روائح مختلفة بأشياء مختلفة ؛ وهذا يعني أنه يتعرف على نفس الرائحة عندما تحدث في مناسبات مختلفة. بعبارة أخرى، فإنه يتعرف على العام في الخاص. من الواضح أن رائحة عمود الإنارة ورائحة عمود إنارة آخر رائحتان؛ لكن الكلب قادر على التعرف عليهم على أنهم نفس الرائحة ويتعرف انفه على ما هو مشترك بينهما. ما هو موجود في الأحاسيس المتشابهة وهي الواردة من شم أعمدة الإنارة هي إشارة للكلب ان كلاب اخرى قد زارت كل عمود إنارة. عندما يستخدم البشر الكلمات كنظام إشارة ثان، يتم استخدام الكلمات المختلفة لاختيار، والتجريد والتعميم، ما هو شائع بين الأحاسيس المختلفة. كل الكلمات تؤدي هذه الوظيفة لاستخلاص العام من خاص.

لا يعترف الإنسان بالعام في الخاص فقط كما تفعل الحيوانات، لكنه يجردها من الخاص عن طريق العثور على كلمة.

أولاً يجب أن يكون هناك أحاسيس والتعرف على العام في الخاص فيها.

.فقط بعد ذلك يمكن تتبع تجريد العام من الخاص بواسطة الكلمات

ان لتطور نظام الإشارة الثاني في الإنسان من الأول عامل اجتماعي.

ويفسر ذلك بما يلي:

يربط الانسان نفسه بمحيطهم ليس فقط في طرق عمل الحيوانات الأخرى، ولكن، في المجتمع البشري، في مختلف الطرق جديدة. يظهر شيء جديد نوعيًا وبالتالي، شيء جديد في عمل الدماغ البشري. بفضل استخدام يده لصنع أدوات الإنتاج، أنشأ الانسان مجتمعًا بشريًا وغير أسلوب حياته بالكامل من حيوان إلى إنسان. في هذه العملية - في الحياة الاجتماعية يتم تطوير الكلام. تم تطوير نظام الإشارة الثاني للكلام بواسطة الدماغ البشري نتيجة للنشاط الإنتاجي والعلاقات الاجتماعية.

الفصل التأني

العقل كنتيجة وانعكاس للمادة

ان الميزة الأساسية لكل نشاط عقلي تتمثل في تمكين الكائن الحي من تكوين علاقات معقدة ومتنوعة مع محيطه. لدلك فأن الوعي هو انعكاس للعالم المادي بالنسبة للدماغ.

العمليات العقلية هي عمليات الدماغ التي تربط الكائن الحي بمحيطه↑

تؤكد دراسات بافلوف وتثبت صحة وجهة النضر التي تبنتها الماركسية وتطورها. حيت سنقوم في هدا الفصل بمحاولة شرح وتلخيص وجهة النضر هده بالمقارنة مع نضيرتها المثالية.

تعتبر المثالية على ان الوظائف العقلية بإمكانها ان توجد في انفصال عن الجسد.

بالمقابل، ترى الماركسية ان الوظائف العقلية والدماغية هي تطور للمادة أي ان الوظائف العقلية هي وضائف عضوية بالأساس.

تكمن السمة الأساسية للعمليات العقلية في أن الحيوان فيها ومن خلالها يبني باستمرار أكثر العلاقات المعقدة والمتغيرة مع محيطه.

عندما ندرك الأشياء، فإننا نربط أنفسنا بأجسام خارجية من خلال النشاط الإدراكي للدماغ. وعندما نفكر في الأشياء، فنحن نربط أنفسنا موجود في .بأشياء خارجية من خلال النشاط الفكري للدماغ

الانفصال عن المادة، فإن المثالية تعتمد على طريقة الاستبطان من أجل تقديم سرد لوعينا. هذه هي طريقة النظر داخل وعي المرء، إذا جاز التعبير، ومحاولة تحليل ما يوجد هناك.

المثال الابرز لاستخدام الأسلوب الاستبطاني في علم النفس الحديث هو التحليل النفسي. طور التحليل النفسي تقنية خاصة للاستبطان قائمة على حث المريض على الإبلاغ عن أي شيء يتبادر إلى ذهنه، لربط أحلامه، وما إلى ذلك، يدعي المحلل النفسي أنه يكتشف تحت الوعي عالمًا كاملاً من اللاوعي. وهكذا تم تطوير نظرية مفصلة للغاية للأجزاء المختلفة من العقل وعلاقاتهم ووظائفهم - للوعي واللاوعي، والأنا، والأنا الاعلى. هذا ليس سوى امتداد للطريقة التي يستخدمها جميع الفلاسفة وعلماء النفس المثاليين عندما يحاولون تحليل الأجزاء المكونة للعقل البشري، وتصنيفها، وربطها، ومحاولة تتبع تطورها، ومعاملة الوعي طوال الوقت وكأنه عالم منفرد، ومنفصل عن العالم المادي الخارجي.

باعتماد هذه المنهجية، توصل العديد من الفلاسفة المثاليين إلى استنتاج مفاده أن التصورات والأفكار التي تشكل محتوى الوعي هي نوع خاص من الأشياء التي لها وجود عقلي متميز عن الوجود المادي لأشياء خارج وعينا.

بالنسبة لمثل هؤلاء الفلاسفة المثاليين، ما ندركه في حياتنا الواعية ليست أشياء مادية على الإطلاق. نحن نعرف فقط أفكارنا عن الأشياء، وليس «الأشياء في حد ذاتها». وهكذا كتب الفيلسوف الإنجليزي جون لوك: «العقل، بكل أفكاره ومعقولاته، ليس له هدف مباشر آخر سوى أفكاره الخاصة، وهو ما يفعله وحده أو يمكنه التفكير فيه». ومن ثم يستنتج المثاليون أن الله وحده يعلم ما هي خصائص «الأشياء في حد ذاتها»، لأنهم يعتبرون أحاسيسنا وأفكارنا نوعًا من الحاجز داخل وعينا، مما يفصله عن العالم الخارجي. يذهب البعض إلى أبعد من ذلك، ويستنتجون أنه لا يوجد سبب للاعتقاد بوجود أشياء مادية خارجية على الإطلاق: كتب جورج بيركلي: لا يوجد

شيء سوى عقولنا والأحاسيس والأفكار في أذهاننا. "إذا كانت هناك هيئات خارجية، فمن المستحيل أن نعرف ذلك؛ وإذا لم يكن هناك، "فقد يكون لدينا نفس الأسباب للاعتقاد بوجود ما لدينا الآن.

ولكن هناك منهجية أخرى لدراسة وعينا، وهي المنهجية العلمية، التي تدرس الكائنات الحية الواعية في علاقتها النشطة مع محيطها. هذه هي المنهجية التي اعتمدها ماركس وإنجلز، وبافلوف بشكل مستقل، لا تتعامل هذه الطريقة مع الوعي كشيء خاص للتأمل الاستبطاني. على العكس من ذلك، تعتبر أنه، كما عبر ماركس وإنجلز، «الوعي هو الوجود الواعي دائمًا». ولذا فهي لا تدرس الوعي كما لو كان شيئًا مجردا في حياة الكائنات الحية الواعية، ولكنها، على العكس من ذلك، تدرس نشاطها الواعي.

كما قلنا، فإن جوهر النشاط الواعي هو بناء علاقات نشطة معقدة ومتغيرة بين الكائن الحي الواعي ومحيطه، ويقوم الدماغ بهذه الوظيفة. وبالتالي فإن عمليات الوعي هي عمليات نربط بها أنفسنا بالعالم

الخارجي. بعيدًا عن الوقوف في طريق تخوفنا من الأشياء الخارجية، فإن أحاسيسنا وأفكارنا هي الوسيلة التي نربط بها أنفسنا بالعالم الخارجي.

كتب لينين: «الإحساس هو العلاقة المباشرة بين الوعي والعالم الخارجي». «تعتبر سفسطائية الفلسفة المثالية ان الإحساس ليس الصلة بين الوعي والعالم الخارجي، ولكن كسياج وجدار يفصل الوعي «عن العالم الخارجي.

وباعتماد النهج العلمي لطبيعة الوعي، تنكر الماركسية بالتالي النظرية المثالية القائلة بأنه عندما ندرك أو نشعر أو نعتقد أن هناك عمليتين منفصلتين تجريان - العملية المادية للدماغ والعملية العقلية للوعي. تعتبر الماركسية أن هناك عملية واحدة فقط، وهي العملية المادية للدماغ.

والعمليات العقلية هي ببساطة أحد جوانب عمليات عمل الدماغ كعضو في أكثر العلاقات تعقيدًا مع العالم الخارجي.

وهكذا كتب ماركس أن التفكير هو " حياة وعمل الدماغ البشر.

الوعي نتيجة لتطور المادة

ووفقا للمثالية، فإن الظواهر مثل التصورات والمشاعر والأفكار لا يمكن أن تنتج عن عمل أي نظام مادي. ترى المثالية أن نوعية الوعي الغريبة التي تميز العمليات العقلية لا يمكن تفسيرها على أنها ناشئة عن أي مزيج محتمل من الحالات المادية، ولكنها صفة لا تتوافق تمامًا مع جميع صفات الأنظمة المادية. وخلصت المثالية إلى أن مثل هذه النوعية لا يمكن أن تنتمي إلا إلى شيء غير مادي، وهو: العقل.

لكن الماركسية ترى أن الوعي هو نتاج تطور المادة، أي الأجسام الحية ذات الجهاز العصبي المركزي، وأن التصورات والمشاعر والأفكار هي في الواقع أعلى نواتج المادة.

كتب إنجلز: «إذا أثير السؤال: ما هو إذن الفكر والوعي ومن أين أتوا، يصبح من الواضح أنهم نتاج الدماغ البشري، وأن الإنسان نفسه هو نتاج الطبيعة، التي تم تطويرها جنبًا إلى جنب مع بيئته». كتب إنجلز:

«العالم المادي الذي يمكن إدراكه بشكل حسي والذي ننتمي إليه هو الواقع الوحيد». "وعينا وتفكيرنا، مهما كانا يبدوان خارقين، هما نتاج مادة، عضو جسدي، الدماغ. فالمادة ليست نتاجا للعقل، بل العقل نفسه هو اعلى نتاج للطبيعة. "

عندما تطور الحيوانات جهازًا عصبيًا وتبدأ في ربط نفسها ببيئتها من خلال الروابط المشروطة، تصبح العملية العصبية عملية واعية، وعملية إحساس، وفي تفكير الإنسان. ومن ثم فإن الأحاسيس والأفكار هي النواتج الغريبة للعملية العصبية.

كتب لينين عن الاحساس والشعور، «إحدى خصائص المادة قيد «الحركة هي انها تعمل على أعضائنا الحسية وتنتج الإحساس وتابع. يعتمد الإحساس على الدماغ والأعصاب وشبكية العين إلخ، أي بشأن مسألة منظمة بطريقة محددة.... الإحساس، الفكر، الوعي هو النتاج الأعلى للمادة المنظمة بطريقة معينة.

المثالية، التي ترى أن العقل موجود في انفصال عن الجسد وأن التصورات والأفكار لا يمكن أن تكون نتاج أي عملية مادية، ترى أن التصورات والأفكار هي إبداعات للعقل تشغل وعينا بشكل مستقل عن وجود الأشياء المادية الخارجية.

لكن الماركسية ترى أن التصورات والأفكار ليست سوى انعكاسات لأشياء مادية. عمليات الوعي هي عمليات تعكس الواقع المادي الخارجي، ولا يمكن أن يولد أي شيء في الوعي إلا كتعبير عن العالم المادي.

كتب ماركس أن «المثالي ليس سوى العالم المادي الذي يعكسه العقل البشري ويترجم إلى أشكال من الفكر». واعتبر أنه في عملية التفكير، وفي الوعي بشكل عام، يتم إنتاج انعكاس لأجزاء أو جوانب مختلفة من العالم المادي في عملية مادية واحدة معينة، وهي عملية حياة الدماغ. في وعينا، هي أجزاء أو جوانب مختلفة من العالم المادي. يتم إعادة إنتاج الافكار في النشاط الحياتي للدماغ، في أشكال مناسبة لهذا

النشاط. وهكذا، على سبيل المثال، يتم إعادة إنتاج خصائص الأجسام المختلفة التي تمتص الضوء وتعكسه، في النشاط الحسي للدماغ، في شكل أحاسيس اللون. مرة أخرى، العلاقات والسمات المشتركة للأشياء هي، نشاط تفكير الدماغ، المنتج في شكل مفاهيم. ماذا نعني بالضبط بـ «التفكير»، عندما نقول ان الوعي هو انعكاس للواقع المادي؟ هناك أربع سمات عملية التفكير التي يمكن أن نتناولها على وجه الخصوص.

الواقع المادي أساسي وانعكاسه العقلي ثانوي أو مشتق

تنطوي عملية التفكير على علاقة بين عمليتين مادتين منفصلتين، بحيث يتم استنساخ سمات العملية الأولى في السمات المقابلة للعملية الثانية. العملية الأولى أولية، وانعكاسها في الثانية ثانوي أو مشتق. وبالنسبة للعملية الأولى تتطور باستقلالية تامة عن العملية الثانية، في حين أن استنساخ سمات العملية الأولى بالتفكير في العملية الثانية

لا يمكن أن يحدث ما لم تكن تلك السمات موجودة أولا لاستنساخها أو تجسيدها.

هذه السمة الأساسية لأي عملية تفكير تتضح من خلال التفكير في المرآة - على الرغم من أن الانعكاس النشط للواقع الخارجي في الوعي، كما سنرى، يختلف في جوانب مهمة عن الانعكاس السلبي الذي يحدث في المرآة.

وعليه، فعندما تنعكس الأجسام في المرآة، فإن الأجسام الموضوعة أمام المرآة لا تعتمد على انعكاسها في المرآة لوجودها أو لخصائصها؛ ولكن، من ناحية أخرى، فإن الانعكاس في المرآة يعتمد على ما يتم وضعه امام المرآة، ولا ينعكس شيء في المرآة التي لا تنتج بطريقة ما خصائص ما تم تعيينه قبل المرآة. ومن ثم فإن الكائن أولي، وانعكاسه ثانوي أو مشتق.

وبالمثل، فإن وجود الأشياء المادية لا يتوقف على إدراكنا لها؛ ولكن، من ناحية أخرى، لا يوجد شيء في وعينا لا يتكون بطريقة ما أو شيء آخر موجود في العالم المادي.

هناك العديد من خصائص الأشياء التي لا تتكرر في أحاسيسنا؛ ولكن ليس لدينا أي إحساس لا يتطابق، بطريقة أو بأخرى، مع بعض الخصائص المحددة للأشياء. هناك العديد من العلاقات بين الأشياء والسمات المشتركة للأشياء التي لا تتكرر في مفاهيمنا؛ ولكن لا يمكننا تشكيل أي مفهوم في أذهاننا لا يتكاثر، بطريقة أو بأخرى، حتى لو كان بطرق خيالية (كما هو الحال في حالة حورية البحر)، بعض السمات أو بعض العلاقات بين الأشياء. بطبيعة الحال، فإن العديد من المفاهيم تعطي مظهرًا لعدم وجود أساس في انعكاس الواقع المادي، فقط لأنه بمجرد تكوين المفاهيم، يمكن دمجها بحرية بكل أنواع الطرق الرائعة. على سبيل المثال، يعلم الجميع أنه لا يوجد حيوان حقيقي ينعكس في مفهوم حورية البحر، ولكن هذا المفهوم يتشكل من

خلال الجمع بين أفكار الحيوانات الحقيقية، أي البشر وأسماك.

وبالمثل، يمكن للماديين أن يجادلوا باستمرار بأنه لا يوجد شيء حقيقي يتوافق ، والعديد من مفاهيم الأشخاص والقوة والمعرفة وما لا نهاية على أنها انعكاسات للواقع المادي.، لذلك، عندما نقول أن الواقع المادي ينعكس في الوعي، فإننا نعني أن سمات الواقع المادي تتكاثر في الوعي، وأن الواقع المادي أساسي وتكاثره في الوعي ثانوي أو مشتق.

كتب لينين: «وعينا ليس سوى صورة للعالم الخارجي، ومن الواضح أن الصورة لا يمكن أن توجد بدون الشيء المصور، وأن الأخير موجود بشكل مستقل عن الصورة التي يصورها». و كتب ستالين: "المادة أساسية، لأنها مصدر الأحاسيس والأفكار والعقل؛ والعقل ثانوي، مشتق لأنه انعكاس للمسألة. "

ينعكس الواقع المادي في الوعي بالأشكال التي يحددها نشاط الدماغ

يتم اعادة انتاج ما يوجد في شكل معين في العملية الأولية بشكل آخر في عملية التفكير الثانوية. وتتم ترجمة ما يوجد بشكل مستقل في شكل واحد، إذا جاز التعبير، إلى شكل آخر في عملية التفكير. وبالتالي فإن عملية التفكير هي عملية ترجمة أو تحويل من شكل إلى آخر.

ويعتمد شكل التفكير، بالطبع، على طبيعة عملية التفكير.

لدلك عندما نقول، أن الواقع المادي ينعكس في الوعي، فإننا نعني أن سمات العمليات المادية تتكاثر في عملية مادية أخرى، أي في عملية حياة الدماغ بأشكال خاصة، في أشكال التصورات والأفكار.

يتم إنشاء هذه الأشكال خلال العمليات الدماغية، أي خلال تشغيل أنظمة الإشارة الأولى والثانية للدماغ.

وبالتالي، فإن الواقع المادي يتكاثر أو ينعكس في الوعي في أشكال تنشأ عن المتطلبات العملية للكائنات الحية الواعية وتتكيف معها.

أحاسيسنا، على سبيل المثال، هي الانعكاسات الواعية لأدمغتنا من سمات الأشياء المادية.

ومع ذلك، فإن هذه الميزات ليست في حد ذاتها أحاسيس ولكنها تنعكس في الأحاسيس، وأحاسيسنا هي الشكل الذي ندرك به وبالتالي يمكننا التفاعل معها.

وهكذا عندما نرى الألوان، على سبيل المثال، لا نرى أشياء موجودة في أذهاننا فقط كما أكد بعض الفلاسفة ولكننا نرى أشياء موجودة بشكل مستقل، خارج أذهاننا، تنعكس خصائصها في أحاسيسنا الملونة. تنعكس الخصائص الموجودة في الأشياء الحقيقية كخصائص لامتصاص الضوء وانعكاسه في وعينا الإدراكي في شكل أحاسيس وألوان.

ويقول لينين: "إذا كان اللون إحساسًا يعتمد فقط على شبكية العين (كما يجبرك العلم الطبيعي على الاعتراف)، ثم لأشعة الضوئية، التي تسقط على شبكية العين، تنتج إحساسً اللون. هذا يعني أنه خارجنا، بشكل مستقل عنا وعن عقولنا، هناك حركة المادة... التي تؤثر على شبكية العين، ينتج عن الإنسان إحساس لون معين. هذه هي وجهة

نضر العلم الطبيعي. حيت يشرح أحاسيس ألوان مختلفة من خلال موجات الضوء الموجودة خارج شبكية العين البشرية، خارج الإنسان وبشكل مستقل عنه.

ينتج الفكر انعكاسًا أكثر تجريدًا وعمومية للواقع من الإدراك. في أي شكل ينعكس الواقع في أفكارنا ؟ وهو ينعكس في شكل اقتراحات.

قضايا الفكر في الاقتراحات التي، على سبيل المثال، يتم دمج موضوع مع التركيبة . لا يوجد العالم المادي في شكل مزيج من الموضوعات والتراكيب. هذا المزيج هو نتاج نظام الإشارة الثاني، لنشاط التفكير في الدماغ، ومن خلاله ينعكس الواقع في الفكر. هكذا يتم «ترجمة العالم المادي إلى أشكال من الفكر».

على سبيل المثال، لنعتبر أي شيء - قلم رصاص أحمر، على سبيل المثال. عندما نفكر في مثل هذا الشيء، فإننا نعبر عن استنتاجاتنا بشأنه في مقترحات، مثل، «هذا القلم الرصاص أحمر». ينقسم هذا الاقتراح إلى موضوع ومسند، يتم دمجهما في الاقتراح. لكن الكائن ليس

منقسمًا إلى حد كبير في الواقع الملموس. لا ينقسم القلم الأحمر إلى قسمين.

الأجزاء - موضوع، قلم رصاص، ومسند، أحمر. ومع ذلك، من الواضح أنه عندما نقول، «هذا القلم أحمر»، فإن الاقتراح يعكس الواقع الموضوعي لقلم الرصاص، والذي يتم «ترجمته بشكل صحيح «إلى أشكال من الفكر.

يحدث انعكاس الواقع المادي في الوعي من خلال العلاقة النشطة للكائن الحي ومحيطه

التأمل هو دائمًا نتاج العلاقة والتفاعل بين العملية التي يحدث فيها .التفكير والعملية الأولية التي تنعكس. ومصدره هو العملية الأولية وبالتالي، فإن عملية حياة الدماغ تتكاثر أو تنعكس في التصورات والأفكار - الواقع المادي المحيط، وهو مصدر جميع التصورات والأفكار. وهذا الانعكاس يحدث في، وهو نتيجة، تفاعل الكائن الحي الواعي مع بيئته. يتم تنظيم هذا التفاعل من قبل الدماغ، كعضو في

أكثر علاقات الحيوان تعقيدًا ببيئته. ينشط الدماغ باستمرار في

.عملية التفكير، وينتج باستمرار انعكاس الأجسام الخارجية في الوعي

لذلك، يترتب على ذلك أن الطريقة التي ينعكس بها العالم المادي في الوعي تحكمها العلاقة النشطة بين الكائن الحي الواعي واستنتاجاته، من خلال ظروف الكائن، وحالته الداخلية وكذلك علاقاته الخارجية.

عندما نأخذ هذا في الاعتبار، يصبح من الواضح أنه في عملية انعكاس الواقع الخارجي في وعينا، يمكن أن تتغير الأشياء المنعكسة بشكل كبير في الانعكاس. لأن الانعكاس لا يشبه على الإطلاق صورة مرآة مباشرة للكائن، ولكنه نتاج عملية معقدة من التفاعل يكون فيها الدماغ نشطًا باستمرار.

وهذا يفسر الحقيقة المعروفة جيدا وهي أن تصوراتنا للأشياء كثيرا ما تكون مضللة؛ قد تحرف الأشياء، أو حتى (كما هو الحال في بعض الأوهام والهلوسة) تقودنا إلى افتراض وجود أشياء غير موجودة على الإطلاق.

عارض العديد من الفلاسفة وجهة النظر المادية القائلة بأن الوعي يعكس الواقع الخارجي. وإحدى الحجج التي قدموها لمعارضة هذا .الرأي تستند ببساطة إلى طابع تصوراتنا

يقولون «خذ فلسا واحدا». "أنت تعتقد أن القرش المادي له شكل وحجم محددين، وأن هذا الشيء المادي ينعكس في تصوراتك عندما تنظر إليه. جيد جدا. إذا نظرت إلى هذا البنس من مسافة بعيدة، فإنه يبدو صغيرًا، بينما إذا حملته بالقرب من عينك يبدو كبيرًا؛ إذا حملتها بطريقة ما تبدو دائرية، بينما إذا حملتها بطريقة أخرى تبدو إهليلجيه. في الواقع، تتغير تصوراتك عنها، في حين أن الشيء المادي، الذي يُزعم أن تصوراتك عنه هي الصور الموجودة في ذهنك، لا يتغير على الإطلاق. فكيف يمكن القول إذن إن التصورات تعكس الواقع الخارجي، لأنها " تتغير بينما لا تتغير هذه التصورات؟

يمكن الإجابة بسهولة على هذا السؤال، الذي يتم طرحه بثقة على أنه حجة لا يمكن الرد عليها ضد نظرية التفكير. الفلاسفة الذين يجادلون

بهذه الطريقة نسوا ببساطة أن التفكير هو عملية نشطة، مشروطة بالعلاقات الفعلية بين الكائن الحي ومحيطه.

وبالتالي، إذا نظرنا إلى نفس الشيء من مسافات مختلفة أو من زوايا مختلفة، فسينعكس بالطبع بشكل مختلف في تصوراتنا - سيختلف حجمه أو شكله.

مرة أخرى، إذا رأينا شيئًا من خلال وسائط مختلفة، فسيبدو بالطبع مختلفًا - كما هو الحال عندما تبدو عصا مستقيمة مثنية في الماء. مرة أخرى، سيتم تغيير الانعكاس بالضرورة من خلال الحالة الفعلية لأعضائنا الحسية التي تضغط على زاوية عينك، وسترى اثنين من كل شيء ؛ تجعل إحدى اليدين ساخنة والأخرى باردة، وتغرقهما في وعاء من الماء، وسيشعر الماء بالبرودة في يد أكثر من اليد الأخرى.

أخيرًا، نظرًا لأن الإدراك هو نشاط للدماغ، فليس من المستغرب أنه بعد أن انعكست الأشياء ذات مرة في هذا النشاط، يمكن للدماغ إعادة إنتاج انعكاسات لتلك الأشياء في ظل ظروف معينة حتى عندما

لا تكون موجودة - كما هو الحال في الأحلام والأوهام من جميع الأنواع والهلوسة.

أكثر من ذلك في عمليات التفكير يمكن أن نحرف لأنفسنا خصائص الأشياء، وننسب إليها الخصائص التي لا تمتلكها، ونفكر في الأشياء غير الموجودة على الإطلاق. من خلال التفكير، غالبًا ما نصحح الأوهام التي تحدث في الإدراك. لكننا غالبًا ما ننتج أوهامًا جديدة.

انعكاس الواقع في الوعي هو عامل نشط في توجيه ممارسة تغيير الواقع

حقيقة أن التفكير في الوعي هو نتاج نشاط الحياة، ونشاط الكائن الحي فيما يتعلق بمحيطه، يعني أن وعي الإنسان، سواء تصوراته أو أفكاره، يتم تكييفها باستمرار من خلال تجربته ونشاطه الاجتماعي. ما يدركه البشر وما يعتقدونه لا ينشأ عن عملية مباشرة لتكاثر الواقع الخارجي في الإدراك والفكر، ولكنه مشروط بخبرتهم وطريقة حياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية.

لذلك من المعروف أن الاختلافات في خبرة الناس وطريقة حياتهم تحدد الاختلافات فيما يدركونه في الأشياء. تصورات مهندس ماهر يفحص آلة معقدة، على سبيل المثال، ليست مثل تلك الخاصة برجل غير مطلع على مثل هذه الآلات، على الرغم من أن أعضاءها الحسية قد تتأثر بطرق مماثلة تمامًا، فإن تصورات المزارع الذي ينظر إلى مشهد ريفي ليست هي نفسها التي يتأثر بها أحد سكان المدينة، والفنان يدرك نفس المشهد بطرق أخرى. لا تزال الاختلافات التي تنشأ بين مفاهيم الناس وأفكارهم حول الأشياء على أساس الاختلافات في الطبقة والخبرة والتنشئة.

ويظهر ذلك، على سبيل المثال، في الطرق المختلفة للغاية التي يصور بها الرسامون ذوو النظرة المختلفة البشر؛ يصور البعض قوة ونبل البشر، بينما لا يرى البعض الآخر شيئًا من هذا القبيل في مواضيع لوحاتهم. إن انعكاس محيطنا وعلاقاتنا مع محيطنا في وعينا هو عامل نشط للغاية في تحديد نشاطنا لتغيير محيطنا. حقيقة أن الوعي هو

انعكاس لا يعني أن الوعي ليس عاملاً نشطًا في الحياة. الوعي هو في المقام الأول نتاج نشاط الحياة، في المقام الثاني هو منتج يلعب دورًا رئيسيًا في توجيه هذا النشاط بالذات الذي هو منتج له. في الوعي، أنتجت الحياة وسائل توجيه الحياة نحو غايات محددة. في الواقع، يمكننا القول إن هذا هو السبب في أن الوعي كان لا بد أن ينتج في سياق تطور الكائنات الحية.

الوجود الواعي هو نشاط حياتي يحكمه انعكاس الظروف الخارجية في الدماغ. هذا الانعكاس هو، في المقام الأول، نتاج العلاقات النشطة للكائن الحي الواعي مع محيطه؛ ويعمل بدوره بنشاط على تهيئة الظروف لمواصلة تطوير تلك العلاقات من خلال ممارسة الناس في تغيير محيطهم.

وعي الإنسان هو نتاج ممارسته التي تلعب دور توجيه ممارسته. أخيرا، عند النظر في هذا الدور النشط للوعي، ينبغي أن نضع في اعتبارنا أن انعكاس العالم المادي في الوعي لا يتخذ شكل التصورات فقط

أفكار. في وجوده النشط والواعي، يشعر الانسان بالعواطف أيضا. وفقًا للعديد من المثاليين، فإن مصدر المشاعر هو الكائن الروحي الداخلي للإنسان. ولكن بالنسبة للمادية، فإن المشاعر أيضًا هي أنماط انعكاس الواقع المادي في وعي الإنسان. إنها تعكس العلاقة النشطة للإنسان ببيئته. وكونه نشطًا، ومتأثرًا بالأشياء في نشاطه، واتخاذ مواقف محددة تجاه الأشياء والتغييرات المحتملة في الأشياء، يشعر الإنسان بالعواطف تجاه الأشياء ويدفعه المشاعر في نشاطه. في وجوده الواعي، لا يدرك الرجل الأشياء في الإدراك والفكر فحسب، بل يشعر أيضًا بعلاقته النشطة بالأشياء عاطفياً.

الوعي العاطفي هو إذن جزء ضروري من الحياة. يربط الرجل نفسه بالواقع المحيط من خلال إدراكه وتشكيل أفكار عنه، لكن هذه العلاقة يجب أن تكتمل بالمشاعر التي يشعر بها حيال ذلك. وبالمثل، يجب توجيه المشاعر وتوجيهها من خلال التصورات والأفكار. المادة وتأملها ختاما لا يوجد وعي باستثناء الدماغ الحي.

مصدر كل الوعي، هو العالم المادي. يحدث في الوعي انعكاس للعالم المادي في عملية حياة الدماغ، وهذا الانعكاس هو ما يشكل محتوى الوعي.

لذلك، لا يوجد مجالان منفصلان ومتميزان للوجود، مادي وروحي. لا يوجد عالمان، العالمان المادي والروحي. ولكن لا يوجد سوى العالم المادي، فقط العمليات المادية.

في سياق التطور المادي هناك ينشأ انعكاس العمليات المادية في عملية مادية معينة واحدة، وهي عملية حياة الدماغ. وعندما نميز المادة والروحية، المادة والعقل، ما نميزه هو مجرد كائن مادي، حركة في المكان والزمان، عن انعكاسها في عملية حياة الدماغ.

ويقول لينين"، من التأكيد على أن الروح لا توجد بشكل مستقل عن " الجسد، وأن الروح ثانوية، ووظيفة الدماغ، وانعكاس للعالم الخارجي.

وخلص إلى أن "نقيض المادة والعقل له أهمية مطلقة فقط ضمن " حدود مجال محدود للغاية"، "حصريًا ضمن حدود المشكلة الأساسية

لما يجب اعتباره أوليًا وما هو ثانوي. وخارج هذه الحدود، فإن الطابع النسبي لهذا النقيض لا يمكن مجادلته.

الفصل الثالث

العمل الاجتماعي والتفكير الاجتماعي

ينشأ تطور الوظائف العقلية للإنسان من نشاطه الاجتماعي، من الإدراك إلى الفكر. تنبع القدرة على التفكير والتحدث من عملية العمل الاجتماعي، وهي عملية اجتماعية أساسية للإنسان.

الدماغ البشري، القادر وحده على إنتاج الأفكار العامة، والوعي المفاهيمي، والتفكير، هو نتاج تطور طويل لأشكال الحياة. إنه تتويج لعملية التطور في حجم وبنية الدماغ.

القشرة الدماغية خاصة، أكبر بكثير في الإنسان منها في الحيوانات الأخرى، وأصبح جزء كبير من القشرة مهتمًا بشكل خاص بالتحكم في اليدين وأعضاء الكلام.

صحيح أننا فقط في بداية المعرفة العلمية لكيفية عمل الدماغ. ولكن يمكننا أن نؤكد بثقة أن الدماغ هو عضو الفكر، وأن التفكير يقوم به

الدماغ، وأن تطور حجم وبنية الدماغ كان ضروريًا كشرط لقدرتنا على التفكير فيه.

حدث التطور البيولوجي للدماغ إلى عضو قادر على التفكير في مرحلة ما قبل الإنسان من تطور الإنسان، في تلك المرحلة التي كانت خلالها الحيوانات الشبيهة بالقرد تتطور إلى بشر. ربما تم اتخاذ الخطوة الحاسمة في تطور الإنسان عندما تم تبني وضعية منتصبة من قبل هذه الحيوانات. لهذا أطلق سراح اليد، التي تم بها إنجاز النشاط الإنتاجي للإنسان بأكمله. مع استخدام اليد ذهب التطور الجسدي ليد الإنسان، لذلك، تطور الدماغ الذي يتحكم في اليد إلى الدماغ البشري.

امتلك البشر الأوائل بالفعل نفس أنواع العقول مثلنا، تمامًا كما كان لديهم نفس أنواع الأيدي والأقدام والعينين الأنوف والأسنان والبطن وما إلى ذلك. أعضائنا، بما في ذلك أدمغتنا، لا تختلف عن أعضائهم،

على الرغم من أننا تعلمنا في غضون ذلك القيام بأشياء كثيرة لم يفعلوها.

وهكذا بمجرد أن أنتج التطور البيولوجي الإنسان تطور الدماغ واليدين، بدأ الإنسان نوعًا جديدًا من التطور من تلقاء نفسه. تطور الإنسان ليس بيولوجياً، بل ما يتطور في الإنسان هو تنظيمه الاجتماعي وتقنياته وثقافته ومعرفته وإتقانه الواعي لنفسه وطبيعته الخارجية.

ومن ثم فيما يتعلق بالدماغ، فإن ما تطور منذ ظهور الإنسان لأول مرة ليس دماغه، ولكن استخدامه له وتطويره للقدرات الموجودة فيه. لقد طور الإنسان أنشطته المادية وتصوراته وأفكاره؛ ومن خلال القيام بذلك أحدث ثورة مستمرة في ظروف حياته الخاصة وزاد من قدراته وسلطاته.

من التصورات إلى الأفكار ينشأ التفكير من الإحساس والإدراك.

للتفكير في العالم يجب أن ندرك العالم أولاً. لا يمكننا تشكيل أي

مفهوم لا يستند إلى الإدراك. وبشكل عام، لا تتشكل أي أفكار على الإطلاق بدون التصورات التي هي المادة الضرورية التي يجب أن يعمل عليها نشاط التفكير.

لنتخيل رجل معزول منذ الطفولة في مكان ضيق، على سبيل المثال، قد يكون لديه عقل جيد مثل أي شخص آخر، لكن لن يكون لديه الكثير ليفكر فيه، وستكون أفكاره محدودة للغاية. وبالمثل، فإن نطاق أفكار الشعوب البدائية محدود مقارنة بتلك المتحضرة، على الرغم من أن أدمغتهم ليست أدنى بأي حال من الأحوال.

مع تزايد تصوراتنا مع زيادة النشاط والاتصالات الاجتماعية، تتطور أفكارنا.

التفكير، إذن، ينمو من الإدراك. ولا يحدث هذا التطور إلا في العلاقة النشطة مع العالم الخارجي التي ينشئها الرجال لأنفسهم في سياق نشاطهم الاجتماعي العملي. الإدراك نفسه ليس مجرد تلقي

للانطباعات من الأشياء الخارجية. تطور الإحساس في الإدراك هو نتيجة لإقامة علاقات نشطة مع العالم الخارجي.

تعتمد الثروة الفكرية الحقيقية للفرد بالكامل على ثروة علاقاته الحقيقية "، حيت يقول ماركس وإنجلز.

الإدراك البشري أوسع بكثير في نطاقه من أي حيوان آخر. وذلك لأن الإنسان لديه أنشطة ومصالح أوسع، وفي تطوير هذه الأنشطة والمصالح قد أثر على تطور مماثل في حواسه. لأن الإنسان قد طور أنشطته وتصوراته وتمكن من التفكير وتطوير أفكاره - ثم تمكن مرة أخرى من تطويره اكتر واكتر.

كتب إنجلز: «يرى النسر أبعد بكثير من الإنسان، لكن العين البشرية ترى في أشياء أكثر بكثير مما ترى عين النسر». "الكلب لديه حاسة شم أكثر حرصًا عن الإنسان، ولكنه لا يميز الجزء المائة من الروائح التي هي بالنسبة للإنسان سمات محددة لأشياء مختلفة. وقد تم تطوير

حاسة اللمس، التي بالكاد يمتلكها القرد في شكله الأولي الفظ، جنبًا " إلى جنب مع تطور اليد البشرية نفسها، من خلال العمل.

تم إنشاء أساس هذا الإدراك المتزايد والنطاق الأوسع للإنسان من قبل أسلافنا الأوائل، عندما بدأوا في الوقوف منتصبين، والنظر حولهم، واستخدام أيديهم، ليس للتأرجح بين أغصان الأشجار والاستيلاء على الطعام، ولكن لصنع أدوات متنوعة.

مع تطور نشاط الإنسان، طورت صلته بالعالم من حوله. تمتع الإنسان بتصورٍ متزايدً ونطاقًا أوسع من التصورات، ثم نظام الإشارة الثاني للكلام، والذي يمثل الانتقال من التصورات الحسية الملموسة إلى الأفكار المجردة العامة. أدى التفاعل في سياق نشاط الإنسان لنظام الإشارة الثاني مع الأول إلى تطوير أكبر لتصوراته، وبالتالي مرة أخرى إلى مزيد من تطوير الأفكار.

إن قدرة الدماغ البشري على الإدراك ثم التفكير تتحقق وتتطور في النشاط البشري. وتطوير التنظيم الاجتماعي و «صنع تاريخهم

الخاص»، وبذلك تكوين الأفكار والتفكير والتحدث وهي السمات المميزة للعمل البشري.

ما هي السمات المميزة لعمل الإنسان، مقارنة بالطرق التي تؤمن بها الحيوانات الأخرى وسائل الحياة ؟

أولاً، يقوم الانسان بصنع الأدوات، وتغيير الأشياء الطبيعية لاستخدام خصائصها لتحقيق الغايات المرجوة. كتب ماركس: "أداة العمل هي شيء، أو مجموعة من الأشياء، والتي يدخلها العامل بينه وبين نشاط عمله، والتي تعمل كموجه لنشاطه. يستفيد من الخصائص الفيزيائية والكيميائية لبعض المواد من أجل جعل مواد أخرى ملبية لحاجياته.

من ناحية أخرى، يقوم الحيوان بجمع وإعادة ترتيب الأشياء، لكنه لا يحولها ويستخدم خصائصها والقوى الطبيعية الموجودة فيها لإنتاج وسائل حياته والتأثير على التحول الواسع النطاق لمحيطه وفقًا لاحتياجاته الخاصة.

كتب إنجلز: «تتضمن الأداة نشاطًا بشريًا محددًا، ورد فعل الإنسان المتغير على الطبيعة والإنتاج». "الحيوانات بالمعنى الضيق لديها أيضًا أدوات، ولكن فقط كأطراف أجسامها: النمل والنحلة والقندس. تنتج الحيوانات أيضًا، لكن جهدها الإنتاجي في الطبيعة المحيطة بالنسبة للأخيرة لا يصل إلى أي شيء على الإطلاق. الرجل وحده نجح في التأثير على الطبيعة ليس فقط عن طريق نقل عالم النبات والحيوان من مكان إلى آخر، ولكن أيضا بتغيير جانب ومناخ مسكنه، وحتى النباتات والحيوانات نفسها، أن عواقب نشاطه لا يمكن أن تختفي إلا مع الانقراض العام للكرة الأرضية ".

كتب إنجلز كذلك: «تغير الحيوانات طبيعتها الخارجية من خلال أنشطتها تمامًا كما يفعل الإنسان، إن لم يكن بنفس القدر».

يحدث عن غير قصد، عندما يتعلق الأمر بالحيوانات، فهو حادث.

كلما تم إبعاد البشر عن الحيوانات، كلما كان تأثيرهم على الطبيعة

يفترض عمل مخطط مع سبق الإصرار، موجه نحو غايات محددة معروفة مسبقًا...

باختصار، يستخدم الحيوان الطبيعة الخارجية فقط، ويحدث " تغييرات فيها بمجرد وجوده ؛ اما الإنسان بتغييره يجعلها يخدم نهاياته، ".

وبعمله، يتحكم الإنسان في الطبيعة، ويصنع الأدوات ويستخدمها لجعل الطبيعة تخدم غاياته. يقول ماركس: «في عملية العمل، يؤثر نشاط الانسان، بمساعدة أدوات العمل، على تغيير، مصمم منذ البداية، في المواد التي تم العمل عليها». وبالتالي، فإن إتقان وتغيير الطبيعة هو ما يغير الإنسان نفسه، ويطور صفاته البشرية. والسمة المميزة الثانية للعمل البشري تنبع من السمة الأولى، وتكمن في طابعها الواعي والتعاوني.

في صنع الأدوات واستخدامها، في الأشياء الطبيعية الجبرية والقوى الطبيعية لخدمة أهدافه، يدرك الإنسان غاياته، ولديه فكرة عن النتيجة التي ينوي تحقيقها.

ويعمل البشر بشكل تعاوني، وفقًا لتصميم وخطة واعية، لتحقيق الغايات التي يعتزمون تحقيقها. في حين أن مخلوقات اجتماعية مثل النحل، على سبيل المثال، تبني هياكل متقنة، فإنها تفعل ذلك بطريقة تلقائية، عن طريق الغريزة. من ناحية أخرى، يعمل البشر وفقً خطة واعية.

كتب ماركس: «نحن نفترض مسبقًا ان العمل هو نشاط حصري بالنسبة للانسان». "تجري العنكبوت عمليات تشبه عمليات النساج، ويفوق النحل العديد من المهندسين المعماريين في بناء خلاياها. لكن ما يميز أسوأ المهندسين المعماريين عن أفضل النحل هو أن المهندس المعماري يتصور بنائه في الخيال قبل أن

يقيمه في الواقع. في نهاية كل عملية عمل نحصل على

ويعمل البشر بشكل تعاوني، وفقًا لتصميم وخطة واعية، لتحقيق الغايات التي يعتزمون تحقيقها. في حين أن مخلوقات اجتماعية مثل النحل، على سبيل المثال، تبني هياكل متقنة، فإنها تفعل ذلك بطريقة تلقائية، عن طريق الغريزة. من ناحية أخرى، يعمل البشر وفقً خطة واعية.

كتب ماركس: «نحن نفترض مسبقًا ان العمل هو نشاط حصري بالنسبة للإنسان». "تجري العنكبوت عمليات تشبه عمليات النساج، ويفوق النحل العديد من المهندسين المعماريين في بناء خلاياها. لكن ما يميز أسوأ المهندسين المعماريين عن أفضل النحل هو أن المهندس المعماري يتصور بنائه في الخيال قبل أن يقيمه في الواقع. في نهاية كل عملية عمل نحصل على نتيجة كانت موجودة بالفعل في مخيلة العامل مسبقا.

العمل والكلام والفكر

هذه السمات المميزة للعمل - أن العمل هو استخدام الأدوات لإحداث تغييرات في الأشياء الخارجية من قبل البشر الذين يتعاونون لتحقيق النتائج التي حددوها بوعي على أنفسهم - يفسر هدا لماذا يؤدي العمل بالضرورة إلى ظهور الكلام والفكر، ولا يمكن أن يتطور بدون مساعدات الكلام والفكر.

إن التحكم في الطبيعة، الذي يبدأ بتطور اليد، مع العمل، وسع أفق " الإنسان في كل تقدم جديد. كان يكتشف باستمرار خصائص جديدة " غير معروفة حتى الآن للأجسام الطبيعية.

في هذه الكلمات يشير إنجلز إلى أن العمل، حتى من النوع الأكثر بدائية، كما هو الحال في تشكيل واستخدام أدوات الصيد وصيد الأسماك، يجعل البشر يدركون الأشياء باهتمام جديد، ويوسع تصوراتهم، «يوسع أفقهم»، يجعلهم يدركون من خلال نشاطهم العملي ومن تصوراتهم لخصائص أكثر من أي وقت مضى للأشياء الطبيعية. وفي الواقع، منذ هذه البدايات الأولى، كان من خلال

تقدمهم في الطبيعة أن الأجيال التالية من البشر أصبحوا يعرفون المزيد والمزيد من خصائص الأشياء الطبيعية: كل مرحلة من مراحل التقدم تعني توسع التصورات والاكتشافات الجديدة والآفاق الأوسع.

يتابع إنجلز: "من ناحية أخرى، ساعد تطوير العمل بالضرورة على جمع أفراد المجتمع معًا من خلال مضاعفة حالات الدعم المتبادل والنشاط المشترك، ومن خلال توضيح ميزة هذا النشاط المشترك لكل فرد. باختصار، وصل البشر إلى النقطة التي كان لديهم ما يقولونه لبعضهم البعض."

هذا الشيء الذي «كان عليهم أن يقولوه لبعضهم البعض» يتعلق، في المقام الأول، بخصائص تلك الأشياء التي يمكن أن يستخدمها الإنسان، والغايات التي يجب تحقيقها والنتائج التي يجب أن يستهدفها التعاون البشري. وهذا على وجه التحديد شيء لا يمكن إلا «قوله»، والذي لا يمكن إلا يتم الإشارة إليها والتعبير عنها من خلال الكلام

المفصل، وليس من خلال الاشارات والإيماءات مثل التي تستخدمها الحيوانات.

وأشار إنجلز إلى أن «القليل الذي تحتاجه حتى الحيوانات الأكثر تطورًا للتواصل مع بعضها البعض يمكن إيصاله حتى بدون المساعدة في التعبير عن الكلام».

تشير الحيوانات لبعضها البعض إلى وجود أشياء معينة - كما هو الحال في الإيماءات التي يقوم بها النحل، او ما يسمى بالرقصات التي تشير إلى وجود مصدر للعسل في اتجاه معين؛ إنهم يثيرون بعضهم البعض لأفعال معينة - كما هو الحال في دعوة قائد المجموعة. لكن هذا كل شيء. إذا كان أسلوب حياتهم من النوع الذي يحتاجون إليه للتواصل مع بعضهم البعض حول الخصائص المختلفة للأشياء، حول كيفية استخدامها، وحول الغايات التي تهدف إلى تحقيقها من خلال أشكال مختلفة من النشاط التعاوني، فإن مثل هذه الإيماءات والمكالمات لن تستفيد منها بعد الآن. لأنهم سيحتاجون بعد ذلك إلى

التواصل ليس بشكل خاص ولكن مع الجنرال. الحيوانات ليس لديها مثل هذه الحاجة. لكن الرجال لديهم مثل هذه الحاجة على الفور يشرعون حتى في أبسط أشكال العمل الاجتماعي. ثم لديهم شيء يحتاجون إلى قوله لبعضهم البعض، كما أشار إنجلز. وهكذا تم تطوير الوسائل لقول ذلك.

يتابع إنجلز: «أدت الحاجة إلى إنشاء عضوها». "تم تحويل الحنجرة غير المطورة للقرد ببطء، ولكن بثبات عن طريق زيادة التعديل تدريجيًا، وتعلمت أعضاء الفم تدريجيًا نطق حرف واحد تلو الآخر. تثبت المقارنة مع الحيوانات أن هذا التفسير لأصل اللغة من المخاض وفي طور المخاض هو التفسير الصحيح الوحيد.

يحتاج البشر إلى التواصل مع بعضهم البعض حول خصائص الأشياء والاستخدام العملي لتلك الخصائص. ويصف إنجلز هنا كيف طوروا استخدام الحنجرة والفم من أجل التعبير عن الكلمات والجمل التي يمكن من خلالها تأثير هذا التواصل. هذه العملية لها نظيرتها في

الدماغ الفردي - أي التطور، الذي وصفه بافلوف لأول مرة، لنظام الإشارة الثاني، إشارات الكلام. لم تعد هذه الإشارات، مثل الأحاسيس، تشير فقط إلى اتصالات فورية مع الأجسام الخارجية، ولكنها تمثل تجريدًا من الواقع وبالتالي تسمح بتشكيل التعميمات.

الأفكار

يشير نظام الإشارة الثاني إلى التقدم من الحيوان إلى الدماغ البشري، من الإحساس والإدراك إلى

.أفكار

الأفكار لا تعيد إنتاج الأشياء التي تواجهنا على الفور، وتمثلها كما تظهر على الفور للفرد من خلال حواسه. ففكرة الكائن ليست صورة .شيء معين، حسي ولكن فكرة نوع من الشيء

وبالتالي، بينما ندرك فقط ما يواجهنا بالفعل، وفقًا للانطباع الذي يتركه على أعضائنا الحسية، يمكننا التفكير في الأشياء التي نراها ليس فقط في علاقاتها المعطاة، بخصائصها المعطاة، ولكن في العلاقات

المختلفة ومع الخصائص المتغيرة. لأننا نشكل أفكارًا عن الأنواع المختلفة من الأشياء وخصائصها والعلاقات في التجريد، وبالتالي يمكننا التفكير فيما يمكننا القيام به مع مختلف أنواع الأشياء، أو كيف يمكننا تغيير خصائصها لأغراض مختلفة.

في هذا تكمن قوة الفكر. يمكننا التفكير فيما يجب القيام به مع الأشياء، والتغييرات التي نعتزم إحداثها، ويمكننا إيجاد الوسائل لتحقيق تلك التغييرات.

بالتفكير، نعمل على إجراء تجارب في رؤوسنا - لأنها كانت تمثل ما يجب القيام به، وما يجب أن يحدث، من أجل تحقيق بعض الأمور المتغيرة. ثم يتم فحص استنتاجات التجربة في الفكر من خلال نتائج الممارسة. هذا هو جوهر عملية التفكير، لأنها تنشأ عن العمل.

يجب أن نشدد هنا على أن الأفكار ليست مثل الصور. وبالتالي فإن فكرة أو مفهوم، على سبيل المثال، اللون أو الشكل ليس هو نفسه صورة اللون أو الشكل الذي يمكننا تشكيله في الخيال. اعتاد

الفلاسفة التجريبيون الأقدم (وخاصة بيركلي وهيوم) على الخلط بين الأفكار والصور؛ ولكن، على العكس من ذلك، ينبغي تمييزها بعناية. الصور ليست سوى استمرار للإحساس، لنظام الإشارة الأول؛ ولكن الأفكار تشير إلى تطوير نظام إشارة ثان، يمثل تجريدا من الواقع ويسمح بتشكيل تعميمات.

لا شك أن الحيوانات العليا وكذلك الإنسان يمكن أن يشكلوا في عقولهم صور حسية للأشياء. على سبيل المثال، لا شك أن الثعلب يمكنه أن يتخيل لنفسه عملية العثور على أرنب وصيده وأكله، ثم يشرع في تحويل هذه الصورة إلى حقيقة. يمكنه، ولا يزال، قادرا على إظهار قدر كبير من المكر والبصيرة في تنفيذ هدفه. لكن الرجل الذي يستخدم حتى أبسط أداة إنتاج يستخدم طرقًا لا يمكن لأي حيوان آخر استخدامها. لصنع واستخدام حتى أبسط أدوات الإنتاج، لا يجب أن يكون قد صور الأشياء لنفسه فحسب، بل شكل أفكارًا عن خصائص الأشياء التي يمكن استخدامها لتحقيق الغايات التي يرغب

فيها. وهكذا يمكننا أن نرى كيف يعتبر الفكر شكلاً من أشكال الوعي أعلى من الإدراك الحسي. يعيد الإدراك الحسي إنتاج الأشياء كما تظهر على الفور من خلال عملها على أعضائنا الحسية. من ناحية أخرى، عندما نشكل أفكارًا، يمكننا التفكير في الأشياء بطابعها الأساسي بصرف النظر عن وجودها الخاص وطريقة ظهورها؛ وبالتالي يمكننا أن نمثل لأنفسنا في التفكير ما هي التحولات التي تمر بها الأشياء في ظروف مختلفة، وكيف تتفاعل، وإمكاناتها المختلفة، والترابط، وقوانين التغيير، والحركة. لذلك، من الواضح ما هي القفزة الهائلة التي حدثت في تطور الوعي عندما تشكلت الأفكار.

كانت هذه القفزة إلى الوعي البشري ببساطة القفزة الهائلة من الحيوان إلى نمط الحياة البشري، والتي حدثت عندما بدأ الرجال في تصميم واستخدام الأدوات.

مثلما لم يعد الإنسان، مثل الحيوانات، يجمع فقط الأشياء الطبيعية ويعيد ترتيبها ويستخدمها، ولكنه يسيطر على الطبيعة، لذلك في

أفكاره لا يسجل فقط مظاهر الأشياء، كما في الإدراك، ولكنه يتتبع روابطها وأسبابها.

الفصل الرابع
الفكر واللغة والمنطق

تطوير الأفكار لا ينفصل عن تطوير الكلام واللغة، ولا يمكن أن يكون هناك تفكير بدون لغة. يجب أن تلبي الكلمات والقواعد اللغوية دائمًا المتطلبات المشتركة لما يجب التعبير عنه باللغة، وهي متطلبات موضوعية مستقلة عن القواعد الخاصة بلغات معينة. وهذه المتطلبات نفسها تنشأ عنها قوانين المنطق، أو قوانين الفكر، وهي قوانين عالمية وضرورية تعكس الواقع الموضوعي في الفكر.

الأفكار واللغة هي القوة التي تنتمي إلى الأفكار، لتمثيل الأشياء ليس فقط في وجودها المباشر كما هو معروض على الحواس، ولكن تمثيل الخصائص والعلاقات في التجريد من أشياء معينة هذه القوة هي نتاج نظام الإشارة الثاني في الدماغ البشري. وبالتالي، فإن تطور التفكير وقوة الفكر لا ينفصلان عن تطور الكلام وقوته ويعتمدان عليهما.

كما قلنا، فإن الأحاسيس هي إشارات إلى اتصالات فورية بأجسام محددة ملموسة. الكلمات هي «إشارات الإشارات الأولى»، وإشارتها ليست فقط إلى أشياء محددة ملموسة تشير إليها الأحاسيس، ولكن إلى الأشياء بشكل عام التي تنتج أحاسيس من نوع محدد.

ومن ثم يمكننا من خلال الكلمات التعبير عن استنتاجات عامة حول الأشياء وخصائصها، وكيفية استخدامها. على سبيل المثال، يمكن لمجموعة من الناس المهتمين بقطع الأشجار أن يمثلوا لأنفسهم بالكلمات الأساليب التي سيستخدمونها، وبالتالي يخططون وينسقون عملهم الاجتماعي. وبمجرد امتلاكهم لنظام الإشارة للكلام، يمكنهم الذهاب إلى أبعد من ذلك بكثير في مجال التعميم - التمييز، على سبيل المثال، الخصائص المختلفة للأشجار، والظروف العامة لنموها.

وينشأ استخدام الكلمات، كما قلنا، في النشاط الاجتماعي للإنسان، كمنتج وأداة، في المقام الأول، للعمل الاجتماعي. كوسيلة للتواصل الاجتماعي البشري. ونظام الإشارة الثاني، الذي يأتي منه استخدام

الكلمات، لا ينشأ ولا يمكن أن ينشأ ويتطور باعتباره حيازة شخصية أو خاصة للأفراد، الذين يستخدمها كل منهم لأغراضه الخاصة دون علاقة إلى أفراد آخرين. على العكس من ذلك، فإنه ينشأ لأنه منذ بدايات النشاط الاجتماعي البشري، يحتاج الرجال إلى توصيل الأفكار والاستنتاجات العامة لبعضهم البعض، وبالتالي فهم يطورون وسائل القيام بذلك.

لذلك، لا يمكن أن ينشأ نظام الإشارة الثاني ويتطور إلا من خلال تكوين لغة مشتركة بين مجموعة مشتركة ويجب أن تكون هناك كلمات أصبحت مرجعيتها المستمرة ثابتة في استخدامها الشائع من قبل فئة اجتماعية. في المقام الثاني، يجب أن تكون هناك أيضًا اتفاقيات محددة بنفس الاستخدام الشائع الذي يحكم طرق الجمع بين الكلمات.

تتميز اللغة، أولاً، بمخزونها الأساسي من الكلمات، وثانيًا بقواعدها.

القواعد "تحدد القواعد التي تحكم تعديل الكلمات ومزيج الكلمات إلى

جمل، وبالتالي تضفي الاتساق والمعنى على اللغة.... يشكل النظام النحوي للغة وكلماتها الأساسية أساسها، والطبيعة المحددة للغة.

تطور اللغة والفكر

عندما يبدأ البشر في استخدام أدوات الإنتاج الاجتماعي، يبدأون أيضًا في التحدث وتطوير اللغة، وبالتالي تكوين أفكار حول العالم المحيط.

كانت اللغة هي التي نشأت «من العمل وفي طور العمل». وهذا الأصل يفسر السمات الأساسية الأولية للغة كأداة للتواصل وتبادل الأفكار.

فاللغة، التي تنبع بالتالي من النشاط الإنتاجي للإنسان، وتخدم مباشرة ذلك النشاط الإنتاجي، تخدم بالضرورة كل العلاقات الاجتماعية البشرية والنشاط الذي يتطور مع وعلى أساس الإنتاج.

يعتبر ستالين ان اللغة، مرتبطة بنشاط الإنسان الإنتاجي مباشرة، وليس فقط بنشاط الإنسان الإنتاجي، ولكن بكل نشاطاته الآخرى...... اللغة وسيلة، أداة يتواصل الناس بها لمساعدة بعضهم البعض، " ويتبادلون الأفكار ويفهمون بعضهم البعض.... وبدونها، من المستحيل

ضمان نجاح النشاط الإنتاجي للمجتمع، وبالتالي يصبح وجود الإنتاج الاجتماعي نفسه مستحيلاً. وبالتالي، فبدون لغة يفهمها المجتمع ويشترك فيها جميع أفراده، يجب أن يتوقف هذا المجتمع عن الإنتاج وأن يتفكك وأن يتوقف عن الوجود كمجتمع. وبهذا المعنى، فإن اللغة، على الرغم من كونها وسيلة للحوار، هي في الوقت نفسه أداة للنضال وتنمية المجتمع.......

اللغة تخدم المجتمع كوسيلة للتحاور بين الناس، كوسيلة لتبادل " الأفكار في المجتمع، كوسيلة لتمكين الناس من فهم بعضهم البعض وتنظيم عمل مشترك في جميع مجالات النشاط البشري، في مجال الإنتاج وفي مجال العلاقات الاقتصادية، في مجال السياسة وفي مجال الثقافة وفي الحياة الاجتماعية واليومية.

لذلك، فإن اللغة هي دائمًا اللغة المشتركة لشعب بأكمله وتتطور باستمرار طوال تاريخ الشعب بأكمله.

اللغة هي واحدة من تلك الظواهر الاجتماعية التي تعمل طوال وجود " المجتمع. إنها تنشأ وتتطور مع صعود وتطور المجتمع. وتموت عندما يتوقف المجتمع.... لا يمكن فهم اللغة وقوانين تطورها إلا إذا تمت دراستها في ارتباط لا ينفصل عن تاريخ المجتمع، وتاريخ الأشخاص " الذين تنتمي إليهم اللغة قيد الدراسة، ومن هم مبدعوها.

لذلك، عندما أكد بعض الماركسيين المحتملين أن اللغة تتطور كجزء من البنية الفوقية الاجتماعية، أكد ستالين أن اللغة ليست بأي حال من الأحوال جزءًا من البنية الفوقية.

والبنية الفوقية هي في الأساس نتاج نظام معين من علاقات الإنتاج: فهو يخدم توطيد وتطوير أساسه الاقتصادي الخاص، ويختفي عندما يختفي هذا الأساس. إنه يعكس العلاقات الاقتصادية للمجتمع .ولا يرتبط إلا بشكل غير مباشر بالإنتاج

من ناحية أخرى، فإن اللغة ليست نتاج أي نظام معين للعلاقات الاقتصادية. إنه لا يخدم أي نظام اقتصادي معين ويختفي عندما

يختفي هذا النظام. وهي ترتبط ارتباطًا مباشرًا بتنمية الأنشطة الإنتاجية للرجل.

اللغة ليست أبدًا المنتج الحصري أو حيازة أي فئة معينة. وتنشأ اللغة، في المقام الأول، في النشاط الإنتاجي البشر؛ ولغة معينة تخدم شعباً معيناً كوسيلة للاتصال الاجتماعي، كوسيلة للاتصال بهم في أنشطتهم الإنتاجية وجميع أنشطتهم الأخرى. يعمل كوسيلة للتواصل بين الطبقات المختلفة التي ينقسم إليها الشعب. في ظل أي نظام اقتصادي قد يعيشه الشعب، فإن لغته تخدم على حد سواء نشاط توطيد هذا النظام الاقتصادي والدفاع عنه، وكذلك تغييره واستبداله بنظام آخر.

تتطور اللغات مع تطور النشاط الإنتاجي للناس. إنها تثري وتغير ببطء مخزون الكلمات الأساسي، وتعدل ببطء قواعد اللغة الخاصة بها.

تتطور لغات مختلفة مع شعوب مختلفة ومع التلاقح بين الشعوب

المختلفة. وهكذا تتفرع عدة لغات من بداية مشتركة؛ تعدل اللغات بعضها البعض من خلال التأثير المتبادل، ويتم تشكيل لغات جديدة من خلال اللغات القادمة معا من اللغات القديمة. وعندما يضطهد شعب آخر، يمكن بالمثل خنق لغة المظلومين في تطورها. وعندما يدمر شعب آخر، قد يدمرون لغة الآخر بالمثل.

ولذلك، من المهم عدم الخلط بين اللغة والثقافة؛ يمكن لنفس اللغة - إضافة وتعديل مخزون كلماتها وتعديل قواعد اللغة بشكل أبطأ بكثير - في تطور يخدم شعبًا معينًا خلال سلسلة من التغييرات الأساسية في ثقافتهم. وهكذا، على سبيل المثال، نتحدث عن الثقافة الاشتراكية على أنها "اشتراكية في المحتوى ووطنية في الشكل

، أي في اللغة، «نظرًا لأن اللغة الوطنية نفسها تخدم كل من الثقافة البرجوازية القديمة والثقافة الاشتراكية الجديدة، فإن الثقافة تتغير في المحتوى مع كل فترة جديدة في تطور المجتمع، في حين أن اللغة تظل

هي نفسها بشكل أساسي خلال عدد من الفترات، على قدم المساواة خدمة كل من الثقافة الجديدة والقديمة.

ومن المهم أيضا عدم الخلط بين تطور اللغة وتطور الآراء المعرب عنها باللغة. وفي سياق التنمية الاجتماعية، تكتسب الطبقات المختلفة وجهات نظر مختلفة؛ وتتغير وجهات النظر السائدة للمجتمع من عصر إلى آخر، وتتوافق مع طابع النظام الاقتصادي. بطبيعة الحال، يتم التعبير عن هذه الآراء باللغة. لكن بينما تختلف الآراء وتتغير، فإن اللغة لا تتغير. في التعبير عن نظرتهم الطبقية الغريبة، وبطبيعة الحال، يجوز لأفراد الصف أن يستخدموا بعض الكلمات والعبارات الخاصة بأنفسهم، مثلما يكون لهم في كثير من الأحيان لهجتهم الخاصة. لكنهم لا يطورون لغة مختلفة، بمفردات وقواعد أساسية مختلفة. يتم التعبير عن وجهات نظر مختلفة ومتناقضة بنفس اللغة، والآراء التي تستخدم للتعبير عنها غير مبالية بتطور اللغة. على عكس اللغة التي يتم التعبير عنها بها، فإن آراء المجتمع هي

نتاج حقبة معينة، لنظام معين من علاقات الإنتاج، من طبقات معينة. تتطور اللغة التي يتم التعبير عنها بها ببطء من خلال تعديل مفرداته وقواعده. يتطور دون الخضوع لتغيير مفاجئ وثوري. من ناحية أخرى، فإن الآراء المعرب عنها باللغة، تمر بتغييرات جوهرية عندما تمر مرحلة معينة من تطور المجتمع، عندما تتغير علاقات الإنتاج، عندما تظهر طبقات جديدة في المقدمة.

هل يمكن أن يكون هناك تفكير بدون لغة؟

إن دراسة طبيعة الفكر واللغة والأساس المادي والوظائف وقوانين التطور تؤدي، إلى استنتاج مفاده أن تكوين الأفكار وتبادل الأفكار أمر مستحيل بدون لغة، وأن الأفكار لا تتشكل وتتطور إلا من خلال وسائل اللغة.

تتشكل الأفكار إلا من خلال الكلمات ومزيج الكلمات. يتم استنساخ الواقع عن طريق الكلمات ومزيج الكلمات في الجمل ويتم تحويلها لأفكار محددة فقط بقدر ما تكون «مسجلة وثابتة في الكلمات

والكلمات مجتمعة في جمل». الأفكار غير موجودة بدون لغة مثل .الأرواح بدون أجساد

هل يعني هذا أن التفكير هو نفس الشيء بالنسبة للكلمات المطلقة، وأن عملية التفكير هي عملية «التحدث إلى الذات»؟ لا. لأنه في المقام الأول، من الممكن نطق الكلمات والجمل دون أن تعني أي شيء. وفي المقام الثاني، بمجرد أن يتعلم المرء استخدامات اللغة، يمكنه تنفيذ العديد من عمليات التفكير دون النطق بصوت عالٍ أو «للذات»، بكل الكلمات والجمل التي سيكون استخدامها ضروريًا للإعلان الكامل عن الأفكار المعنية.

من المعروف، على سبيل المثال، أنه مع الأشخاص الذين ناقشوا في كثير من الأحيان بعض الموضوعات معًا، فإن بضع كلمات تكفيهم لفهم بعض النقاط المعقدة للغاية بشكل متبادل، والتي قد تتطلب الكثير من الكلمات لشرحها لشخص خارجي. هذا لأنهم مروا

بتفسيراتهم معًا في وقت سابق، وهذه الكلمات القليلة تتذكر كل تلك التفسيرات.

الأمر نفسه إلى حد كبير مع عمليات التفكير في الدماغ الفردي. يمكن للمرء أن يتوصل إلى استنتاجات دون تدخل عمليات مفصلة من اللفظ الداخلي. لكن في الوقت نفسه، يخدع الانسان نفسه إذا افترض أن لديه أفكارًا عن أشياء تفتقر إلى الكلمات، أو أن لديه أفكارًا .لا يستطيع التعبير عنها في اللغة

كتب ستالين: «يقال إن الأفكار تنشأ في ذهن الإنسان قبل التعبير عنها في الكلام، وأنها تنشأ بدون مادة لغوية، وبدون قوقعة اللغة، وفي شكل عاري». "لكن هذا خطأ تماما. مهما كانت الأفكار التي قد تنشأ في عقل الإنسان، لا يمكن أن تنشأ وتوجد إلا على أساس مادة اللغة، على المصطلحات والعبارات اللغوية بين الفكرة والكلمة أو العبارة المعينة. هذا يعني أن الأفكار لا توجد إلا كتجسيد في كلمات أو عبارات معينة

تستخدم للتعبير عن الأفكار. ليس للأفكار وجود منفصل غير مجسد باستثناء التعبير عنها.

والكلمة الفرنسية "RED" على سبيل المثال، تعبر الكلمة الإنجليزية عن نفس فكرة اللون. لذلك لا يمكن تحديد الفكرة بأي من " rouge الكلمتين. لكن فكرة اللون لم تعد موجودة باستثناء الكلمات التي يتم التعبير عنها بها، أكثر من وجود اللون بصرف النظر عن الأشياء الملونة المعينة. ما يجعل الكلمتين تعبران عن نفس الفكرة هو أن لهما نفس الأهمية في اللغات المعنية وهي أن الكلمتين تلعبان دوراً متشابهاً في تفصيل الروابط اللغوية بين الإنسان والعالم الخارجي. لا يتكون نشاط التفكير في الدماغ إلا في مثل هذا التفصيل للصلة مع العالم الخارجي؛ ولا يتم ذلك قبل اللغة، ولا بعيداً عن اللغة، بل بدقة باللغة. والقواعد اللغوية وما تعبر عنه سمة من سمات اللغة هي طابعها التعسفي أو التقليدي على ما يبدو. يتم استخدام صوت معين لغرض

معين في لغة ما - ولكن قد يكون هناك صوت آخر بشكل جيد بنفس القدر، وربما يستخدم لهذا الغرض نفسه في لغة أخرى.

كان اكتشاف أن الكلمات بهذه الطريقة علامات تعسفية أو تقليدية اكتشافًا مهمًا في العلم، كما قد يبدو واضحًا. لأنه غالبًا ما كان يُصدق - ولا يزال الناس يعتقدون اليوم أن كلمة معينة هي بطريقة غامضة «الكلمة الصحيحة» لشيء معين، وأن الكلمات مرتبطة بالأشياء .ببعض الروابط الداخلية، وليس فقط بقواعد اللغة

كان المفهوم القديم للربط السري بين الكلمات والأشياء مرتبطًا بالسحر والدين. وهكذا كان يُعتقد أن لكل رجل اسمًا خاصًا به بشكل غريب وأنه لا يوجد اسم آخر له. كان «اسمه الحقيقي» غالبًا ما يتم الاحتفاظ به سرًا، لأنه كان يُعتقد أنه إذا عرف أعداؤه ذلك، فيمكنهم إصابته بمكروه. وبالمثل، كان يُعتقد أن أسماء الآلهة من بين الخصائص الأساسية للآلهة. وبالمثل مع كلمات أخرى، إلى جانب الأسماء الصحيحة. وهكذا كان هناك المثل الذي جاء فيه أن «الإلهي

يسمى بحق»: وهذا يعبر عن فكرة وجود شيء إلهي غريب في كلمة «إلهي».

حتى يومنا هذا، يعتقد بعض الزوار الإنجليز الذين يقومون برحلة إلى فرنسا أن سكان ذلك البلد لا يعرفون الكلمات الصحيحة للأشياء.

ولكن ليست مفردات اللغة تقليدية فحسب، بل إن قواعدها النحوية تقليدية أيضًا. تستخدم لغات مختلفة قواعد نحوية مختلفة. وهكذا فإن قواعد اللغة الصينية، على سبيل المثال، تختلف تماما عن قواعد أي لغة أوروبية؛ وتختلف قواعد الانكليزية عن قواعد اللغات اللاتينية أو السلافية؛ وقواعد ما يسرنا أن نسميه اللغات «البدائية» تختلف عنها جميعا مرة أخرى. ومع ذلك، يمكن ذكر نفس الافتراضات بجميع هذه اللغات، ويمكن ترجمة أي واحدة إلى أي لغة أخرى. هذا يوضح أن ليس فقط المفردات، ولكن القواعد هي ايضا سمة تقليدية للغات. الأصوات الخاصة التي تشكل الكلمات بلغة معينة، والقواعد الخاصة

لقواعدها، هي إذن تقليدية. إنها تقليدية بمعنى أن هذه الأصوات والقواعد المعينة يتم استخدامها من قبل شعب معين لأسباب تاريخية، في حين أن نفس الأفكار يمكن التعبير عنها بنفس القدر من خلال أصوات مختلفة وقواعد مختلفة، مثل المستخدمة من قبل اللغات المتطورة تاريخيًا لشعوب أخرى. لكنها، بالطبع، ليست تقليدية بمعنى أنها تم حلها وإصلاحها من قبل بعض القرارات اللغوية للشعب المعني. بشكل عام، تتشكل القواعد اللغوية من خلال عملية فاقدة للوعي في حياة الشعوب. فقط في مرحلة متأخرة يتم تسجيلها في القواميس والنحو ويبدأ الناس بتسجيل وإصلاح قواعد لغتهم.

ولكن في حين أن كل من المفردات والقواعد بالمعنى السابق تقليدية، فإن الكلمات التي تمتلكها اللغة، بمعنى الأشياء التي تشير إليها مفرداتها، ليست تقليدية، ولكنها تحددها الظروف والمتطلبات الموضوعية لحياة الأشخاص الذين يستخدمون اللغة.

على سبيل المثال، مهما كانت الأصوات المستخدمة لهذا الغرض، يجب أن تحتوي اللغة على كلمات لجميع الأشياء والخصائص والعلاقات وما إلى ذلك، والتي لها أهمية عملية في حياة الناس. بشكل عام، كلما زادت مرحلة تطوير الإنتاج كلما زاد بالضرورة مخزون الكلمات الأساسي للغة.

وبالمثل، فإن العلاقات والصلات بين الأشياء والأشخاص التي يتم التعبير عنها من خلال الجمع بين الكلمات في جمل وفقًا لقواعد ليست تقليدية أيضًا، ولكنها تحددها ما يجب أن ينعكس في الجمل.

على سبيل المثال، مهما كانت قواعد اللغة، يجب أن يكون لها قواعد للتعبير عن فعل شيء ما على آخر، والاتصال بين الشيء وخصائصه المختلفة والمتغيرة، وما إلى ذلك. تستخدم لغات مختلفة قواعد نحوية مختلفة للتعبير عن المقترحات، ولكن يجب أن تلبي جميع هذه القواعد نفس المتطلبات الناشئة عما يجب التعبير عنه، وهو أمر مشترك بين جميع اللغات.

وبالتالي، بينما يصلح الناس قواعد لغتهم، سواء فيما يتعلق بكلماتها أو قواعدها، فإن هذه تعبر عن متطلبات موضوعية مشتركة بين كل لغة، ويجب أن تلبي دائمًا تلك المتطلبات اللغة والمنطق

اللغة «مرتبطة بالفكر، واللغة يعبر عنها بالكلمات، وفي الكلمات المدمجة في الجمل، ونتائج الفكر ونجاحات الإنسان في سعيه للحصول على المعرفة.

أيا كانت نتائج الفكر التي سيتم التعبير عنها، وأيا كانت اللغة التي يتم التعبير عنها بها، يجب أن تلبي المتطلبات الأساسية لانعكاس الواقع في الفكر.

وتنشأ عن هذه المتطلبات قوانين فكرية ومبادئ منطقية. لأن الأفكار هي انعكاسات للعالم الحقيقي، وفي عملية التفكير، كما قال ماركس، يترجم العالم المادي إلى أشكال من الفكر. ولعملية التفكير والترجمة هذه قوانينها الضرورية - قوانين الفكر، ومبادئ المنطق.

قوانين الفكر تتضمن، في المقام الأول، المنطقي لوضع مقترحات هامة هناك، على سبيل المثال، اقتراحات بسيطة ومقترحات مركبة. وينطوي وضع مقترحات بسيطة على عمليات منطقية مثل التأكيد والنفي والعلاقة وما إلى ذلك؛ وتُبنى المقترحات المركبة عن طريق الجمع بين المقترحات البسيطة من خلال العمليات المنطقية التي نعبر عنها بعبارة مثل «و» أو «،» إذا... ثم، "وهلم جرا. وهكذا. «هذا أحمر»، «هذا ليس أحمر»، «هذا يصبح أحمر»، «هذا أكثر احمرارًا من ذلك»، كلها اقتراحات بسيطة. و «هذا أحمر وهذا أخضر»، «إما أن يكون أحمر أو أنا أعمى الألوان»، و «إذا كان هذا أحمر، فسيكون أخضر قريبًا»، هي اقتراحات مركبة. وينطوي وضع جميع هذه المقترحات على مبادئ منطقية محددة - أي مبادئ كيفية دمج المصطلحات في مقترحات هامة.

وتنطوي قوانين الفكر، في المقام الثاني، على المبادئ المنطقية لتحديد الافتراضات التي تتبع منطقيا من طروحات أخرى والتي تتعارض منطقيا معها. هذه هي المبادئ التي نستخدمها في الجدل والمنطق.

على سبيل المثال، «إذا كان كل ا هو ب، وكل ب هو ج، فكل ا هو ج».

هذا مبدأ منطقي عام، يخبرنا أن الاقتراح الثالث يتبع منطقيًا من أول اثنين.

وهذا المبدأ، بطبيعة الحال، لا يتضمن أي ضمان بشأن حقيقة الطروحات: فهي تهتم بعلاقاتها المنطقية مع بعضها البعض، وليس بحقيقتها. وهكذا يخبرنا أنه إذا اكتشفنا أن الافتراضين الأولين صحيحان، فلن نحتاج إلى مزيد من التحقيق لنؤكد لأنفسنا حقيقة الافتراض الثالث، لأنه يتبع الافتراضين الأولين. ولكن إذا كان الافتراضان الأولان غير صحيحين في الواقع، فعندئذ، على الرغم من أن الاقتراح الثالث يتبعهما، فقد يكون صحيحًا أو قد يكون خاطئًا. لا

يخبرنا المنطق في حد ذاته بأي شيء عن حقيقة المقترحات، والتي لا يمكن اكتشافها والتحقق منها إلا من خلال التحقيق التجريبي.

ومن الأمثلة الأخرى على المبدأ المنطقي مبدأ "عدم التناقض، الذي ذكره أرسطو على النحو التالي ؛ "نفس الصفة لا يمكن أن تنتمي في نفس الوقت ولا ينتمون إلى نفس الموضوع في نفس الصدد ".

هذا مبدأ منطقي عام يخبرنا أن بعض الافتراضات تتعارض منطقيًا مع البعض الآخر. لا يمكن الجمع بين المواقف المتناقضة باستمرار.

كل هذه المبادئ المنطقية هي على وجه التحديد قوانين الفكر،

أرسطو، ما وراء الطبيعة، الكتاب الرابع، الفصل 3.

وبعد أن أدرج عبارة «في الوقت نفسه، في نفس الصدد»، لاحظ كذلك: «يجب أن نفترض مسبقًا، في مواجهة الاعتراضات الجدلية، أي مؤهلات أخرى يمكن إضافتها».

تم تقديم العديد من «الاعتراضات الجدلية» منذ ذلك الحين على المبدأ المنطقي لعدم التناقض. والصياغات التي تم إجراؤها لاحقًا والتي

كررها المنطقيون المعاصرون، والتي استبعدت بغباء التاكيدات الأصلية التي اتى بها أرسطو (وهو نفسه عالم ديالكتيك)، مفتوحة على مصراعيها لمثل هذه الاعتراضات.

ومن ثم فقد أُعرب عن المبدأ التالي: «لا يمكن أن تكون صيغة ألف وليست ألف على حد سواء». وهذه الصيغة سخيفة، حيث من الواضح أنه إذا كانت الأشياء موجودة فقط في الترابط والحركة، فإن الشيء يمكن أن يظهر بعض الخصائص في جوانب وعلاقات معينة فقط، وليس في جوانب أخرى. ومن الواضح بنفس القدر أنه إذا كان الشيء في طور التغيير، فقد يكون من المستحيل إما تأكيد أو إنكار أن له خاصية ثابتة.

تم تدوين العديد من الصيغ الفجة والخطأ للمبادئ المنطقية من قبل أشخاص لديهم نهج ميتافيزيقي بدلاً من نهج جدلي - على الرغم من أن أرسطو، الذي غالبًا ما يتم إلقاء اللوم عليه في مثل هذه الأخطاء، كان حريصًا على عدم ارتكابها. فالجدلية تعلمنا تصحيح مثل هذه الأخطاء.

لكن الجدلية لا تتعارض مع مبادئ المنطق أو تغيرها. الهدف من الطريقة الجدلية هو تمكيننا بشكل منطقي ومتسق من التعبير عن الترابط الحقيقي وحركة الأشياء.

يحاول الأشخاص ذوو النهج الميتافيزيقي التعبير عن الأشياء المتغيرة في فئات ثابتة، ويحاولون التعبير عن علاقات الأشياء في فئات مناسبة فقط للنظر في الأشياء المنفصلة. ونتيجة لذلك، غالبًا ما يتم هبوطها في تناقضات. تمامًا كما هو الحال عندما تتناثر السيارة، نعلم أن هناك شيئًا خاطئًا في المحرك، لذلك عندما يناقض الفيلسوف نفسه، نعلم أن هناك شيئًا خاطئًا في أفكاره. تمكننا الجدليات من الابتعاد عن التناقضات المنطقية، وأن نكون متسقين تمامًا.

ومن ثم فإن الجدلية تحترم دائمًا المبدأ المنطقي لعدم التبادل، على الرغم من أن الميتافيزيقيا تنتهكه كثيرًا وليست قوانين الواقع: فهي ليست قوانين العمليات المادية، ولكن قوانين انعكاس العمليات المادية. ولأنها متطلبات انعكاس الواقع في الفكر، والناشئة عن طبيعة

شكل التفكير كما تطورت في سياق الممارسة البشرية، فإن قوانين المنطق تتطلب الاعتماد عليها في العمل والتعبير عن الآراء. إذا كانت أفكارنا تنتهك قوانين المنطق، فإنها تصبح غير متماسكة ومتناقضة مع الذات.

هذا يفسر ما يسمى أحيانًا بالطابع «المعياري» لقوانين المنطق، وطابعها «المنطقي» بدلاً من الضرورة «الطبيعية». ليس من الضروري أن تكون أفكارنا منطقية، ولكن ما لم تكن كذلك، فإنها لا تستطيع تلبية متطلبات انعكاس الواقع: ولهذا السبب تشكل قوانين المنطق «قاعدة» للتفكير. وتنشأ قوانين المنطق

عن طبيعة الفكر ذاتها، وهي مستقلة تماما عن موضوع الفكر المحدد: ولهذا السبب فإن لقوانين المنطق طابعا بديهيا بديهيا، متميزا عن قوانين الطبيعة، التي يتعين اكتشافها من خلال دراسة تجريبية للواقع الخارجي.

لذا مهما كانت الآراء التي يتم وضعها في المجتمع، فهي جميعًا تابعة لنفس قوانين الفكر، لطبائع المنطق. مثلما تستخدم نفس اللغة للتعبير عن وجهات نظر مختلفة، فإن وجهات النظر المختلفة تستخدم نفس قوانين الفكر، نفس المنطق.

وبالتالي، فإن الآراء الجديدة لا تثير منطقا جديدا، أكثر مما تثير لغة جديدة. بل على العكس من ذلك، فإن مبادئ المنطق متأصلة في عملية التفكير ذاتها وفي التعبير عنها باللغة، ولا تتغير بتغييرات في الآراء.

بعض الناس، بالطبع، يتجاهلون المنطق في العمل من آرائهم. هذا لا يعني أنها طورت منطقًا مختلفًا، بل إنها فشلت في أن تكون منطقية.

لذلك، تنفي المادية الماركسية أن المنطق هو بنية فوقية، تمامًا كما تنكر أن اللغة هي بنية فوقية.

اللغة هي وسيلة التعبير والتواصل للفكر، ويتكون المنطق من قوانين الفكر. لذلك فهي مترابطة بشكل لا ينفصم، لأن اللغة هي «الواقع المباشر للفكر»، وتعبر قوانين الفكر بالضرورة عن نفسها وتفرض

نفسها على تطوير اللغة واستخدامها. فاللغة والمنطق يستخدمان دون مبالاة في صياغة أي آراء والتعبير عنها، أيا كان أساس هذه الآراء.

ومن ثم، إذا كان الاشتراكي، على سبيل المثال، يتجادل مع مدافع عن الرأسمالية، فإن كلاهما يناشد ويحاول أن يبني حججه على نفس مبادئ المنطق، تمامًا كما يتحدث كلاهما نفس اللغة. تمامًا كما يساوي «اثنان زائد اثنان أربعة» لمحاسب رأسمالي أو مشروع اشتراكي، لذلك «إذا كان كل ا هو ب، فإن بعض ا هو ب» لمدافع عن الاشتراكية أو الرأسمالية. وبالمثل، كل من قرأ روايات عن أعمال سيدرك المبشرون المسيحيون بين الشعوب البدائية أن كلا طرفي الحجة يناشدان نفس قوانين المنطق، على الرغم من أنه يجب الاعتراف بأن الشعب البدائي غالبًا ما يكون أكثر منطقية من المبشرين.

لكن ما يقال هنا عن المنطق لا ينطبق على الآراء الفلسفية التي شرحها أولئك الذين كتبوا كتبًا عن المنطق. هذه الآراء الفلسفية، التي غالبًا ما

تسمى «المنطق»، هي بالطبع آراء طبقات معينة وعهود معينة، وتشكل جزءًا من البنية الفوقية الاجتماعية.

وهكذا نخلص إلى أن اللغة تتطور كوسيلة للتعبير عن أفكار الناس في المجتمع وتوصيلها، الناشئة عن نشاطهم الإنتاجي وجميع أنشطتهم الاجتماعية الأخرى وتطورها؛ وأن أفكار البشر، المعبر عنها باللغة، تخضع للمنطق ولقوانين الفكر باعتبارها انعكاسا للواقع المادي. وفي الوقت نفسه، فإن الآراء الاجتماعية المعرب عنها باللغة تعمل بمساعدة المنطق على أساس العلاقات الاقتصادية للرجال وأنشطة ومصالح الطبقات الاجتماعية.

الجزء الثاني

تطوير الأفكار

الفصل الخامس

الأفكار المجردة

في التفكير ننتقل من الأفكار الأولية، التي تتوافق معها الأشياء المدركة مباشرة للحواس، إلى الأفكار المجردة. الأفكار المجردة لها مصدرها في تطوير العلاقات الاجتماعية والأنشطة الإنتاجية وغيرها من الأنشطة التي تهتم بالطبيعة الخارجية، في حين أن جهل البشر وعجزهم يؤدي إلى تكوين أفكار مجردة صوفية ووهمية. مع الأفكار المجردة يبدأ تقسيم العمل العقلي عن العمل المادي، ثم طلاق النظري من النشاط

العملي، مع ميل النظرية إلى الابتعاد عن الواقع. من هذا أيضًا تنبع المعارضة بين الاتجاهات المثالية والمادية في التفكير.

تكوين الأفكار المجردة في حين أن الفكر والأفكار، مثل اللغة، تنشأ من العمل، وبالمثل يطور الرجال تفكيرهم وأفكارهم في سياق نشاطهم الاجتماعي بأكمله.

كتابة تطور الأفكار أو الوعي البشري - لأن خصوصية الوعي البشري هي أن الإنسان يدرك الأشياء ليس فقط من خلال التصورات ولكن أيضًا من خلال الأفكار - أظهر ماركس وإنجلز أن وعي الإنسان ينشأ ويتطور "فقط من الحاجة، ضرورة، التفاعل مع البشرالآخرين.... لذلك فإن الوعي هو منذ البداية نتاج اجتماعي، ولا يزال كذلك طالما أن البشر موجودون على الإطلاق ".

والأفكار ليست نتاج عملية فكرية خالصة، كما أنها ليست مجرد استجابات تلقائية للمحفزات التي تصل إلينا من أجسام خارجية. يتم إنتاجها من قبل العقول البشرية في سياق النشاط الاجتماعي البشري.

إنها تعكس روابط الرجال مع بعضهم البعض ومع العالم الخارجي، .الظروف الحقيقية لوجود الرجال

ذهب ماركس وإنجلز للإشارة إلى أن "الوعي هو في البداية مجرد وعي فيما يتعلق بالبيئة الحسية المباشرة والوعي والأفكار ليست نتاج عملية فكرية خالصة، كما أنها ليست مجرد استجابات تلقائية للمحفزات التي تصل إلينا من أجسام خارجية. يتم إنتاجها من قبل العقول البشرية في سياق النشاط الاجتماعي البشري. إنها تعكس روابط البشر مع بعضهم البعض ومع العالم الخارجي، الظروف الحقيقية لوجود البشر.

ذهب ماركس وإنجلز للإشارة إلى أن "الوعي هو في البداية مجرد وعي فيما يتعلق بالبيئة الحسية المباشرة والوعي بالصلات المحدودة مع الأشخاص والأشياء الأخرى.... وأضافوا أن هذه البداية حيوانية مثل الحياة الاجتماعية نفسها في هذه المرحلة. إنه مجرد وعي قطيعة.

الأفكار الأولى والأكثر أولية هي الأفكار المستمدة مباشرة من التفاعل العملي الفوري مع الأشخاص الآخرين والأشياء المحيطة. يتم تشكيلها من خلال إعطاء أسماء للسمات المشتركة للأشياء التي يمكن التعرف عليها في الإدراك. منذ البداية، كما أكد ماركس، «إنتاج الأفكار» ينشأ من «النشاط المادي والعلاقة المادية للبشر». ومن هذا النشاط والعلاقة المادية و

المستوى الابتدائي يتكون بالفعل من مجمع من الأفكار الأولية للأشياء الخارجية وللذات وللأشخاص الآخرين من أنواع وخصائص الأشياء مثل هذه الأفكار .وصلاتها المختلفة بالأشخاص واستخداماتها لهم تعكس بشكل مباشر إلى حد ما السمات البارزة للأشياء والأنشطة البشرية كما ندركها على الفور في الإدراك. وتشكل هذه الأفكار المعدات الأساسية للفكر البشري والاتصال.

يتم التعبير عنها بكلمات تشير إلى الأشياء المألوفة، وخصائص وعلاقات الأشياء، والأنشطة اليومية.

كلنا نملك افكار. ويمثل امتلاكنا لها إنجازًا اجتماعيًا كبيرًا، لكننا نعتبرها أمرًا مفروغًا منه، ونستخدمها طوال الوقت، ويتعلمها كل طفل في سن مبكرة. هذه هي أفكارنا عن الأشياء المتعلقة بشؤوننا العادية، مثل الرجال والنساء، والطاولات، والكراسي، والسيارات، والأشجار، والزهور، والكلاب، والقطط، وما إلى ذلك ؛ الخصائص المعقولة للأشياء، مثل الأحمر والأزرق والصلب والناعم والكبير والصغير وما إلى ذلك ؛ الأعمال والعلاقات، مثل الجري، والمشي، والسقوط، وما فوق، وما إلى ذلك. من الواضح أن معداتنا الخاصة من الأفكار الأولية أكبر بكثير من معدات الإنسان البدائي، على وجه التحديد لأننا نقوم بالعديد من الأشياء ونهتم بأنفسنا مع الكثير من الأشياء والعلاقات. ومع ذلك، فإن الوعي الذي تمثله مثل هذه الأفكار الأولية لا يزال، كما قال ماركس وإنجلز، "الوعي فيما يتعلق بالبيئة الحسية المباشرة ووعي المحدودين. والصلات مع الأشخاص الآخرين والأشياء الأخرى. سمة كل هذه الأفكار الأولية هي أن لديها محتوى

ملموس وحسي، لأنه يتوافق مع الأشياء التي يمكن إدراكها مباشرة للحواس. ومع ذلك، فإن تطور الجماع الاجتماعي يؤدي إلى تكوين أفكار أكثر تجريدًا، والتي لا يمكن إدراكها بشكل مباشر.

هل يمكننا تكوين مثل هذه الأفكار، التي لا يتوافق معها أي شيء يمكن إدراكه بشكل مباشر؟ نعم، بالطبع يمكننا، ونحن نفعل ذلك. على سبيل المثال، البشر كائنات يمكن إدراكها بشكل مباشر، وخصائصها لكونها طويلة، وقصيرة، ورقيقة، وما إلى ذلك، هي خصائص يمكن إدراكها بشكل مباشر. لكننا نفكر أيضًا في البشر بعبارات أخرى غير هذه، على الرغم من أنه لا يوجد شيء واضح بشكل مباشر للحواس يتوافق مع ما نفكر فيه بشأنها. إذا رأيت رجلاً سمينًا جدًا وقلت، «إنه رأسمالي منتفخ»، فإن سمنته المحسوسة تتوافق مع كلمة «منتفخ»، لكن لا توجد ممتلكات مقابلة يمكن إدراكها تتوافق مع كلمة «رأسمالي». ومع ذلك، فإن أفكار «الرأسمالية» هي أفكار مدروسة وراسخة. إنها أفكار مجردة، لا يتوافق معها أي كائن يمكن إدراكه

بشكل مباشر. نحن، في الواقع، نستخدم مجموعة هائلة من هذه الأفكار المجردة. جميع أنواع الأفكار الاجتماعية والقانونية، والأفكار الأخلاقية، والأفكار الدينية، والأفكار العلمية، والأفكار الفلسفية - كلها مجردة، بالمعنى الذي نناقشه الآن.

أفكارنا، إذن، ليست في تطورها محصورة في انعكاس السمات المشتركة للأجسام الخارجية المعروضة على الحواس. تتشكل الأفكار دائمًا وفقًا لاحتياجات الجماع الاجتماعي. ومع تطور الإنتاج وما يترتب على ذلك من تطور علاقات الإنتاج والعلاقات الاجتماعية والنشاط الاجتماعي بشكل عام، يتم تطوير الأفكار بما يتجاوز المرحلة المحدودة من الوعي بالسمات المشتركة للأشياء المتصورة من خلال الحواس. يشكل الرجال مفاهيم وآراء عامة حول العالم وحياتهم الاجتماعية.

تتشكل هذه الأفكار الأكثر تجريدًا في أذهان البشر كنتيجة لعلاقتهم النشطة بالطبيعة الخارجية وبعضهم البعض، وتخدم تطوير الرابط

الاجتماعي على أساس تلك العلاقات. لكن لا توجد أجسام يمكن إدراكها بشكل مباشر تتوافق معها.

ولهذه الأفكار سنطبق الآن مصطلح «الأفكار المجردة»، مقارنا درجة التجريد التي تمثلها مع التحديد النسبي للأفكار الأخرى.

مراحل التجريد

ذكرنا في نهاية الفصل الأول أن الكلمات تُستخدم لانتقاء ما هو شائع بين الأحاسيس المختلفة وتجريده وتعميمه. من المهم ملاحظة أن جميع الأفكار بدون استثناء مجردة بهذا المعنى، لأن عملية تكوين الأفكار نفسها هي عملية تجريد. لذلك، عندما نطبق مصطلح «مجرد» لتمييز أفكار معينة عن أفكار أخرى، فإننا نستخدم هذا المصطلح فقط بالمعنى النسبي، مما يعني أن فكرة ما أكثر تجريدًا من فكرة أخرى، أو بالأحرى، تمثل مستوى أعلى من التجريد.

في الواقع، ليس فقط الأفكار، ولكن التصورات تنطوي أيضًا على التجريد. إن نفس عملية انعكاس الواقع المادي في الوعي هي عملية

تجريد، لأن ما ينعكس ليس، ولا يمكن أن يكون، الواقع المادي الملموس بأكمله، ولكن جوانب منه فقط. التمييز المطلق الوحيد الذي يمكن وضعه بين المجرد والملموس هو التمييز بين ملموس الواقع المادي وتجريد انعكاسه في الوعي.

يتضمن الإدراك الحسي تجريدًا من الواقع الملموس، لأنه عندما ندرك شيئًا ما، تنعكس جوانب معينة منه فقط في أحاسيسنا. على سبيل المثال، عندما أنظر إلى كرسي قبل الجلوس عليه، لا أرى سوى جزء من سطح الكرسي. في الوقت نفسه، يمكن القول إن تصورات الإحساس ملموسة مقارنة بتجريد الأفكار، لأن الأحاسيس هي إشارات لأشياء محددة ملموسة، في حين أن الأفكار تتشكل من خلال عملية تجريد أخرى. فكرة الكرسي، على سبيل المثال، هي تجريد يتكون من التصور المتكرر لكراسي معينة، وتعبر عما هو شائع في العديد من التفاصيل. وبالتالي، فإن التجريد الذي تنطوي عليه الأفكار هو أمر آخر من ذلك الذي ينطوي عليه الإدراك.

يتضمن الإدراك تجريد جوانب معينة من الشيء من الشيء الملموس، في حين أن الأفكار تجرد ما هو شائع من بين العديد من التفاصيل. وهكذا، مرة أخرى، فإن فكرة «الأثاث» أكثر تجريدًا من فكرة نوع معين من الأثاث، مثل الكرسي. وفكرة "الشيء" أو الجسد "لا تزال أكثر تجريدًا.

لكن عملية تجريد أخرى تدخل في تكوين الأفكار. عندما نجرد من التفاصيل ما هو شائع بالنسبة لهم، لا يزال الحال هو الذي يمكن إدراكه بشكل مباشر تتفق مع أفكارنا. يمكننا توضيح ما نعنيه بالكرسي، أو بقطعة أثاث، أو بجسم، من خلال الإشارة إلى كراسي أو قطع أثاث أو أجسام معينة على أنها أشياء يمكن إدراكها تتوافق مع أفكارنا. ولكن يتم الوصول إلى مستوى جديد من التجريد عندما نشكل أفكارًا لا يتوافق معها أي شيء يمكن إدراكه. وهكذا يمكنني أن أخبرك بما أعنيه بـ«رجل» من خلال لفت انتباهك إلى الرجال، ولكن

إذا كنت أريد أن أخبرك بما أعنيه بـ«حقوق الإنسان»، فهناك حاجة إلى تفسير معقد من نوع مختلف.

هناك إذن مستويين أو مرحلتين من التجريد في تطوير الأفكار؛ والفكر، في تطوره، ينتقل من المرحلة الأولى إلى المرحلة الثانية. تنشأ المرحلة الأولى عندما نشكل أفكارًا للمختلفين، بدافع التجربة المنطقية وأنواع الأشياء وخصائصها وعلاقاتها وحركاتها التي يمكن إدراكها بالحواس. تنشأ المرحلة الثانية عندما، من خلال عملية تجريد جديدة، نشكل أفكارًا عن خصائص وعلاقات وحركات الأشياء التي لا يمكن إدراكها بشكل مباشر بالحواس.

جميع الأفكار المجردة، دون استثناء، لها مصدرها من خلال الخبرة في عالم المواد الموضوعية، في العلاقات العملية للرجال مع الأشياء ومع بعضهم البعض. لأنها تجارب محددة للبشر، مستمدة من تفاعلهم مع بعضهم البعض ومع الطبيعة، مما يقودهم إلى تكوين أفكار مجردة. هذه الأفكار تخدم استمرار وتطور هذا التفاعل. وهي تعكس العلاقات

المحددة القائمة بشكل موضوعي بين الأشياء، بين البشر، وبين البشر والأشياء، والتي تُترجم في أذهان البشر من حيث الأفكار المجردة.

مصدر مهم لتطوير الأفكار المجردة هو تطوير العلاقات الاجتماعية بين الناس. وهكذا، على سبيل المثال، التنظيم البدائي للمجتمع بقواعده المعقدة حول من يمكنه الزواج مع من، ومن ينتمي إلى العشيرة، وبشكل عام، من يمكنه فعل ما يؤدي إلى مجموعة كاملة من الأفكار المجردة حول العلاقات الاجتماعية، والتي هي في الوقت نفسه نتاج تلك العلاقات الاجتماعية ومنظميها. في وقت لاحق، تظهر أفكار الوضع الاجتماعي والزعامة وما إلى ذلك. وبعد ذلك، مع تطوير الملكية، ظهرت أفكار مجردة مرتبطة بعلاقات الملكية.

فعلى سبيل المثال، عندما يكون بعض الناس قد استولوا على الأرض، تكون هناك أفكار متكونة بشأن ملكية الأراضي وما يقابلها من واجبات وحقوق وامتيازات. أفكار الملكية هذه هي أفكار مجردة، والتي لا تقابل أي شيء يمكن إدراكه على الفور للحواس. وهكذا فإن فكرة الحقل

المحروث، على سبيل المثال، هي فكرة الواقع المقدم إلى عقلنا؛ ولكن فكرة ملكية هذا المجال هي فكرة مجردة لا يقابلها أي شيء يمكن إدراكه بشكل مباشر. وبالمثل، فإن إنتاج هذا الحقل هو حقيقة ملموسة يمكن إدراكها يمكننا تناولها، على سبيل المثال؛ ولكن حق مالك الأرض في حيازة ذلك المنتج غير محسوس. لكن هذه الأفكار المجردة هي انعكاس مثالي لشيء حقيقي وموضوعي أقامته علاقات الإنتاج في مرحلة محددة من تطور الإنتاج الاجتماعي.

وتتشكل أفكار مجردة أخرى نتيجة لتطور أنشطة البشر الإنتاجية وغيرها من الأنشطة المعنية بالطبيعة الخارجية. على سبيل المثال، هذا هو مصدر الأفكار المجردة مثل تلك ذات السبب والنتيجة، ومرة أخرى، من جميع الأفكار المجردة المعنية بالعد والقياس، مثل أفكار العدد والمكان والزمان.

يبدأ الناس في مرحلة مبكرة جدًا من المجتمع في التفكير في الأسباب الأساسية التي تعمل في مختلف العمليات التي يعرفون بها والتي

يعتمدون عليها في معيشتهم. وهكذا، على سبيل المثال، يرى الناس المحاصيل تنمو أو تتكاثر وكدلك الحيوانات، وهم على دراية بما يتعين عليهم القيام به لتعزيز هذه العمليات. لكنهم لا يرون ولا يدركون الأسباب الكامنة وراء هذه العمليات، ولا يملكون أي وسيلة غير كافية للسيطرة عليها. وهكذا بدأوا في تشكيل مفاهيم القوى غير المرئية.

يوجد لدى معظم الشعوب البدائية مفهوم القوة السرية المقيمة في الرجال والحيوانات والأشياء، والتي يعتبرونها شيئًا لا يمكن إدراكه للحواس التي مع ذلك تخترق وتتحكم في كل الأشياء المعقولة. وهكذا أطلقت بعض القبائل الهندية على هذه القوة اسم واكاندا، وقال له أحد شيوخهم، وهو يحاول شرح الفكرة لعالم أنثروبولوجيا زائر: "لم ير أحد من قبل واكاندا ومن هذا النوع من الأفكار المجردة، تطورت فكرة القوى غير المرئية الأفكار المجردة للدين واللاهوت

تقسيم العمل العقلي عن العمل المادي

وتتشكل أفكار مجردة، كما نرى من هذه الأمثلة القليلة، نتيجة لعملية التنمية الاجتماعية. وربط ماركس وإنجلز تطوير الأفكار المجردة بالعملية الاجتماعية الأساسية لتقسيم العمل.

إن تكوين جميع الأفكار المجردة أيا كان نوعها، ومهما كان المصدر الخاص للأفكار - يفترض مسبقًا تطورًا معينًا للقوى الإنتاجية للبشر والعلاقات الاجتماعية. ولذلك فإنه يفترض تقسيما معينا للعمل.

يبدأ تقسيم العمل هذا في فصل المجموعة المنتجة الوحيدة أو «القطيع» إلى أفراد متميزين ليس فقط كأعضاء مختلفين في النوع، ولكن كأشخاص لديهم وظائف ومواقف اجتماعية متميزة، مع فردية. وينشأ عن ذلك الأنشطة والعلاقات والتجارب التي ينشأ عنها تكوين الأفكار المجردة. كما أنه ينهي مرحلة وعي «القطيع»، ويسمح بتطور الفكر الفردي.

مع تكوين الأفكار المجردة، يظهر تقسيم عقلي عن العمل المادي. إنه يمثل بداية مؤكدة للعقلية على أنها متميزة عن العمل المادي. وبهذا،

يبدأ ظهور الحكماء والشيوخ والقادة من مختلف الأنواع الذين هم المتخصصون في الأفكار والذين يشرحونها ويطورونها. يتطور هذا التخصص في الأفكار باعتباره سمة لا غنى عنها للحياة الاجتماعية؛ لأنه بدون أفكار، لا يمكن الحفاظ على تقسيم العمل وما يترتب عليه من عمليات إنتاجية وعلاقات اجتماعية مختلفة أو تطويره. وهكذا لاحظ ماركس وإنجلز: «لا يصبح تقسيم العمل إلا منذ اللحظة التي يظهر فيها تقسيم العمل العقلي والمادي». بشكل عام، يتوافق تكوين الأفكار المجردة مع الاحتياجات الاجتماعية الجديدة الناشئة. في الوقت نفسه، تطوير الأفكار لتصبح شكلا خاصا من أشكال النشاط الاجتماعي، وبمجرد تكوين فكرة مجردة وتجسيدها في الكلمات، تنشأ إمكانية أن يتم أخذ هذه الكلمات للإشارة إلى أنواع خاصة من الأشياء الموجودة بصرف النظر عن الأشياء الموجودة في العالم المادي والتي تنعكس في التصورات المعنوية. وهذا الاحتمال هو أنه كلما كان من

المناسب تحقيقها، كلما أصبح التعامل مع الأفكار المجردة نشاطًا اجتماعيًا خاصًا منفصلاً عن العمل المادي.

من الواضح أن هذا يحدث بالضبط مع مفاهيم القوى غير المرئية، والكائنات الخارقة للطبيعة، وما إلى ذلك. ، ويعمل السحرة أو الكهنة أو اللاهوتيون المتخصصون في مثل هذه الأفكار على وضع أكثر المذاهب تفصيلاً من حيث عددهم. لكن الأوهام المماثلة يمكن أن .تنمو حول جميع الأفكار المجردة

لا يوجد كائن يمكن إدراكه بشكل مباشر لا يتوافق مع الأفكار المجردة. .لكنها تتعلق بأشياء يمكن إدراكها

لشرح فكرة مجردة، لقول ما تعنيه الكلمة المجردة التي تم تجسيدها، من الضروري الإشارة إلى الأشياء والعمليات المحددة التي يمكن إدراكها وعلاقاتها التي تنعكس في الفكرة المجردة. من ناحية أخرى، من الممكن نسيان الواقع الملموس الذي ينعكس في الأفكار المجردة، والتلاعب

بهذه الأفكار كما لو كانت تتعامل مع عالم منفصل من التجريدات التي تم الكشف عنها للفكر، ولكنها مستقلة عن عالم التجربة والممارسة.

كتب لينين أن تعامل العقل مع شيء معين، ليس عملاً بسيطًا ومباشرًا، أو انعكاسً مرآة بلا حياة، ولكنه عمل معقد، مزدوج، متعرج، يأوي احتمال أن الخيال قد يبتعد تمامًا بعيدًا عن الواقع. علاوة على ذلك، فإنه ينطوي على احتمال تحويل الفكرة المجردة، بشكل غير محسوس وغير مقصود، إلى خيال وعلى المدى الطويل، حتى أبسط تعميم وفكرة عامة أولية هي جزء من الخيال.

هذا «الابتعاد» عن الفكرة المجردة عن الواقع هو أنه كلما كان من الممكن حدوثه، زاد فصل العمل العقلي عن العمل المادي، وكلما كان النشاط النظري منفصلاً عن النشاط العملي.

ومع تطور الأفكار المجردة، إذن، لم يعد التفكير مرتبطًا بسمات الأشياء وعلاقات الأشخاص والأشياء التي ندركها على الفور.

في الممارسة العملية من خلال الحواس. ولمجرد أن التفكير يصبح الجزء الخاص للعقلية المتميزة عن العمل المادي، فإنه ينفصل أكثر عن ممارسة وتجارب الحياة العملية العادية. يصبح بإمكانه صياغة جميع أنواع المفاهيم العامة والآراء العامة حول العالم والمجتمع. ما نعتقد أنه يختلف عما نختبره أو نتصوره.

كتب ماركس وإنجلز: "من هذه اللحظة فصاعدًا، يمكن للوعي أن يقنع نفسه حقًا بأنه شيء آخر غير الوعي بالممارسة الحالية، أنه يتصور شيئًا ما حقًا دون تصور شيء حقيقي [أي شيء يمكن إدراكه مباشرة للحواس.]. من الآن فصاعدًا، أصبح الوعي في وضع يمكنه من تحرير نفسه من العالم والمضي قدمًا في تكوين النظرية "النقية" واللاهوت والفلسفة والأخلاق وما إلى ذلك.

تعلم كيفية التفكير

الشرط لتطوير الأفكار المجردة هو فصل العمل العقلي عن العمل المادي. ويحتوي في حد ذاته على إمكانات متناقضة. من ناحية، يسمح

باكتساب معرفة أعمق بالصلات الحقيقية للأشياء وظروف الوجود البشري مما هو وارد في الوعي الإدراكي الفوري. ومن ناحية أخرى، يسمح بنمو جميع أنواع التخيلات والأوهام.

وبالتالي، فإن عملية التطور الفكري للمجتمع برمتها تنطوي على جوانب متناقضة. من ناحية، كان هناك نمو لا شك فيه للمعرفة الحقيقية وبعبارة أخرى، الأفكار الحقيقية، التي تم التحقق من توافقها مع الواقع، فيما يتعلق بالطبيعة والمجتمع وعلاقات البشر بالطبيعة. من ناحية أخرى، كان هناك نمو وتفصيل للأفكار الوهمية. فتطور البشر في أذهانهم أوهام عن أنفسهم والعالم الذي يعيشون فيه. أضافت كل حقبة إلى مجموع المعرفة البشرية. وفي الوقت نفسه، أنتجت كل حقبة أوهامها المميزة، والتي حددت واخترقت ولونت الإنتاج الفكري الكامل لتلك الحقبة.

وهنا، إذن، نجد جذور الصراع بين الميول المادية والمثالية التي سارت بشكل صحيح خلال تطور الفكر بأكمله.

إن صراع الميول المادية والمثالية هو صراع أساسي، ناشئ عن طبيعة الفكر نفسه، بمجرد أن تتطور إلى مستوى الأفكار المجردة. تنشأ مع فصل العمل العقلي عن العمل المادي. عندما يبدأ العمل العقلي أولاً في «تحرير نفسه من العالم» كنشاط نظري، و «أن يصبح شيئًا آخر غير الممارسة الحالية»، ثم ينشأ على الفور المسارين البديلين للنظرية - السعي لفهم الأشياء في روابطهم الخاصة وشرح ما يحدث في العالم المادي من العالم المادي نفسه، وهو المادية ؛ أو الانطلاق إلى عالم الفكر الخالص وتمثيل العالم المادي الحسي باعتباره يعتمد على الفكر ونتاج الفكر، وهو المثالية.

بعبارة أخرى، اعتبار الوجود يسبق الفكر او ان الفكر يسبق الوجود. من المفهوم في ضوء ذلك، أن صراع النزعة المادية في الفكر ضد النزعة المثالية يُفهم على أنه صراع، المضي قدما عبر عصور التاريخ البشري من الأزمنة البدائية حتى يومنا هذا وإلى المستقبل، لتعلم التفكير بصدق وصواب، بطريقة تعكس بصدق الظروف الحقيقية للوجود

البشري وتساعد على تقدم الإنسان. إنه النضال من أجل المعرفة والتنوير ضد الجهل والخرافات.

الفصل السادس

الأيديولوجيا

تُستخدم الأفكار المجردة في صياغة آراء أكثر أو أقل منهجية حول الأشياء، أو الأيديولوجيات، التي تطورت من قبل مجموعات اجتماعية محددة في مراحل محددة من التنمية الاجتماعية. يعتمد التطور الأيديولوجي على تطوير الحياة المادية للمجتمع، وتخدم الأيديولوجيات المصالح الطبقية. في الوقت نفسه، يجب دائمًا جعل الأيديولوجيات تلبي متطلبات فكرية معينة. ومن ثم تنشأ تناقضات مستمرة في التطور الأيديولوجي، وانتقاد الأيديولوجيات. ومن هنا .تتعايش عناصر الحقيقة والوهم في الأيديولوجيات

في سياق تطور المجتمع تستخدم الأفكار المجردة لوضع نظريات، أو مذاهب، أو وجهات نظر أكثر ،أو أقل منهجية حول الأشياء. الآراء العامة وطرق التفكير، ونظم الأفكار المجردة، تصبح سمة من سمات .نظرة مجتمع بأكمله، أو لشريحة من المجتمع

وتوجد اختلافات كبيرة بين الآراء المطروحة في مختلف المجتمعات وفي مختلف مراحل التطور الاجتماعي. كل منها يمتلك وجهات نظره الاجتماعية النموذجية للسياسة والأخلاق والقانون والملكية والدين والفلسفة - وهذه الآراء

اختراق التفكير الاجتماعي في جميع المواضيع الخاصة، وتشكيل وتأثير تطوير أفكار جميع الأفراد.

مع تطوير الملكية الخاصة والدولة، على سبيل المثال، يتم دائمًا تشكيل أفكار مجردة حول «الحقوق» القانونية والسياسية. لكن في مراحل مختلفة من تطور الملكية، الآراء التي يتم الاحتفاظ بها حول الحقوق – النظريات التي يتم العمل بها، فإن المذاهب المنهجية حول الحقوق - تختلف اختلافًا كبيرًا. في مجتمع العبيد، كان يُعتقد أن العبيد ليس لديهم حقوق مهما كانت. في المجتمع الإقطاعي، كان يُعتقد أن لكل شخص حقوقًا، لكن طابع حقوقه يعتمد على موقعه الفعلي في النظام الإقطاعي، بحيث لا تكون حقوق القنص مساوية لحقوق السيد.

مع صعود الرأسمالية، بدأت نظرية «حقوق الإنسان» تتشكل برأي مفاده أن كل رجل، ببساطة كإنسان، يمتلك بعض «حقوق الإنسان غير القابلة للتصرف» التي هي نفسها لجميع الرجال وكان هناك قدر كبير من الجدل فيما يتعلق بالتعريف الدقيق لهذه الحقوق وما يمكن استنتاجه منها.

مرة أخرى، منذ بدايات الإنتاج الاجتماعي، شكل الناس أفكارًا مجردة حول العمليات السببية في الطبيعة. لكن في مراحل مختلفة من المجتمع، تباينت الآراء حول السببية في الطبيعة بشكل كبير. النظرية الأكثر بدائية هي نظرية الأحيائية، التي تنضر لكل شيء كما لو كان حيا وواعيا. في وقت لاحق، تم التخلي عن الأحيائية، وأصبح يعتقد أن كل شيء موجه من خلال شكلها أو مبدأها المحدد، الذي يحدد طبيعتها ومكانتها في التسلسل الهرمي للوجود وطرقها الخاصة للتصرف على أشياء أخرى والتفاعل معها. تم تفصيل وجهة النظر هذه حول السببية بتفصيل كبير خلال العصور الوسطى. ثم طور مرة أخرى النظرة الآلية للسببية التي كانت سمة في بداياتها للعلوم الطبيعية الحديثة، والتي بموجبها تحكم حركات جميع الأجسام مجموعة واحدة من القوانين الطبيعية وكل ما يحدث يتم تحديده من خلال التفاعلات الخارجية للأجسام التي تحدث وفقًا لهذه القوانين.

وتسمى مثل هذه الآراء المنهجية إلى حد ما، والتي تحدثها تاريخيا مجموعات اجتماعية محددة في مراحل محددة من التطور الاجتماعي، والتي تختلف حسب أصلها الاجتماعي، أيديولوجيات. ويسمى تطوير مثل هذه الآراء التطور الأيديولوجي.

الأساس المادي لأيديولوجية التطور الأيديولوجي هو في الأساس منتج اجتماعي وليس فرديً. في التعامل مع تطوير الأيديولوجية، نحن نتعامل مع التطور الاجتماعي للأفكار. نحن لسنا مهتمين بكيفية تكوين الأفكار وتطويرها في عقل الفرد، كما هو الحال مع كيفية تشكيل تيارات واسعة من الأفكار كخاصية لمرحلة اجتماعية كاملة التطور.

بالطبع، يساهم الأفراد كأفراد، وفقًا لقدراتهم وظروفهم، في تكوين الأيديولوجيات. من ناحية أخرى، فإن الأيديولوجيات السائدة أو الصاعدة في المجتمع تشكل دائمًا خلفية وشرط وتطور آراء ووجهات نظر كل فرد في المجتمع. الأفراد، في آرائهم ووجهات نظرهم، يتأثرون

دائمًا بالأيديولوجيات، ويعبرون عنها، في سياق التطور الاجتماعي، هناك تغيير وتطور في الأيديولوجية. أيديولوجية واحدة تحل محل أخرى.

وفي نفس المجتمع، تتفاعل الأيديولوجيات المختلفة والمتنافسة وتتصادم مع بعضها البعض. لكن الأيديولوجية ليس لها تطور مستقل. لا يوجد «تاريخ فكري»، بغض النظر عن تطور الظروف المادية للحياة الاجتماعية.

الأيديولوجية هي دائمًا أيديولوجية الأشخاص المحددين، الذين يعيشون في ظروف محددة، اعتمادًا على حياتهم على نمط إنتاج محدد، مع علاقات اجتماعية محددة، والقيام بأشياء محددة برغبات وأهداف محددة. وأيديولوجيتهم لم تتشكل بعزلة عن حياتهم المادية.

لقد انطلقنا من بشر حقيقيين ونشطين، «كتب ماركس وإنجلز»، وعلى أساس عملية حياتهم الواقعية، نثبت تطور ردود الفعل الأيديولوجية وأصداء هذه الحياة. تعتبر الأفكار التي تشكلت في

الدماغ البشري، بالضرورة، سامية لعملية حياتها المادية، والتي يمكن التحقق منها تجريبيًا ومرتبطة بالمباني المادية. الأخلاق والدين والميتافيزيقيا وكل بقية الأيديولوجيا وأشكال الوعي المقابلة لها، وبالتالي لم تعد تحتفظ بمظهر الاستقلال. ليس لديها تاريخ ولا تطور؛ ولكن البشر، الذين يطورون إنتاجهم المادي وتفاعلهم المادي، يغيرون، إلى جانب ذلك، وجودهم الحقيقي وتفكيرهم ومنتجات " تفكيرهم.

وتكوين الأفكار المجردة والحاجة الاجتماعية إلى التطور الأيديولوجي لهذه الأفكار. تتطور الأيديولوجيات ليس كنتيجة للعمل الداخلي لعقول البشر بشكل مستقل عن الحياة المادية للمجتمع، ولكن نتيجة لتطور الحياة المادية للمجتمع، مما يحد من منتجات الإنتاج الفكري. لذلك، في المجتمع المنقسم بين الطبقات، تتخذ الأيديولوجيات طابعًا طبقيًا.

يتم تطوير وجهات نظر مختلفة على أساس الأماكن المختلفة التي تشغلها طبقات مختلفة في الإنتاج الاجتماعي، وعلاقاتها المختلفة بوسائل الإنتاج، وأدوارها المختلفة في التنظيم الاجتماعي للعمل، وطرقها المختلفة للحصول على نصيبها من الثروة الاجتماعية، ومصالحها المادية المختلفة. وهكذا يتم تطوير الأيديولوجيات المختلفة لخدمة مصالح الطبقة المختلفة.

الانعكاس الأيديولوجي للواقع

إذن، فإن التطور الأيديولوجي يحكمه التطور المادي للمجتمع من خلال تطوير الإنتاج وعلاقات الإنتاج والطبقات والصراع الطبقي. ومن ثم فإن الأسباب التي تدفع إلى التطور الأيديولوجي في اتجاه أو آخر توجد دائما، في التحليل الأخير، ليس في مجال التطور الأيديولوجي نفسه، بل في مجال ظروف الحياة المادية. لشرح، على سبيل المثال، لماذا حلت الفكرة البرجوازية لحقوق الإنسان محل الفكرة الإقطاعية للحقوق، ومن الضروري النظر في التغييرات التي

تحدث في طريقة إنتاج الحياة المادية لهذه التغييرات والتي أدت إلى تناقض بين الفكرة الإقطاعية للحقوق والحقوق الفعلية التي كان الاعتراف بها ضرورياً لمواصلة طريقة الإنتاج البرجوازية، واستلزم تغيير فكرة الحقوق لتتوافق مع الواقع.

وبالمثل، في مجال الأفكار حول الطبيعة، أعطت هذه التغييرات نفسها في طريقة الإنتاج اتجاهًا جديدًا لتطوير الأفكار حول الطبيعة. وبشكل عام، تم استبدال الأيديولوجية الإقطاعية بالأيديولوجية البرجوازية، لأنه في الحياة المادية للمجتمع، والعلاقات الاجتماعية الإقطاعية تحل محلها العلاقات الاجتماعية البرجوازية.

لكن في الوقت نفسه، فإن التطور الأيديولوجي، كتطور للتفكير المجرد، له سماته الخاصة، وقوانينه الداخلية الخاصة به. يتحدد اتجاهها من خلال تطوير الحياة المادية للمجتمع، وكل أيديولوجية على أساس علاقات وأنشطة اجتماعية مادية محددة لخدمة مصالح مادية محددة.

ولكن لا يزال صحيحا مع ذلك أن الأيديولوجية يجب أن تلبي دائما بعض المتطلبات الفكرية، وأن هذه المتطلبات تطرح باستمرار وتلبى في سياق التطور الأيديولوجي.

تم تطوير الأيديولوجيات لخدمة مصالح طبقية محددة. وهي أدوات فكرية، وأسلحة فكرية، تصنعها وتصوغها طبقات محددة تتفق مع الوضع المادي لتلك الفئات ومتطلباتها. ولكن لمجرد أنها أدوات فكرية وأسلحة فكرية، لكي تكون صالحة للاستخدام، يجب أن تلبي المتطلبات الفكرية.

ويجب عليها أن تلتزم بقواعد العمل بالأفكار، مثلما يجب، على سبيل المثال، أن تلتزم الأدوات المادية والأسلحة المادية بقواعد العمل مع المعادن، على سبيل المثال.

من ماذا تنشأ هذه المتطلبات الفكرية الداخلية للتنمية الأيديولوجية؟ إنها تنشأ من حقيقة أن علم العذاب هو انعكاس للعالم المادي الحقيقي في شكل أفكار مجردة. وكل أيديولوجية هي محاولة يقوم بها

الناس لفهم العالم الحقيقي الذي يعيشون فيه، أو بعض جوانبه وحياتهم، ولكي تكون خدمتهم في الظروف المحددة التي يعيشون فيها. لذلك يجب أن يسعوا دائمًا لتطوير

باعتبارها نظاما متماسكا للأفكار يتوافق مع الحقائق بقدر ما اختبروها وتأكدوا منها.

هذا يفرض متطلبات فكرية لتلبية الأيديولوجيات، وإشباعها هو .قانون يعمل باستمرار ويؤثر على تطوير الأيديولوجيات

ويجب جعل الأيديولوجيات تفي، في المقام الأول، بالمتطلبات العامة لانعكاس الواقع في الأفكار، أي قوانين المنطق. وفي المقام الثاني، يجب عليها أن تفي بالمتطلبات الخاصة لانعكاس جزء معين من الواقع، أي .أن تجعلها تتوافق مع الحقائق بقدر ما اختبرها الناس وتحققوا منها

ولذلك، فإن الأيديولوجيات توضع على أساس الهيكل المعين للمجتمع لخدمة مصالح فئة أو أخرى، وفي هذا التطور الأيديولوجي، يبذل الجهد دائما لجعل الآراء المستحدثة متسقة ومنطقية، وجعلها تغطي

الحقائق الرئيسية التي تظهر في تجربة المجتمع في مرحلة معينة من التنمية وتقدم بعض التفاصيل المتسقة عنها.

وهذا يثير تناقضات مستمرة في تطوير الأيديولوجيات. فمن ناحية، تثبت الآراء التي وضعها ممثلو مختلف الفئات أنها غير متسقة منطقيا وتتعارض مع الحقائق الواضحة؛ ومن ناحية أخرى، تؤدي الحقائق ومتطلبات المنطق إلى استنتاجات لا تتفق مع الآراء المتشددة. وتؤدي هذه التناقضات إلى عملية مستمرة من التطور.

حيث يسعى الأيديولوجيون إلى إيجاد السبل والوسائل لحلها.

انتقاد الأيديولوجيات

بغض النظر عن مجال الأفكار المعني، فإن تطوير الأفكار يعبر عن الجهد المبذول لمناقشتها، وجعلها متسقة، وتقديمها بشكل منطقي، وتكييفها مع حقائق التجربة. ويلعب هذا الجهد دورًا رئيسيًا في التحليل التفصيلي للأيديولوجيات. والواقع أنه كلما درسنا بشكل ملموس تطور أيديولوجيات معينة - أي كلما درسنا تطورها بالتفصيل، بدلا

من حصر الانتباه في أكثر سماتها عمومية، كان من الضروري مراعاة الجانب الفكري للتطور الأيديولوجي. من أجل محاولة موائمة الأفكار مع الحقائق، والقضاء على التناقضات وتقديم حالة متسقة، يؤثر بشكل كبير على التطور الحقيقي للأفكار. وفي سياق هذا التطور، يصبح حتمًا التعبير عن العلاقات الاقتصادية والمصالح الطبقية في مجال أفكار معين أقل وضوحًا وأقل مباشرة وأكثر غموضًا.

وهكذا كتب إنجلز، على سبيل المثال، عن تطور الأيديولوجية القانونية: "يجب ألا يتوافق القانون مع الوضع الاقتصادي العام وأن يكون تعبيرًا عنه فحسب، بل يجب أن يكون أيضًا تعبيرًا متماسكًا داخليًا لا يقلل من نفسه إلى لا شيء بسبب التناقضات الداخلية.... وهكذا فإن مسار «تنمية القانون» إلى حد كبير [أي: وتطور الأيديولوجية القانونية -. وبعد ذلك في الانتهاكات المتكررة التي تحدث في هذا النظام بتأثير وضغط المزيد من التنمية الاقتصادية، التي

تنطوي عليه من تناقضات أخرى ". تتم نفس العملية في جميع المجالات الأخرى.

الأيديولوجيات دائمًا ما تكون ضعيفة بشكل خاص وقابلة للنقد على خلفية التناقض الذاتي والفشل في التعامل مع الحقائق المجربة.

أولئك الذين، كممثلين فكريين لطبقة معينة، يتبنون وجهة نظر عامة في الأيديولوجية، تدفع دائما لهذا السبب إلى صياغة أيديولوجيتها، مما يقودها إلى إنشاء هياكل أيديولوجية معقدة جدا وبعيدة المنال في كثير من الأحيان. ثم مرة أخرى، كما لاحظ إنجلز، أصبحت الهياكل غير مناسبة لخدمة المصالح المعطاة في ظروف جديدة، وتبدأ العملية من جديد. هذا يظهر نفسه في الفلسفة، على سبيل المثال، في مضاعفة «أنظمة» الفلسفة.

إذا استمرت عملية النقد هذه في تطوير أيديولوجية طبقة معينة، فإنها تتخذ شكلاً مختلفًا وأكثر حدة عندما تبدأ، على أساس عوامل جديدة في الحياة المادية للمجتمع، في تكوين آراء جديدة ومتنافسة،

تعبر عن مصالح الطبقات المختلفة. ولا تظهر مثل هذه الآراء الجديدة حتى يولدها تطور الحياة المادية. ولكن بمجرد ظهورها، فإنها تهاجم من وجهة النظر الجديدة التناقضات المتعددة للآراء الراسخة بالفعل. إنهم يستخدمون المنطق ويناشدون الحقائق كأسلحة فكرية قوية لتشويه سمعة وجهات النظر القديمة وهدمها.

غالبًا ما أخطأ مؤرخو الأفكار بمحاولة فهم التطور الأيديولوجي حصريًا من حيث طرح المتطلبات الفكرية وإشباعها. كما أشار ماركس وإنجلز، لا يمكن فعل ذلك، حيث لا يمكن للمرء أن يقول لماذا يجب أن تظهر وجهات نظر جديدة في أوقات معينة، أو لماذا يجب أن تكون الآراء من نوع واحد وليس آخر، دون البحث عن الأسباب في الحياة المادية للمجتمع. لكن من المستحيل أيضًا تتبع تطور الأيديولوجيات دون مراعاة المتطلبات الفكرية. والماركسية بالتأكيد لا نقول إنه ينبغي لنا أن نحاول القيام بذلك.

هذا هو الخطأ المعاكس الذي وقعت فيه بعض مدارس علماء الاجتماع، أي أولئك الذين يعتنقون عقيدة «الحتمية الاقتصادية»، التي تعتبر النشاط الاقتصادي الوكالة الوحيدة التي تحدد التنمية الاجتماعية بأكملها من جميع جوانبها. إذا فشلوا في إدراك أنه في الأيديولوجية تحدث عملية انعكاس العالم الحقيقي في أفكار الرجال، فإنهم يعتبرون الأيديولوجية حصريًا تطورًا لأفكار مختلفة تعبر عن مواد مختلفة وعن المصالح الاسمية. هذا يقودهم إلى استنتاجين. فمن ناحية، يخلصون إلى أنه لما كانت جميع الأفكار مجرد أدوات عملية تخدم مصالح مادية مختلفة، فلا يمكن لأي أفكار، بما في ذلك أفكارها، أن تدعي بشكل صحيح أنها تعكس الواقع بحيث تكون كل أيديولوجية، بما في ذلك أيديولوجيتها، وهمية مثل أي أيديولوجية أخرى من جميع النواحي. من ناحية أخرى، يتم دفعهم إلى استثناء أنفسهم وأفكارهم الخاصة، حيث يمثلون أنفسهم كأشخاص مميزين الذين، بمعجزة فكرية ما، تجاوزوا كل وجهة نظر طبقية ويمكنهم

النظر إلى بقية البشر من برج عاجي و«موضوعية» كاملة ومطلقة. في

.كلتا الحالتين، من الواضح أنهم متورطون في تناقض الذات

ومع ذلك، كان هناك دائمًا ودائمًا أساس لانتقاد الأيديولوجيات من

حيث العقل والخبرة، أي مقارنتها النقدية بالواقع. وقد تم إجراء هذه

المقارنة باستمرار في التطور الأيديولوجي نفسه. لم ينفذه أشخاص

تمكنوا من فصل أنفسهم عن الحياة الاجتماعية، لأن هؤلاء

الأشخاص غير موجودين؛ ولكنها نفذت في سياق التطور الطويل

للممارسات الإنسانية

وإنتاج العلم والصراع الطبقي.

وهكذا يحدث في تطور الأيديولوجيات تطور في الانعكاس الصادق

والمتماسك للعالم الحقيقي في أفكار البشر. من أجل العملية المستمرة

لحساب الحقائق والسعي لتحقيق الاتساق على الرغم من كل الخداع

الفكري، والتوسل الخاص، والاختراع، والخيال، والصوفية،

والتناقض الذي يصاحبها في كل مرحلة - تسفر باستمرار عن نتائج

إيجابية. ويتم التحقق باستمرار من هذه النتائج وتوحيدها وانتقادها والمضي قدمًا من خلال الممارسة المتطورة للبشرية.

الحقيقة والوهم في الأيديولوجيات

جميع الأفكار هي انعكاس للواقع المادي الموضوعي، وهو مصدرها النهائي. لكن بينما، كما رأينا للتو، هناك تطور في أيديولوجية الانعكاس الواقع في الأفكار، يحدث هذا وسط تطور لجميع أنواع الأوهام، وانعكاس مشوه ورائع للواقع.

وتعبر معارضة الحقيقة والوهم في التطور الأيديولوجي عن حقيقة أن انعكاس الواقع في الأفكار يتم بطرق مختلفة، من خلال عمليات مختلفة، بطرق مختلفة. إحدى الطرق التي يتم بها تكوين أفكارنا حول الأشياء وتفصيلها هي في عملية تفاعلنا العملي مع الأشياء، القائمة على التجربة العملية والمختبرة، والمزيد من التطوير من خلال البحث العلمي للعمليات الحقيقية، والخصائص الحقيقية للأشياء وحركاتها وترابطها. بقدر ما تتشكل الأفكار حول الأشياء بهذه الطريقة، فإن

الأفكار والاستنتاجات المتعلقة بها والمتجسدة في الأيديولوجيات تكون صادقة إلى حد ما، أي أنها تعكس الواقع بشكل أو بآخر وتتوافق معه. لكن هذه ليست الطريقة الوحيدة التي تتشكل بها الأفكار. كما يتم تشكيلها بطريقة غير مباشرة وملتوية. والأفكار التي تشكلت بطريقة غير مباشرة وملتوية لها تأثير عميق في تشكيل الأيديولوجيات.

تتضمن هذه العملية الدوارة التي تدخل في تشكيل الأيديولوجيات ثلاث خطوات رئيسية. أولاً، تتشكل الأفكار المجردة على أساس العلاقات الاجتماعية المختلفة وتجارب الناس. ثانيًا، يتم فصل تلك الأفكار المجردة عن التجارب والعلاقات الفعلية التي استخلصت منها. ثالثًا، يتم بعد ذلك وضع كل من الاستنتاجات الخاصة والأفكار العامة حول جميع أنواع الأشياء بمساعدة تلك الأفكار المجردة.

على سبيل المثال، عندما ينقسم المجتمع إلى طبقات ويتشكل طبقة حاكمة، على أساس العلاقات الاجتماعية المحددة والخبرات والأنشطة الاجتماعية، تتشكل الفكرة المجردة للعلاقة بين الحاكم

والمحكوم وسلطة وامتيازات الحاكم. والخطوة التالية هي فصل هذه الفكرة المجردة عن التجارب والعلاقات الفعلية التي اشتقت منها في الأصل، واعتبارها تعبيرًا عن حقيقة عامة عن الكون، والخطوة الثالثة والأخيرة هي المضي قدمًا في تفسير العلاقات الاجتماعية القائمة، وتفسير الطبيعة.

عندما تتشكل الأفكار حول الأشياء وتعمل بهذه الطريقة، فهذا يعني أننا نتعامل مع الأشياء ببعض المفاهيم المسبقة الثابتة بشكل أو بآخر عنها بالفعل في أذهاننا. في الواقع، غالبًا ما تكون هذه المفاهيم المسبقة ثابتة في أذهاننا نتيجة للتعليم والعادة، لدرجة أننا لا نفكر أبدًا بالتشكيك فيها، ولكن نعتبرها بديهيات وطبيعية وطرق تفكير واضحة. ثم نشكل وجهات نظرنا العامة واستنتاجاتنا الخاصة حول الأشياء ليس نتيجة للتحقيق النقدي والتحقق العملي من الاستنتاجات، ولكن بشكل مستقل عن الممارسة، دون نقد، دون تحقيق.

عندما تتشكل الأفكار حول الأشياء بهذه الطريقة، فإنها تتوقف عمومًا عن أن تكون صادقة وتصبح وهمية إلى حد ما.

إنها لا تعكس الواقع وتتوافق معه بشكل صحيح، لكنها، على العكس .من ذلك، تعطي صورة خاطئة، أو وهمية، أو رائعة أو مشوهة للواقع

ومع ذلك، فإن الأوهام تقوم دائمًا على الواقع. إنها ليست اختراعات محضة للعقل، لكنها تنشأ، كما رأينا للتو، من خلال عملية تشكيل أفكار من مصدر واحد، ثم تعميمها واستخدامها كمفاهيم مسبقة مطبقة في العديد من السياقات المختلفة، والامتناع عن التكوين .النقدي للأفكار والتحقق منها بالممارسة والتجربة الفعليتين

كل وهم له مصدره في الواقع. وهو يعكس ظروفا محددة للحياة المادية، تنشأ عن علاقات وخبرات وأنشطة اجتماعية محددة. هذا هو السبب في أن العديد من الأوهام مستمرة. إنها ليست مجرد مسألة تلقين لأفراد الذين لديهم أفكار وهمية معينة، ولكنها مسألة علاقات

اجتماعية قائمة تولد باستمرار أوهامًا معينة، وهذه الأوهام تخدم مصالح مادية محددة.

الأوهام تأخذ شكلين رئيسيين. في المقام الأول، هناك أوهام حول المفاهيم الخاطئة للأشياء الحقيقية للعمليات والعلاقات الحقيقية المألوفة في التجربة والممارسة. مثل هذا، على سبيل المثال، الوهم بأن بعض العلاقات الاجتماعية والمؤسسات تتبع من الإنسان الطبيعة، أو كانت مرسومة من قبل العقل.

في المقام الثاني، تتطور الأوهام إلى أساطير وخيال محض، واختراع أشياء خيالية. وبالتالي فإن الناس لا يسيئون فهم الطبيعة والمجتمع فقط، وكلاهما موجود بالفعل، ولكنهما يشكلان أيضًا أفكارًا عن الجنة والجحيم، والعالم الروحي، وما إلى ذلك، والتي ليس لها وجود ؛ .يخترعون كائنات وهمية، مثل الجنيات

وفي هذا الصدد، ينبغي أن نلاحظ أنه لا يمكن ببساطة مساواة الوهم بالخطأ. وبطبيعة الحال، فإن الوهم خطأ؛ لكنه نوع خاص من الخطأ.

لنفترض، على سبيل المثال، أن شخص ما يقول إن ثلاثة عشر تربيع يساوي (بما أن الإجابة الصحيحة هي 169). لكن لنفترض، من ناحية أخرى، أنه يقول إن ثلاثة عشر هو رقم سيئ الحظ. هذا ليس مثل خطأ في الحساب، والذي يمكن أن يرتكبه أشخاص يمتلكون الأفكار الصحيحة الكاملة حول الأرقام. إنه يعبر عن وهم، وهو الوهم بأن الأرقام محظوظة أو سيئة الحظ. مثل هذا الخطأ لا ينشأ ببساطة من خطأ في العمل بالأرقام، ولكنه ينشأ من التطبيق على الأرقام الأفكار المسبقة حول الحظ والتي، على الرغم من أن لديها المصدر المحدد في التجربة والممارسة، يطبق خطأ ودون نقد على الأرقام.

وبالمثل، إذا قال أحدهم إن الدستور البريطاني قدمه أوليفر كرومويل إلى البرلمان، فهذا بيان خاطئ، ناشئ عن دراسة غير كافية للتاريخ الدستوري البريطاني. لكن لنفترض أنه يقول إن الدستور البريطاني هو تعبير عن العبقرية الفريدة للعرق الأنجلو ساكسوني، أو هو هدية الله للشعب البريطاني. هذه التصريحات، رغم أنها خاطئة أيضًا،

ليست مجرد أخطاء في التاريخ. تنشأ من التطبيق على الشؤون

.الاجتماعية مسبقًا، ولكنها أفكار ناتجة عن العنصرية

وبالتالي فإن الأوهام تشكل نوعًا خاصًا من الخطأ، ناشئًا عن أسلوب

.محدد من سوء فهم الأشياء من حيث الأفكار المسبقة

الأيديولوجيا العلمية والوهمية

كلتا عمليتي تكوين الأفكار المجردة - أي عملية تشكيل أفكار أكثر أو

أقل صدقًا بشكل نقدي من خلال التجربة العملية والتفاعل مع

الأشياء، وعملية تشكيل أفكار وهمية إلى حد ما مثل

المفاهيم المسبقة المطبقة في تكوين الآراء - الدخول في تكوين

أيديولوجيات فعلية. في الوقت نفسه، قد تهيمن إحدى هذه العمليات

أو غيرها على دستور أيديولوجيات معينة، بحيث تكون علمية في

الغالب في حالة واحدة أو في الغالب وهمية وغير علمية في حالة أخرى

هذا خطأ بسيط، خطأ في حساب مربع 66

المتقفون المحاضرون للطبقات المحددة، ويتوافق مع الموقف الفعلي ويخدم متطلبات الطبقات المحددة في صراعهم الطبقي. ولما كان الأمر كذلك، يمكننا أن نرى كيف تتفاعل العمليتان حتماً وتتفاعلان في تكوين الأيديولوجيات الطبقية.

من ناحية أخرى، بقدر ما تتطلب مصالح الطبقة قربا حقيقيًا من الواقع بناءً على بحث نقدي من نوع ما، فإن أيديولوجيتها تحتوي على عنصر علمي. على سبيل المثال، تتطلب المصالح الطبقية للطبقة الرأسمالية بالتأكيد القيام بعمل كبير لاكتشاف القوانين الحقيقية التي تحكم العمليات الطبيعية المختلفة، وتلعب مثل هذه الاكتشافات دورها في الأيديولوجية البرجوازية.

في الواقع، تتشكل الأيديولوجية البرجوازية من خلال تطوير كلتا العمليتين. وهذا يثير تناقضات في تطورها، حيث أن نواتج العمليتين تتناقض باستمرار ويجب السعي إلى حل مثل هذه التناقضات في تطوير الأيديولوجية.

وينطبق الشيء نفسه على أيديولوجيات الطبقات الأخرى، على الرغم من أن العنصر العلمي أقوى بكثير في الأيديولوجية البرجوازية، بحيث أصبحت التناقضات أكثر حدة.

وهكذا، في تطوير الفلسفة البرجوازية، على سبيل المثال، كان هناك جهد مستمر للتوفيق بين الاكتشافات العلمية والمفاهيم البرجوازية المسبقة. إن الطريقة الأكثر وضوحا التي عبر بها هذا التناقض عن نفسه في الفلسفة البرجوازية هي في التناقض بين الصورة المادية للعالم التي توفرها الاكتشافات العلمية والآراء الدينية التي تشكل جزءا أساسيا من المفاهيم الإيديولوجية المسبقة. وقد سعى الفلاسفة باستمرار إلى إيجاد السبل والوسائل الكفيلة بحل هذا التناقض ؛ يستمرون في حلها بما يرضيهم، وكلما حلوها، تظهر مرة أخرى.

مرة أخرى، في العلوم البرجوازية، يتم دائمًا تفسير الاكتشافات - بمساعدة الفلاسفة - من حيث المفاهيم البرجوازية المسبقة. يمكننا

أن نرى هذا يحدث اليوم، على سبيل المثال، في تطوير الفيزياء، حيث

الاكتشاف

تتطلب نفس المصالح أيضًا إجراء بعض التحقيقات الاجتماعية، ومن هذا المصدر مرة أخرى يدخل عنصر علمي معين في الأيديولوجية البرجوازية. من ناحية أخرى، بقدر ما تؤدي مصالح الطبقة والمكان الذي تشغله في الإنتاج الاجتماعي إلى بعض المفاهيم والأوهام المسبقة التي تخدم الطبقة في نضالها، فإن أيديولوجيتها وهمية. وهكذا، على سبيل المثال، إذا اخدنا الأيديولوجية البرجوازية، فهناك العديد من العناصر التي تجسد فقط أوهام الطبقة البرجوازية والآراء الخاصة بالمجتمع البرجوازي.

في الواقع، تتشكل الأيديولوجية البرجوازية من خلال تطوير كلتا العمليتين. وهذا يثير تناقضات في تطورها، حيث أن نواتج العمليتين تتناقض باستمرار ويجب السعي إلى حل مثل هذه التناقضات في تطوير الأيديولوجية.

فيزياء الكم على أنها تعني أن الأحداث لا يمكن التنبؤ بها وأن طبيعتها الحقيقية غير معروفة.

هذا ببساطة تطبيق في العلوم الفيزيائية للمفاهيم الأيديولوجية البرجوازية المسبقة الناتجة عن الأزمة العامة للرأسمالية. من ناحية أخرى، كان لا بد من التخلي عن بعض المفاهيم المسبقة، على الأقل في أشكالها القديمة، واستبدالها بأخرى، بسبب تناقضها مع المعرفة المتقدمة بالطبيعة. حدث هذا، على سبيل المثال، مع المذاهب الدينية، التي غالبًا ما تم تعديلها في سياق النضال للتوفيق بين الدين والعلم كما حدث عندما تخلى اللاهوتيون في النهاية عن كل من آدم وحواء كتنازل لنظرية التطور.

بالنظر إلى مثل هذه الأمثلة، يمكننا أن نرى أن معارضة وتداخل العناصر العلمية والوهمية في الأيديولوجية لا يمكن تصورها ببساطة، كما لو أن الأفكار حول شيء واحد كانت علمية بينما كانت الأفكار حول شيء آخروهمي. الحقيقة هي أن العناصر العلمية والوهمية تتعارض مع بعضها البعض وتتداخل في الأفكار التي تشكلت حول نفس الشيء. وبالتالي، فإن الأيديولوجية البرجوازية، على سبيل المثال، هي مركب متناقض من العناصر الواقعية والوهمية، مع استمرارالأخيرة دائمًا والحفاظ على نفسها. يمكن القول أن العنصر العلمي أقوى في الآراء البرجوازية حول العمليات الطبيعية، في حين أن العنصر الوهمي أقوى في الآراء البرجوازية حول العمليات الاجتماعية. لكن كلا العنصرين يدخلان في جميع أجزاء وجميع مجالات الأيديولوجية البرجوازية، والعنصر الوهمي هو أكثر سمات الأيديولوجية تميزا. ما يطبع الأيديولوجية البرجوازية على أنها برجوازية غريبة هو طابع أوهامها.

يمكن قول الشيء نفسه عن أيديولوجيات الماضي الأخرى. في الوقت نفسه، قد ندعي باستمرار، ونزعم، أن الأيديولوجية الاشتراكية أو الماركسية هي في الأساس أيديولوجية علمية، وفي هذا الصدد تميز نفسها عن كل أيديولوجية أخرى دون استثناء.

وفي هذا الصدد تميز نفسها عن أي أيديولوجية أخرى دون استثناء. وذلك لأن الكفاح من أجل إنهاء الرأسمالية، ومعها كل استغلال الإنسان للإنسان، الذي تخدمه هذه الأيديولوجية، يتطلب قبل كل شيء فهما حقيقيًا للواقع ويعارض نفسه لكل أوهام المجتمعات القائمة على الاستغلال.

الفصل السابع
الأوهام الأيديولوجية

للأوهام الأيديولوجية مصدر في علاقات الإنتاج للمجتمع. لكنها ليست

مستمدة بوعي من هذا المصدر، ولكنها تنشأ دون وعي أو تلقائية. غير

مدركين للمصدر الحقيقي لأفكارهم الوهمية، يتخيل الأيديولوجيون أنهم أنتجوها من خلال عملية فكر خالص. وهكذا تحدث عملية انعكاس في الأيديولوجية، يتم من خلالها تمثيل العلاقات الاجتماعية الحقيقية على أنها تحقيق للأفكار المجردة. أخيرًا، تشكل الأوهام الأيديولوجية نظاما للخداع يستند إلى دوافع طبقية.

الانعكاس الأيديولوجي لعلاقات الإنتاج

وسننظر في هذا الفصل في وضع تصورات أو أوهام أيديولوجية مسبقة، ثم ننتقل، في الفصلين التاليين، إلى تطوير الأفكار العلمية.

هناك خمس سمات رئيسية مميزة لتطور الأوهام الأيديولوجية في المجتمع المنقسم بين الطبقات، والتي يمكن تتبعها في كل أيديولوجية حتى الإيديولوجية البرجوازية.

السمة الأولى للأوهام الأيديولوجية هي أنها تظهر دائمًا على أنها انعكاسات لعلاقات إنتاج خاصة ومكونة تاريخيًا. مصدرها هو علاقات الإنتاج للمجتمع.

في تطور الأوهام الأيديولوجية، يبدو كما لو أن الأفكار المجردة والنظريات العامة كانت تنسج من عقول الناس التي تم تطويرها والتحكم فيها، لجميع المظاهر، ببساطة من خلال عملية التفكير نفسها. ومع ذلك، كيف ظهرت مثل هذه الأفكار في عقول الناس ؟ ما هو مصدرها؟ ما لم نعتقد أن الأفكار تتشكل تلقائيا في العقل، أو أننا ولدنا بالفعل مجهزين «بأفكار فطرية»، فعلينا أن نفترض أن هناك مصدرًا في الواقع الموضوعي لجميع أفكارنا، بما في ذلك أكثر المصادر تجريداً ووهماً التي تستمد منها والتي هي انعكاس لها.

الوعي ليس أي شيء سوى انعكاس للوجود المادي. أولاً، هناك مادة، موضوعية، وبعد ذلك، ثانيًا، هناك وعي، انعكاس للمادة.

ليس للعقل مصادر داخلية خاصة به، يمكن استخلاص الأفكار منها. كل فكرة، كل عنصر من عناصر الأيديولوجية، مستمدة وتعكس الواقع الموضوعي، وبعض الجوانب الحقيقية للعالم المادي.

مصدر الأوهام في الأيديولوجية هو دائمًا الهيكل الاقتصادي الحقيقي للمجتمع. كما يعيش الرجال، كما يعتقدون. وبالنسبة للعلاقات التي يقيمونها في إنتاج وسائل الحياة، فإنهم ينتجون أفكارا اجتماعية ونظريات اجتماعية.

وهكذا، على سبيل المثال، فإن العلاقات الحقيقية لملاك الأراضي والأقنان التي أنشئت في طريقة الإنتاج الإقطاعية هي التي تنعكس في الأفكار الإقطاعية لملكية الأراضي، وفي الأيديولوجية الإقطاعية بشكل عام. وبالمثل، فإن العلاقات الرأسمالية هي التي تنعكس في الأيديولوجية الرأسمالية. وكانت العلاقات الأبسط داخل القبيلة، تضامن الفرد مع القبيلة، والتي انعكست في الأيديولوجية «البدائية» للمشاعة البدائية.

وهكذا، مع تطور المجتمع، يتم تفصيل الأفكار التي تعكس علاقات الملكية للمجتمع في شكل أنظمة ونظريات تتعلق بالسياسة والحقوق والالتزامات الاجتماعية والقانون وما إلى ذلك. وكل هذه الأيديولوجية

مصدرها العلاقات الاجتماعية للإنتاج، وهي لا تشكل، في التحليل .الأخير، سوى انعكاس إيديولوجي لتلك العلاقات

وينطبق الشيء نفسه على الأفكار الأخلاقية. إذا كانت لدينا أفكار بمعايير مطلقة من الخير والشر، والصواب والخطأ، والفضيلة والرذيلة، فهذه الأفكار ليست انعكاسات لأي ملكية موضوعية للأشخاص أو الأعمال، ولكن للعلاقات الاجتماعية التي دخل فيها الناس والتي يتم فيها نشاطهم الشخصي. لذلك لا عجب أن تتغير الأحكام الأخلاقية مع التغيرات الأساسية في العلاقات الاجتماعية؛ وأن هناك معياراً موضوعياً واحداً فقط للقول إن الأخلاق أعلى من الأخلاق الأخرى، وهو أنها تعكس وتخدم نظاماً اجتماعياً أعلى.

وينطبق الشيء نفسه على الأيديولوجية الدينية الخارقة للطبيعة. العالم الخارق للطبيعة الذي يستحضره البشر لأنفسهم في أفكارهم ليس أبدًا، في التحليل الأخير، أي شيء آخر غير انعكاس للعالم

الحقيقي للمجتمع، للعلاقات الاجتماعية التي يعيش فيها الرجال حياتهم الأرضية.

إن عالم ما وراء الطبيعة يعمل دائما كحارس للنسيج الأساسي للمجتمع. يقف الدين القبلي حريصًا على القبيلة ويحمي العلاقات القبلية، تمامًا كما تم تكييف أفكار المسيحية اليوم لدرجة أن السماء تبدو وكأنها تحرس النظام البرجوازي للمجتمع. إن العالم الخارق للطبيعة الذي يحرس النظام الاجتماعي ويبرره يتم إنشاؤه على صورة ذلك النظام الاجتماعي.

هذه أمثلة على الطريقة التي يتم بها تطوير أشكال مختلفة من الأوهام الأيديولوجية من حيث الأفكار المجردة التي يكمن مصدرها في تطوير العلاقات الاجتماعية، بشكل أكثر دقة، لعلاقات الإنتاج. والواقع الموضوعي الذي ينعكس في هذه الأفكار ليس أبدا سوى العقدة القائمة للعلاقات الاجتماعية التي تنبثق من إنتاج وسائل الحياة المادية.

الطابع العفوي للوهم الأيديولوجي

السمة الثانية للأوهام الأيديولوجية هي أنه على الرغم من أن مصدرها يكمن في تعقيد العلاقات الاجتماعية الحقيقية، إلا أنها لا تستمد عن وعي من هذا المصدر ولا يتم طرحها كتحليل للعلاقات الاجتماعية القائمة.

قد تعكس الأفكار التي يستخدمها الناس علاقاتهم الاجتماعية، لكن أوهامهم الأيديولوجية لا تخلق من خلال التفكير بوعي في علاقاتهم الاجتماعية الخاصة والعمل لأنفسهم، بطريقة علمية، على سرد دقيق ومنهجي للبنية الاجتماعية التي يجدونها في الوجود.

أفكار الاقتصاد السياسي، على سبيل المثال، كما هو مبين في كتاب مثل رأس المال، مستمدة من دراسة واعية ومنهجية لعلاقات الإنتاج القائمة بالفعل. لهذا السبب على وجه التحديد، فهي ليست وهمية، ولكنها علمية في طابعها. من ناحية أخرى، ينشأ الوهم الأيديولوجي على وجه التحديد باعتباره انعكاسًا فاقدًا للوعي وغير مقصود لهيكل

اجتماعي قائم، يتم التعبير عنه في الأفكار العامة حول العالم. لها شخصية عفوية فاقدة للوعي. لهذا السبب، إذا أردنا اكتشاف السمات الأساسية لبعض الأيديولوجيات الوهمية، فلن نكتشفها بالأشكال المنطقية التي قدم بها البشر أفكارهم، بل بالأحرى في الافتراضات غير المعقولة، المفاهيم المسبقة التي يأخذونها كأمر مسلم به، والتي تكمن وراء منطقهم. على سبيل المثال، في أيديولوجية الكنيسة الكاثوليكية في العصور الوسطى، كان العالم بأسره، السماء والأرض، يُنظر إليه على أنه تسلسل هرمي يكون فيه الأعضاء الأدنى بالضرورة تابعين للأعلى. في إنتاج هذه الأيديولوجية.

وليس في نية تقديم سرد للأمر الإقطاعي؛ وكانت النية الواعية هي تقديم بيان بالنظام الضروري للعالم بأسره، وقد تم التوصل إلى ذلك بوعي بوصفه نظاما منطقيا. ومع ذلك، كانت الأيديولوجية في الواقع انعكاسًا للعلاقات الاجتماعية الإقطاعية الحالية، والتي تم إعادة إنتاجها في أفكار الرجال من خلال عملية عفوية، وغير مقصودة وغير

واعية. كانت الأفكار العامة المستخدمة انعكاسًا للعلاقات الاجتماعية الفعلية، لكنها لم يتم إنتاجها بوعي على أنها انعكاس، ولكنها نشأت دون وعي وعفوية في أذهان الرجال. ثم أصبحت هذه الأفكار ثابتة كمفاهيم مسبقة تم استخدامها لغرض تفسير ووضع نظرية كل ما كانت الناس مهتمة به، سواء في الطبيعة أو المجتمع أو عالم السماء. إن الطابع العفوي اللاواعي للتجسيد الأيديولوجي لعلاقات الإنتاج .يرجع إلى الطابع التلقائي اللاواعي لعلاقات الإنتاج تلك نفسها

كتب ماركس أن علاقات إنتاج الرجال «لا غنى عنها ومستقلة عن إرادتهم». هذا هو المفتاح لفهم طبيعة الانعكاس الأيديولوجي الوهمي لتلك العلاقات في الأفكار المجردة حول العالم والمجتمع.

ولا تقيم علاقات الإنتاج هذه عن عمد، ولكنها في الوقت نفسه، في مرحلة معينة من التنمية الاجتماعية، لا غنى عنها. ولأن الناس لم يقرروا أبدًا تأسيسها، ولكن في نفس الوقت لا يمكنهم المضي قدمًا

وبدونها، فإنهم لا يدركون أنها علاقات اجتماعية عابرة أقيمت في وقت محدد، في ظروف محددة، لتلبية احتياجات المجتمع التاريخية المحددة، ولكن المؤقتة فقط. بدلا من ذلك لا تظهر كجزء من الترتيب الضروري للأشياء. تنعكس السمات المميزة للعلاقات الاجتماعية للرجل وعلاقاته بالطبيعة، والتي هي في الواقع نتيجة محددة تاريخياً لأسلوب إنتاج محدد، في أفكار مجردة في شكل أفكار مسبقة حول طبيعة الإنسان والمجتمع، كأفكار عن الحق والعدالة، وعن الخصائص الأبدية والضرورية لكل كائن، والطبيعة النهائية للواقع، وما إلى ذلك.

وهم الفكر الخالص

السمة الثالثة للأوهام الأيديولوجية هي أنه، لمجرد أن طابعها التلقائي يمنع الناس من إدراك مصدرها الحقيقي، يبدو أنهم أنتجوها من خلال عملية فكرية حرة، من خلال عملية نقية وغير مقيدة للعقل.

هي عملية أنجزها المفكر المزعوم بوعي، بل بوعي زائف "، كتب إنجلز.

"الدوافع الحقيقية التي دفعته تظل مجهولة بالنسبة له، وإلا فلن تكون عملية أيديولوجية على الإطلاق. ومن ثم يتخيل دوافع خاطئة أو واضحة. نظرًا لأنها عملية فكرية، فإنه يستمد شكلها ومحتواها من الفكر الخالص، إما فكره أو فكر أسلافه. إنه يعمل بمجرد مادة فكرية يقبلها دون فحص كنتاج للفكر، ولا يبحث أكثر عن عملية أكثر بعدًا مستقلة عن الفكر.

ومرة أخرى، كتب إنجلز أن الأيديولوجية - العمل على الأوهام الأيديولوجية هو "الاحتلال بالأفكار كما هو الحال مع الكيانات المستقلة، والتطور بشكل مستقل والخاضع فقط لقوانينها الخاصة.

أن ظروف الحياة المادية______________________________

غالبًا ما استخدم ماركس وإنجلز مصطلح «أيديولوجيا» للإشارة حصريًا إلى عملية الوهم الأيديولوجي، وبالتالي استخدامه بالمعنى المقيد. عندما يستخدم المصطلح بهذا المعنى المقيد، يتم استبعاد طرق

الفكر العلمية بحكم التعريف من العملية الأيديولوجية، ويصبح تعبير مثل «الأيديولوجية العلمية» تناقضًا في مصطلحات، مثل، على سبيل المثال، «المربع المستدير». من ناحية أخرى، غالبًا ما استخدم لينين وستالين المصطلح «أيديولوجية» بمعنى أوسع، بحيث يتحدثون، على سبيل المثال، عن «الأيديولوجية الاشتراكية العلمية»، وتصف الماركسية على هذا النحو الأيديولوجية.

(((في هذا الكتاب استخدمت المصطلح طوال الوقت بالمعنى الأوسع، بحيث تستخدم كلمة «أيديولوجيا» للدلالة على النظرة أو النظرية النموذجية لفترة أو لفئة ما، التي يمكن أن تدخل فيها عناصر وهمية وصادقة أو علمية، والتي، مع صعود حركة الطبقة العاملة الثورية والاشتراكية، تصبح علمية في المقام الأول وتستغني عن أساليب .التفكير الوهمية للأيديولوجيات السابقة

انجلز، رسالة الى ميهرينغ، 14 يوليو 1893))).___________________

الأشخاص الذين تستمر عملية التفكير هذه داخل عقولهم في الملاذ الأخير لتحديد مسار هذه العملية، التي لا تزال بالضرورة غير معروفة لهؤلاء الأشخاص، وإلا كان هناك أن تكون نهاية لجميع الأيديولوجيات.

الانعكاس الأيديولوجي

السمة الرابعة للأوهام الأيديولوجية هي أن عملية الانعكاس تحدث فيها، حيث يتم تمثيل العلاقات الاجتماعية الحقيقية على أنها تحقيق للأفكار المجردة.

في عملية الوهم الأيديولوجي، يتم التعامل مع نواتج الفكر المجرد كما لو كانت مستقلة عن العلاقات الاجتماعية المادية التي تعكسها في الواقع. وهكذا يترتب على ذلك أن الواقع ينقلب رأسًا على عقب في هذه العملية. يُنظر إلى مصدر الأفكار المجردة على أنه العقل، وليس الواقع المادي للعلاقات الاجتماعية. وبالتالي فإن الأساس النهائي لوجود تلك العلاقات نفسها يُنظر إليه على أنه تجريد للعقل.

وفقًا لهذه الطريقة المقلوبة للنظر إلى الأشياء، يخلق الرجال علاقاتهم الاجتماعية في طاعة أفكارهم المجردة، وليس العكس.

خذ، على سبيل المثال، المفاهيم المجردة للحق والعدالة، والتي تشكل جزءًا مهمًا من جميع الأيديولوجيا. يتم تمثيل الحق المجرد والعدالة على أنهما مستقلان عن العلاقات الاجتماعية الفعلية، ويتم تمثيل هذه العلاقات على أنها تعكس وتحقق ربما حقًا وعدالة مجردين بشكل غير كامل. وفقًا لهذه الطريقة المتقلبة في النظر إلى الأشياء، يبدو أن الأفكار المجردة للحق والعدالة في حين أن العلاقات الحقيقية للبشر هي التي تحدد أفكارهم عن الحق والعدالة. وبالمثل، يبدو أن النظام الاجتماعي مبرر بمدى تطابقه مع الأفكار المجردة للحق والعدالة، في حين أن أفكار الحق والعدالة مبررة في الواقع بمدى خدمتها للتقدم المادي للمجتمع.

كتب إنجلز: «الانعكاسات الاقتصادية والسياسية وغيرها مثل تلك التي في العين البشرية». "يمرون عبر عدسة مكثفة وبالتالي يظهرون

رأسًا على عقب ويقفون على رؤوسهم. فقط الجهاز العصبي الذي من شأنه أن يضعهم على أقدامهم مرة أخرى للتمثيل الغير موجود.... هذا الانعكاس... ويشكل ما نسميه المفهوم الأيديولوجي ". وكتب ماركس وإنجلز كذلك:

إذا ظهر البشر وظروفهم في جميع الأيديولوجيات رأسًا على عقب، » فإن هذه الظاهرة تنشأ من عملية حياتهم التاريخية تمامًا كما يفعل « انعكاس الأشياء على شبكية العين من عملية حياتهم الجسدية.

نتيجة لهذا الانعكاس الأيديولوجي، يترتب على ذلك أن الناس في كل حقبة شاركوا الوهم بأن مؤسساتهم وأنشطتهم العامة هي تعبير عن تجردهم من دينهم وفلسفتهم ومبادئهم السياسية وما إلى ذلك. وهكذا اعتقد أصحاب العبيد في روما القديمة أنهم مدفوعون بالمبادئ الجمهورية، تمامًا كما اعتقد الرأسماليون المعاصرون أنفسهم (وما زالوا يحاولون إقناع الآخرين بالتفكير فيهم) على أنهم مدفوعون بالمبادئ الديمقراطية. لقد جرت حروب العصور الوسطى بشكل

صريح من أجل المبادئ الدينية، تمامًا كما جرت حروب اليوم بشكل صريح من أجل المبادئ الوطنية أو السياسية.

وفقًا لهذه الطريقة في النظر إلى الأشياء، كتب ماركس، "لكل مبدأ قرن خاص به يتجلى فيه. على سبيل المثال، كان لمبدأ السلطة القرن الحادي عشر، تمامًا كما كان لمبدأ الفردية القرن الثامن عشر... لقد كان القرن الذي ينتمي إلى هذا المبدأ، وليس المبدأ للقرن. بعبارة أخرى، "كان المبدأ هو الذي صنع التاريخ، وليس التاريخ الذي صنع المبدأ."

كل حقبة، إذن، تنتج أوهامها المميزة، والتي يتم التعبير عنها في أيديولوجيتها المهيمنة والأسس الحقيقية والقوى الدافعة لمؤسساتها وأنشطتها.

كتب ماركس وإنجلز: «على سبيل المثال، تتخيل الحقبة نفسها مدفوعة بدوافع سياسية أو دينية بحتة، على الرغم من أن الدين والسياسة ليسا سوى أشكال من دوافعها الحقيقية» ... هذا هو ما يشكل «وهم تلك الحقبة». في هذا الوهم، «الفكرة، مفهوم هؤلاء

الرجال المشروطين حول ممارستهم الحقيقية يتحول إلى القوة النشطة «الوحيدة التي تتحكم في ممارستهم وتحددها.

في الوهم الأيديولوجي، يتم تمثيل نواتج العقل على أنها التأثير المهيمن والمقنع في الشؤون الإنسانية. وهكذا يحدث أيضًا أن منتجات العقل هذه، التي هي مجرد خيال مشوه لظروف الوجود الحقيقية، أصبحت موهوبة في خيال الرجال بخيال حقيقي وجود خاص بهم. بهذه الطريقة يتم إنشاء ما اسماها ماركس "المناطق المغلفة بالضباب في العالم الديني. في أن يظهر العالم إنتاجات الدماغ البشري ككائنات مستقلة موهوبة بالحياة، وتدخل في علاقة مع بعضهم البعض ومع " الجنس البشري.

وهكذا، بينما يتخيل البشر أن حياتهم الاجتماعية ومؤسساتهم بأكملها تستند إلى أيديولوجيتهم وتحفزها، في نفس الوقت الذي تستحضر فيه هذه الأيديولوجية عالماً رائعاً من القوى والقوى

المتفوقة والمستقلة عن الإنسان والتي يشعر البشر بأنهم خاضعون لها.

"العالم الديني"، كما قال ماركس، ليس شيئًا أبدًا "ولكن انعكاس العالم الحقيقي ". في المنظمات الاجتماعية الأكثر بدائية يكون الرجال عاجزين نسبيا في مواجهة القوى الطبيعية؛ يتم تجميعهم معًا لكسب لقمة العيش، وسيكون محكومًا عليهم بالتدمير دون هذا التماسك الاجتماعي الأولي والتعاون. تنعكس هذه الحقيقة في أذهانهم في أوهام السحر. يبدو أن البشر يمتلكون قوة وفضيلة خاصة كأعضاء في قبيلتهم أو عشيرتهم، وتأخذ هذه الفضيلة، في مخيلتهم، شكل قوة سحرية خاصة. يتم اختراع جميع أنواع الإجراءات لممارستها، وبعد ذلك، مع تقسيم العمل، يصبح يعتبر ملكًا واهتمامًا لأفراد معينين فقط، وليس للشعب بأكمله. وفي الوقت نفسه، يفترض أن الأجسام الطبيعية والقوى الطبيعية متحركة، ويتم تجسيدها فيما بعد ؛

بحيث يتم تمثيل التفاعل الكامل للإنسان مع الإنسان، والإنسان مع الطبيعة، على أنه يعتمد على نشاط القوى الغامضة غير المرئية.

وقد واكب تطور الأفكار الدينية وتشعبها تطور الحياة الاجتماعية للإنسان وعكس هذا التطور.

كتب إنجلز أن المفاهيم الدينية البدائية، والتي تشترك بشكل رئيسي في كل مجموعة من الشعوب الشقيقة، تتطور، بعد انفصال المجموعة، بطريقة خاصة بكل شعب، وفقًا للظروف المعيشية التي يختبرونها.

كما هو الحال مع جميع الأيديولوجيات، لا يتم إنشاء الدين من جديد في كل مرحلة جديدة من مراحل التطور الاجتماعي. على العكس من ذلك، تستخدم كل أيديولوجية في تطويرها المكونات التقليدية التي تم الاستيلاء عليها من الأيديولوجية السابقة، وتدمج في حد ذاتها مواد مستعارة من أيديولوجيات أخرى. وهو نفس الشيء في الدين؛ وهكذا، على سبيل المثال، لا يزال بإمكاننا الاعتراف حتى في المذاهب

والممارسات الدينية للمسيحية البروتستانتية اليوم بالعناصر التي تم نقلها من السحر القبلي البدائي، وتراكبها وتحويلها كما قد تكون بمعاني جديدة.

كتب إنجلز: "الدين، بمجرد تشكيله، يحتوي دائمًا على مكونات تقليدية، تمامًا كما هو الحال في جميع المجالات الأيديولوجية، فإن التقاليد هي قوة محافظة كبيرة. لكن التحولات التي تمر بها هذه المادة تنبع من العلاقات الطبقية، أي من العلاقات الاقتصادية للأشخاص الذين ينفذون هذه التحولات. "

هذه السمة المميزة لكل الوهم الأيديولوجي، لأنها احتلال بالأفكار كما هو الحال مع الكيانات المستقلة، وتطور الأفكار باستمرار من مادة الأفكار الأخرى وتخفي بشكل فعال حقيقة أن كل أيديولوجية، وكل عنصر من عناصر الأيديولوجية، ليس سوى انعكاس للوجود الاجتماعي المادي، ويجعلها تبدو كما لو كانت حقًا كما تدعي، مسيرة مستقلة من الأفكار.

إن طبيعة الأيديولوجية ليست واضحة أبدًا على السطح، ولكنها لا تظهر إلا نتيجة لاكتشاف ماركس العلمي العميق، أن «طريقة إنتاج الحياة المادية تؤثر في عملية الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية بشكل عام».

طالما أن البشر ليسوا سادة نضامهم الاجتماعي، فإن علاقاتهم الاجتماعية الحقيقية تنعكس في

الانعكاسات الأيديولوجية، التي لا تجعل علاقاتهم الاجتماعية الحقيقية مفهومة، تحيرها وتخفي طابعها الحقيقي، إلى جانب الينابيع والقوانين الحقيقية للعمل الاجتماعي الإنساني، خلف ستار من الأوهام الدينية والسياسية، والقانونية، والفنية والفلسفية.

الأيديولوجيا والمصلحة الطبقية

السمة الخامسة للأوهام الأيديولوجية هي أنها، في المجتمع مقسمة إلى طبقات، تشكل نظامًا للخداع بدوافع طبقية، وهو أسلوب لإخفاء العلاقات الاجتماعية الحقيقية لصالح طبقة محددة.

يعكس الوهم دائمًا العلاقات الاجتماعية الحقيقية بطريقة تخفيها.

على سبيل المثال، الحقيقة العارية المتمثلة في أن الإقطاعي استولى على نتاج عمل القن كانت مقنعة بالأفكار الإقطاعية المجردة للملكية، والمستحقات، والحقوق، والالتزامات.

مرة أخرى، الحقيقة العارية التي يملكها الرأسمالي المتمثلة في ان القيمة التي ينتجها العمال "العمل غير المأجور مقنعة بالأفكار الرأسمالية المجردة المتمثلة في الملكية والعقود والمساواة في الحقوق.

يكتمل هذا التنكر من خلال الأشكال الرأسمالية للدين. لهذا السبب، على الرغم من أن الأيديولوجية البرجوازية غالبًا ما تتخذ أشكالًا غير دينية أو معادية للدين، إلا أنها تترك دائمًا ثغرة للدين وتعود إليها باستمرار، بينما في فترات الأزمات، عندما يكون النظام معرضًا لخطر شديد، يتم تقديم الأيديولوجية الدينية دائمًا إلى الواجهة وتتخذ الهجوم.

كتب ماركس: «من أجل مجتمع قائم على إنتاج السلع الأساسية»، "التي يدخل فيها المنتجون عموما في علاقات اجتماعية فيما بينهم بمعاملة منتجاتهم كسلع وقيم، حيث يقللون من عملهم الخاص الفردي إلى مستوى العمل البشري المتجانس - لمثل هذا المجتمع، المسيحية، بثقافتها من الإنسان المجرد، خاصة في تطوراتها البرجوازية، " البروتستانتية، الربوبية، إلخ، هي أكثر أشكال الدين ملاءمة.

الأيديولوجية البرجوازية بأكملها، من دينها إلى اقتصادها السياسي، تخفي حقيقة الاستغلال الرأسمالي. إن التنكر والخداع المتأصلان في كل وهم أيديولوجي لهما دوافع اجتماعية دائمًا. بعبارة أخرى، إنه يخدم غايات اجتماعية محددة ومصالح اجتماعية محددة.

في المجتمعات البدائية، قبل ولادة الطبقات، يعمل على تعزيز وتوطيد أواصر التضامن بين أفراد القبيلة، التي يعتمد عليها بقاؤهم. وفي عندما يكون الناس يجهلون تمامًا القوى الطبيعية المحيطة بهم، فإن الأفكار الميتافيزيقية تجعلهم يشعرون مع ذلك أنهم يستطيعون

السيطرة على هذه القوى. وبالتالي، فإن الأيديولوجية البدائية مدفوعة بالحفاظ على الذات للقبيلة بأكملها، ومصلحة الشعب بأكمله في الحفاظ على تنظيمه الاجتماعي والشعور بالقوة والأمن فيه.

عندما ينقسم المجتمع إلى طبقات معادية، وعندما يصبح التاريخ، تاريخ النضالات الطبقية، يصبح الاهتمام الطبقي الدافع الرئيسي للأيديولوجية.

تصبح كل أيديولوجية اديولوجية الطبقة، تعبر، مهما كانت الطريقة الملتوية، عن شروط وظروف وجود طبقة محددة وخدمة تلك الطبقة في كفاحها ضد الطبقات الأخرى. الأيديولوجية السائدة في أي فترة هي أيديولوجية الطبقة الحاكمة. وعندما يتم تحدي هذه الأيديولوجية، فهذا ليس سوى تعبير عن حقيقة أن الحالة الحالية للعلاقات الطبقية تتعرض للتحدي من قبل طبقة أخرى.

ومع ذلك، لا ينبغي تفسير تمويه وخداع الأيديولوجية الطبقية، بدافع المصلحة الطبقية، على أنه خداع متعمد وواعي في المقام الأول.

إن افتراض أن الممثلين المفكرين للطبقة يخترعون عن عمد أفكارًا مضللة لغرض واع يتمثل في إخفاء ما يعرفونه عن الناس على أنه الشخصية الحقيقية للعلاقات الاجتماعية هو افتراض أن هؤلاء المفكرين يعرفون في الواقع ما هو الطابع الحقيقي للعلاقات الاجتماعية. لكن جوهر الوهم الأيديولوجي هو أنه وعي زائف بالعلاقات الاجتماعية. إن المفهوم الأيديولوجي المحير لهذه العلاقات يحل محل مفهوم علمي صحيح. هذا الوعي الخاطئ ينشأ، كما رأينا، ليس من خلال عملية مدروسة، ولكن من خلال عملية عفوية فاقدة للوعي. إنه ليس زيفًا متعمدًا، بل وهم. إذا كان ذلك خداعًا، فهو أيضًا خداع للذات.

وبالتالي، فإن أولئك الذين يفسرون الأوهام الأيديولوجية على أنها مجرد خداع متعمد، يخطئون في طبيعة ما أسماه ماركس وإنجلز «الوعي الزائف». لأنهم يفترضون أن الطبقة التي تخدم مصالحها الأيديولوجية تمتلك في الواقع وعيًا حقيقيًا بأساس وجودها وهو ما لا

تمتلكه أي طبقة مستغلة أو يمكن أن تمتلكه أبدًا. إن تفسير الأيديولوجيات على أنها نتاج خطط موضوعة جيدًا لخداع الناس لصالح الطبقة هو ابتذال سخيف للماركسية. هذه ليست الطريقة التي تنشأ بها الأيديولوجيات.

بالطبع، ينخرط المتحدثون الرسميون والأيديولوجيون من الطبقات الحاكمة باستمرار في الخداع الواعي والمتعمد للشعب. لكن وراء نظام الخداع المتعمد يكمن دائمًا نظام خداع الذات.

على سبيل المثال، قد نأخذ مثال أفلاطون، الذي كان ممثلاً للرجعية الأيديولوجية المتطرفة في اليونان القديمة. اعتبر أنه لإبقاء الشعب محبطًا، يجب على الحكام نشر ما أسماه «كذبة نبيلة»: على الرغم من أنهم يعرفون جيدًا أنها ليست صحيحة، إلا أنهم يجب أن يعلنوا القاعدة التي تعتبر أن الحكام والحكام هم اناس من نوعين مختلفين، الحكام هم رجال «ذهبيون» والباقي رجال من «النحاس والحديد» فقط.

في الوقت نفسه، أكد أفلاطون أن الأرستقراطية هي أفضل نظام للمجتمع وأن أي فصل عنها يعني الفوضى والانحطاط. ومع ذلك، كان يعلم بلا شك. انها كانت أحد أوهام طبقته، وشكل أساس نظرته. من وجهة نظر أيديولوجية مالكي العبيد الأرستقراطيين، والتي شرحها أفلاطون والتي فعل الكثير لتشكيلها، كان من أجل إخبار الناس «.بالأكاذيب، وكانت مثل هذه الأكاذيب «نبيلة

كان هذا هو الوضع مع جميع أيديولوجيات الطبقة الحاكمة. ينخرط الوعي الزائف الحقيقي في الخداع المتعمد، بحيث يصبح الاثنان متشابكين بشكل وثيق وحتى لا يمكن تمييزهما في بعض الأحيان. هذا هو الحال بشكل خاص في المجتمع الرأسمالي، حيث يتم شراء وبيع كل الأشياء، بما في ذلك الأفكار. أولئك الذين لديهم أفكار لبيعها يعتبرونها سلعًا يتم استبدالها بالنقد، وليس كحقائق يمكن تصديقها.

لطالما تم الاعتراف بالطابع الطبقي لأيديولوجيات معينة. عندما ترتقي طبقة جديدة إلى السلطة، وبالتالي تشكل أيديولوجية جديدة ضد

أيديولوجية الطبقة الحاكمة القديمة، فإنها تدرك عمومًا أن الأيديولوجية القديمة تعبر عن مصالح خصومها السياسيين. لذلك فهي تهاجم هذه الأيديولوجية كنظام من الأكاذيب بدافع المصلحة الطبقية.

وهي تقدم أيديولوجيتها الخاصة، من ناحية أخرى، كنظام للحقيقة، يتوافق مع الاحتياجات الأكثر عمقًا للمجتمع بأسره.

كتب ماركس وإنجلز: "كل طبقة جديدة تضع نفسها في مكان الحكم الوحيد المعروض عليها، مضطرة، لمجرد تحقيق هدفها، لتمثيل مصلحتها كمصلحة مشتركة لجميع أفراد المجتمع، في شكل مثالي؛ وستعطي أفكارها شكل العالمية، وستمثلها باعتبارها الوحيدة العقلانية والصالحة عالميا. تظهر الطبقة التي تصنع الثورة تقابل الاحتياجات الاجتماعية العميقة الشعور، وكأنها لا تستند إلى مصالح طبقة ما، بل إلى تطلعات شعب بأكمله. في الوقت المناسب، ومع ذلك،

لمجرد أنها تعارض الطبقة، ليس كطبقة، ولكن كممثل للمجتمع

" بأسره.

عندما يصبح الحكم الجديد والطبقة المستغلة في تناقضاتها الخاصة، تفقد أيديولوجيتها المعنى الثوري وتصبح محافظة؛ تبدأ في التحلل والتفكك؛ حتى تقف أخيرًا مكشوفةً بدوره كنظام من الخداع بدافع الطبقة، في حين أن أصوله تتدهور من المفكرين الأصليين إلى مجرد دعاة مستأجرين للطبقة الحاكمة.

الفصل الثامن

العلم

على عكس الوهم الأيديولوجي، يكتشف الناس الحقيقة في سياق نشاطهم العملي. يكمن المصدر الأول لمثل هذا الاكتشاف في الإنتاج الاجتماعي. من الأفكار المستمدة من العملية الإنتاجية تنشأ العلوم

الطبيعية، والتي تتخذ شكل تحقيقات متخصصة منفصلة عن الإنتاج وتقوم بها فئات معينة، والتي تقدم عناصر من أيديولوجيتها الطبقية في العلوم. في الوقت نفسه، يتم تطوير العلوم الاجتماعية، مع جذورها في الخبرات المكتسبة في الصراع الطبقي، لخدمة أهداف الإدارة العامة والسيطرة على الشؤون الاجتماعية. لكن في أيدي استغلال الطبقات لا يمكن للعلوم الاجتماعية أبدًا بلوغ المكانة العلمية للعلوم الطبيعية.

أفكار عملية الإنتاج

إلى جانب تطور التفكير الوهمي المعكوس في الوعي بعلاقات الإنتاج، فإن تطوير الأفكار الحقيقية للإنسان عن الأشياء المادية المحيطة به والتي تهمه في عملية الإنتاج نفسها وأنشطتهم وعلاقاته الاجتماعية. من أجل تطوير الإنتاج، والتفاعل الاجتماعي الذي ينشأ عن الإنتاج والطلبات ويؤدي إلى العمل من خلال الأفكار الحقيقية حول الأشياء وترابطها وحركاتها، وحول الأنشطة والعلاقات الإنسانية المختلفة. ما

لم يحصل الناس على مثل هذه الأفكار الحقيقية، فلن يتمكنوا من الاستمرار بنجاح في الإنتاج أو إدارة شؤونهم الاجتماعية. وكلما زادت قوى إنتاجهم المختلفة والقوية، وكلما زادت أنشطتهم الاجتماعية تنوعًا وتعقيدًا، زادت حاجتهم إلى معرفة الطبيعة وأنفسهم من أجل الوصول بمشاريعهم المختلفة إلى خاتمة ناجحة. في تطور الأيديولوجية المجردة، كما أشار ماركس وإنجلز، «يمكن للوعي أن يوهم نفسه حقًا بأنه شيء آخر غير الوعي بالممارسة الحالية، لكن في نفس الوقت الذي يجرد فيه الوعي نفسه من الممارسة الحالية، يتطور أيضا مع تطور الممارسة. هذا التطور في حد ذاته، يؤدي أيضا إلى نمو الأفكار الحقيقية للبشر حول ظروف حياتهم الحقيقية. هذه الأفكار

«الحقيقية لا تظهر من نفسها. يجب تشكيلها

بعد عمل كبير واختبارها عمليًا. إنها تمثل العديد من الاكتشافات التي قام بها الناس في سياق ممارستهم الاجتماعية.

المصدر الأول لاكتشافات الناس هو ممارسة الإنتاج الاجتماعي

لقد رأينا بالفعل أنها سمة من سمات عملية الإنتاج الاجتماعية التي يمتلك فيها الناس فكرة عما يهدفون إلى إنتاجه. لا يوجد ولا يمكن أن يكون هناك إنتاج، بالمعنى البشري، ولا حتى أكثر أنواع جمع الطعام وصيده بدائية، بدون هذا الوعي. وهكذا في الإنتاج، يقوم البشر بالضرورة بتشكيل أفكارهم حول الأشياء التي يرتبطون بها، والمواد التي يستخدمونها والتقنيات التي يستخدمونها، والاكتشافات حول خصائص تلك الأشياء والمواد وحول ما يمكن القيام به معهم.

كتب ماركس حول «العوامل الأساسية لعملية العمل»، "هي النشاط الشخصي للإنسان، أي العمل نفسه، وموضوع العمل وأدواته ". ولا يمكن تحريك أي من هذه العوامل بدون الأفكار والاكتشافات المقابلة. ومع تطور الإنتاج وتقسيم العمل، تصبح أشكال العمل أكثر تنوعا، ويمتد موضوعه وتتحسن أدواته. وهذا يعني أن أفكار البشر تتضخم في المقابل وأنهم يصنعون اكتشافات جديدة.

الإنسان البدائي، على سبيل المثال، الذي عبر عن علاقاته الاجتماعية وعلاقاته مع الطبيعة في أيديولوجية سحرية، كان لديه بالفعل أفكار دقيقة ودقيقة للغاية عن الأنواع المختلفة من الحيوانات التي يصطادها، وعن عاداتها وخصائصها المختلفة كما هو موضح، من بين أمور أخرى، من خلال السجلات التي صنعها لمعرفته في لوحات الكهوف. مع تطور الزراعة والحرف اليدوية ظهرت اكتشافات جديدة وتوسعت إلى حد كبير أفكار البشر عن الأشياء الطبيعية وخصائصها، وعن المبادئ التي تنطوي عليها مختلف عمليات الإنتاج. والآن، في المجتمع الرأسمالي الحديث، فإن نفس المعاهد والجامعات التي تنتج كل أنواع الأوهام البرجوازية الدينية والسياسية والفلسفية، هي مستودعات لمخزون واسع ومتزايد من المعرفة الدقيقة والمنهجية بالطبيعة والمبادئ التي يعمل الإنسان من خلالها على تعزيز إتقانه للطبيعة؛ كل هذا هو ثمرة آلاف السنين من المسعى البشري، ولا سيما التقدم الكبير في الإنتاج الذي تحقق في العصر الرأسمالي.

وبالتالي، إذا كانت أوهام الناس لها مصدرها النهائي في علاقات الإنتاج، فإن الناس يقومون باستمرار أيضًا باكتشافات تنشأ في التحليل الأخير من عملية الإنتاج نفسها. في هذه الاكتشافات هناك تطور للأفكار المجردة التي تعكس سمات وخصائص مختلفة للأشياء وعملية الإنتاج دون تصور أيديولوجي مسبق أو انعكاس أو تمويه.

وتشكل هذه الأفكار المتعلقة بالطبيعة والعمليات التكنولوجية، في الواقع، جانبا هاما من القوى الإنتاجية ذاتها.

تشمل قوى الإنتاج الأشخاص بخبرتهم الإنتاجية ومهاراتهم. يتم تسجيل خبرة ومهارة الإنتاج لدى الناس وتعميمها وتنظيمها في أفكارهم؛ وهي مجهزة بهذه الأفكار وتستخدم أدوات الإنتاج وتحسنها أيضا. وعلاوة على ذلك، فإن نمو المعرفة بعملية الإنتاج، ومواضيعها وأدواتها، ومبادئ التكنولوجيا والطبيعة عموما، ليس شرطا أساسيا لاستمرار الإنتاج على مستوى معين فحسب؛ في ظل ظروف مناسبة، فإنه يساهم في التقدم الجديد في الإنتاج، وبالتالي قد يصبح أحد

العوامل التي تؤدي في نهاية المطاف إلى تغييرات ثورية ضرورية في علاقات الإنتاج لجعلها تتوافق مع قوى الإنتاج الجديدة.

صعود العلوم الطبيعية

تنبع العلوم الطبيعية من الأفكار أو المعرفة المتراكمة في عملية الإنتاج. كتب إنجلز: "منذ البداية، تم تحديد أصل العلوم وتطورها من خلال " الإنتاج.

ولاحظ أنه طوال العصور القديمة، ظل التحقيق العلمي الصحيح مقصورًا على علم الفلك والرياضيات والميكانيكا. من أجل "علم الفلك... ولو كان ذلك فقط بسبب الفصول، فلا غنى عنه على الإطلاق للشعوب الرعوية والزراعية. يمكن أن يتطور علم الفلك فقط بمساعدة الرياضيات.

ومن ثم كان لا بد من معالجة هذا الأمر. علاوة على ذلك، في مرحلة معينة من الزراعة

وفي بعض المناطق (بناء سدود المياه من أجل الري في مصر)، وخاصة مع نشأة المدن، وعمليات البناء الكبيرة وتطوير ميكانيكا الحرف اليدوية. وسرعان ما كانت هناك حاجة للملاحة والحرب.

في وقت لاحق، مع التطورات الجديدة العظيمة لقوى الإنتاج التي أدت إلى ثم حدثت داخل النظام الرأسمالي، نشأت علوم جديدة واحدة تلو الأخرى كالفيزياء، والكيمياء، والعلوم البيولوجية والجيولوجيا.

إذا... نشأت العلوم فجأة من جديد دون توقعها ان صح التعبير، " تتطور بمعدل خارق، مرة أخرى نحن مدينون للإنتاج. "

إذا تم تحديد تطور العلوم من خلال الإنتاج، فهذا يفسر أيضًا المعدل غير المتكافئ في تاريخ تطور العلوم والطابع الأحادي الجانب في كثير من الأحيان لهذا التطور. ويفسر ذلك تباين طابع الإنتاج والتركيز على مختلف عمليات الإنتاج. وهكذا، لم تكن الكيمياء، على سبيل المثال، متطورة حتى العصر الحديث، على الرغم من أن الميكانيكا وأجزاء معينة من العلوم البيولوجية كان لها تطور كبير. مرة أخرى، يتم

إهمال العلوم الزراعية نسبيًا في ظل الاحتكار الرأسمالي الحديث، في حين يتم تعزيز جميع العلوم المرتبطة بإنتاج الحرب بقوة.

العلوم كمؤسسات متخصصة متميزة عن الإنتاج

العلوم هي في الأساس مهام متخصصة، مع التقنيات المتخصصة الخاصة والنظريات.

تظهر العلوم الجديدة عندما يبدأ هناك، كنتيجة لتقسيم العمل، التحقيق الخاص في خصائص مختلف الأجسام الطبيعية والعمليات الطبيعية المتميزة عن الإنتاج نفسه؛ 'ونتيجة لدلك عند حدوث .تفصيل خاص وتعميم الأفكار المتعلقة بمثل هذا التحقيق

في ظل هذه الظروف فقط يمكننا التحدث عن العلوم. وبالتالي، فإننا بالكاد نسمح بلقب «العلم» للمعرفة التي تمتلكها القبائل البدائية، الواسعة والدقيقة كما هي، لأنواع الحيوانات والنباتات المختلفة، أو لخصائص المواد المختلفة، أو لتتابع الفصول.

ولا ترفع هذه المعرفة إلى مستوى العلم إلا عندما تصبح هذه الأشياء موضوعات بحث خاص يختلف عن الإنتاج الفعلي في المقام الأول عن الصيد وصنع الأدوات والبستنة وما شابه ذلك؛ وبالتالي، عندما يتم تعميم ما يتم اكتشافه عنهم ومنهجيتهم كمجموعة خاصة من المعارف.

قد نميز ثلاث خصائص بارزة للعلوم، والتي تميز تدريجياً النظرية العلمية عن معرفة الأشياء والعمليات الطبيعية الكامنة في عملية الإنتاج نفسها والتي تشكل "وعيها بعملها ومواضيعها وأدواتها.

تنخرط العلوم في الوصف والتصنيف المنهجي للأجسام والعمليات الطبيعية. على سبيل المثال، الرسم البياني للأجسام السماوية وحركاتها الظاهرة التي يقوم بها رواد العلوم الفلكية، مثل المصريين القدماء؛ أو «التاريخ الطبيعي» الذي جمعه الطلاب الأوائل من الطبيعة الحية، مثل أرسطو، الذي يعمل في علم الحيوان يتألف من وصف وتصنيف منهجيين لمعظم الحيوانات المعروفة

(بالإضافة إلى بعض أنواع الحيوانات الخيالية) مع محاولات لصياغة قوانين تربط بين الخصائص المختلفة للحيوانات المختلفة والأشياء التي تم التحقيق فيها، وبالتالي للتنبؤ بخصائصها الأخرى، وأوجه الترابط والاقتراحات؛ وهي تسعى إلى توفير نظرية منهجية للظواهر، وتمكين البشر من فهمها والاستفادة منها.

وبالتالي، في حين أن للعلم جذوره في الإنتاج، ويتم تطبيقه في الإنتاج، في نفس الوقت يتم تطويره كنشاط متخصص متميز عن الإنتاج. ويترتب على ذلك أن أولئك الذين يطورونه غالبًا ما يكونون غير مدركين لعلاقته بالإنتاج وقد ينكرونها. بقدر ما يتعلق الأمر بوعيهم لأنشطتهم، فقد يجرون تحقيقاتهم بدافع الفضول، من أجل المعرفة، ومن حب البشرية والرغبة في تنوير الناس، لأنهم يستمتعون بها، لأنهم يتقاضون رواتبهم مقابل القيام بذلك، أو لأنهم يرغبون في أن يصبحوا مشهورين. قد تعمل العديد من الدوافع الذاتية المختلفة بالفعل في

العمل العلمي، وبالطبع، قد تؤثر هذه الدوافع بالفعل على طابع العمل ونتائجه.

علاوة على ذلك، بمجرد وضع العلم على مسار اكتشافات معينة، غالبًا ما تؤدي هذه الاكتشافات إلى اكتشافات اخرى، وتستمر عملية متابعة الاستنتاجات وتعميم وتنظيم الأفكار الناتجة بمنطق خاص بها، بغض النظر عن مشاكل عملية معينة مرتبطة بالإنتاج.

لهذا السبب غالبًا ما يتم توضيح المشاكل العلمية المهمة مسبقًا قبل الاحتياجات العملية وحتى قبل وقت طويل من إمكانية أي تطبيق عملي. على سبيل المثال، تم التوصل إلى استنتاجات علمية حول وجود الموجات الكهرومغناطيسية قبل وقت طويل من أي تطبيق عملي في تقنيات الراديو. تم اكتشاف الانشطار الذري قبل سنوات عديدة من محاولة التطبيق العملي لإطلاق الطاقة الذرية. وبالتالي فإن التقدم العلمي يميل إلى اكتساب زخم خاص به مستقل عن التطبيق العملي.

علاوة على ذلك، حتى عندما يصبح هذا التطبيق ممكنًا من الناحية التقنية، فإنه غالبًا ما يتأخر بسبب الظروف السياسية والاقتصادية. وبالتالي، فإن العلوم، باعتبارها نظرية الإنتاج، تختلف منذ البداية عن ممارسة الإنتاج، سواء في تنظيمها أو في النشاط الشخصي ووعي ممارسيها. في الوقت نفسه، تعتمد طبيعة العلوم ومستواها دائمًا على تلك الخاصة بالإنتاج، وتنشأ مشاكلها في التحليل الأخير من الإنتاج، ويتم تغذية نتائجها مرة أخرى في الإنتاج. يعتمد تطوير العلوم دائمًا على تطوير الإنتاج، وبالتالي يحافظ على الإنتاج ويدفعه إلى الأمام. إن التمييز بين العلم والإنتاج ليس انفصالًا، ولكنه ارتباط وثيق جدًا. وبالتناسب مع انقطاع هذا الاتصال الأساسي، تبدأ العلوم نفسها دائمًا في الركود ثم الانحلال. بشكل عام، الأوقات التي يتم فيها إعطاء زخم جديد للعلم هي الأوقات التي يتم فيها تطوير تقنيات إنتاج جديدة. وعادة ما يرتبط أولئك الذين يتصدرون بعد ذلك المسارات الجديدة في العلوم ارتباطًا وثيقًا في مصالحهم العملية بالعمليات

الإنتاجية الجديدة. ثم يتبع عملية التطوير والتطوير العلمي للأفكار والاكتشافات الجديدة.

العلوم والطبقات

ما قيل توا يظهر أن ظهور العلوم هو نتاج تقسيم العمل. يتم تطوير العلوم كنتاج عقلي متميز عن العمل البدني كمجال خاص للنشاط النظري منفصل عن عمل الإنتاج. يترتب على ذلك أن تطوير العلوم مرتبط ارتباطًا وثيقًا بتطور الطبقات. في أوقات مختلفة، أخذت الطبقات المختلفة يدها في تطوير العلوم، ونتيجة لذلك، أثرت على هذا التطور ليناسب متطلباتها الطبقية، وفرضت على العلوم سمات معينة من أيديولوجيتها الطبقية.

من تقسيم العمل نشأت الملكية الخاصة واستغلال الطبقات، وبالتالي الانقسام بين كتلة المنتجين الكادحين التي تشكل الغالبية، والأقلية التي تولت الإدارة العامة للمجتمع وتوجيهه. ويتوقف تطور العلوم،

بوصفها فرعا من فروع العمل العقلي، على وجود هذه الأقلية المتحررة من العمل البدني للإنتاج.

والقدرة على القيام بهذا العمل العقلي. وبالتالي، فإن الطبقة التي تولت، في أي فترة معينة، الإدارة العامة للمجتمع وتوجيهه، وبالتالي الدولة والدين وما إلى ذلك، تتولى أيضًا العلوم وتمارس تأثيرًا مسيطرًا على تنميتها.

وتتطور العلوم أساسا كجزء من الوسائل اللازمة للتوجيه العام للشؤون الاجتماعية وإدارتها، فضلا عن المشاريع الخاصة. وبالتالي فإن العلوم تتطور كوسائل أو أدوات في أيدي مختلف الطبقات، وتخدم احتياجاتها في طريق الاستمرار في الإنتاج وتوسيعه، وإدارة الشؤون الاجتماعية ومراقبتها بشكل عام. تعزز هذه الطبقات وتعزز تطوير العلوم بقدر ما تتطلب اهتماماتها اكتشاف الأشياء، على أنها تختلف عن مجرد البقاء في الجهل أو اختراع نظريات خاطئة.

وبالتالي، فإن توسيع نطاق العلم، وكذلك حدود هذا التوسع، تحكمها المصالح الناشئة عن ظروف وجود طبقات معينة من وقت لآخر.

ففي مجتمع الرقيق وفي المجتمع الإقطاعي، على سبيل المثال، لا تشير ظروف وجود الطبقات الحاكمة، التي ترتبط بوجود مستوى منخفض نسبيا من التنمية في كل من الزراعة والصناعة، سوى اهتمام محدود للغاية بتطوير العلوم. ولكن بمجرد ظهور البرجوازية، طالبت مصالحها بتوسيع هائل للعمل العلمي، المرتبط في المقام الأول بتطوير المصنوعات والصناعات، ولكن أيضًا، في ظروف كفاحها الثوري، مع الإنسان وعلاقاته الاجتماعية. العلم الحديث هو إنشاء البرجوازية، واحدة من أكثر المنتجات النموذجية للمجتمع البرجوازي، وسيلة لفهم والتحكم في عمليات الطبيعة والمجتمع التي تم إنشاؤها في ظل ظروف تطوير الرأسمالية.

الأيديولوجيا الطبقية في العلوم

حقيقة أن طبقة معينة تقوم بدور الريادة في التطور العام للعلم تضع أيضًا شروطًا محددة وتحد من تطوير أفكار العلم. على أساس الظروف المادية لوجود الطبقة، تتشكل المفاهيم المسبقة التي تحدد طابع الأيديولوجية الطبقية. يتم استخدام هذه المفاهيم المسبقة و ، بطريقة أو بأخرى، من قبل الممثلين الفكريين للطبقة في كل مجال من مجالات نشاطهم الأيديولوجي.

وهكذا يتم استخدامها وتطبيقها في العمل العلمي، وتخترق وتفرض نفسها على نظرية العلوم، وبهذه الطريقة تؤثر وتلون التطور الكامل للعلوم في كل فترة معينة. في مجتمع العبيد، على سبيل المثال، تم تطوير الفكرة، وتم التوصل إليها بشكل كامل في المجتمع الإقطاعي، أن كل شيء موجود يشكل تسلسلًا هرميًا، يمتد من الله، من خلال درجات مختلفة من الذكاء الأدنى، من البشر، والحيوانات والنباتات والمعادن. كان كل شيء موجودًا لغرض ما، يتوافق مع مكانه في النظام، وهذا ما حدد خصائصه الأساسية بالإضافة إلى تحركاته وتغيراته.

سيطر هذا النوع من التصور على العلوم. كان لا بد من صياغة كل نظرية تتعلق بالإنسان أو الطبيعة من حيث صياغتها وجعلها تتناسب معها على سبيل المثال، تم اعتبار أن السماء التي تتجاوز دائرة القمر كانت ذات طبيعة متفوقة، وتنتمي إلى درجة أعلى من الوجود، إلى الأرض تحتها. ومن ثم فإن الحركات السماوية (التي كان من المفترض أن تكون دائرية بالضرورة، لأن مثل هذه الحركات كان من المفترض أن تكون الأكثر كمالا) كانت تعتبر حركات تطيع قوانين مختلفة عن القوانين الأرضية. فالأجسام الأرضية تميل بطبيعة الحال إلى السقوط باتجاه المركز، مما يؤدي إلى الجاذبية كما لوحظ على الأرض؛ ولكن هذا لا ينطبق في السماء. في المفهوم البطلمي للقاعدة التي تعتبر ان الأرض في مركز الكون، مع الشمس والنجوم تدور وراءه. كوبرنيكوس، الذي وضع الشمس في المركز وجعل الأرض واحدة من الكواكب، أثر قطيعة حاسمة مع هذا النوع من التصور، ومهد الطريق للمفهوم

النيوتوني للجاذبية العالمية وقوانين الحركة، التي ضمت حركات جميع الأجسام في الكون في إطار مخطط واحد للسببية الميكانيكية.

هاجمت الأيديولوجية البرجوازية بشكل عام والعلوم البرجوازية بشكل خاص المفاهيم التقليدية القديمة. نشأ هذا الهجوم وتطور على أساس نمو العلاقات الاجتماعية البرجوازية.

ما حل محل المفاهيم القديمة كان مفاهيم جديدة وعادة برجوازية للهوية النوعية الأساسية لجميع الكائنات المادية، والسببية الميكانيكية.

في الوقت نفسه، بصرف النظر عن ممثليها الأكثر تطرفًا، لم تتغلب البرجوازية بأي حال من الأحوال على مفاهيم الله والروح. ولكن بدلاً من التسلسل الهرمي الفردي المتدرج للوجود، من أدنى نوع من المواد الموجودة في الأسفل إلى أعلى نوع من الكائنات الروحية (أو الله) في القمة، تم إدخال تقسيم الكون إلى مجالين مختلفين تمامًا كونهما

خاضعين لقوانين ثابتة وحتمية من ناحية، والله والعالم الروحي من ناحية أخرى.

بطريقة أو بأخرى، دخلت مثل هذه المفاهيم البرجوازية في النسيج النظري الكامل للعلوم الحديثة، كما فعلت مفاهيم العبيد والإقطاعية للعلوم القديمة والعصور الوسطى. ولكن هناك هذا الاختلاف الهام في أنه في حين أن المفاهيم القديمة كانت معادية لاستكشاف الطبيعة بالطرق التجريبية، فإن المفاهيم الجديدة كانت مواتية لها وتطلبت ذلك.

الاكتشاف والمفهوم المسبق

بسبب هذا التأثير الأيديولوجي الطبقي في النظرية العلمية، يظهر التمييز دائمًا في تطوير العلوم بين الاكتشافات التي يصنعها العلم والتصورات المسبقة التي يتولى العلم زمام الأمور ويستخدمها. يتم الاكتشاف عندما، نتيجة للتحقيقات، يصبح هناك شيء معروف عن أنواع الأشياء الموجودة، وخصائصها وترابطها وقوانينها. لكن يجب

التعبير عن الاكتشافات دائمًا في اقتراحات تمت صياغتها بمساعدة مفاهيم محددة، ويتم تقديم مثل هذه الافتراضات دائمًا لتشكل جزءًا من نظرية عامة. لذلك، بالنظر إلى مجموع أفكار ونظريات العلوم في أي وقت، نجد أنها، في جانب واحد، تتكون من صياغة الاكتشافات الفعلية، وفي جانب آخر، تتكون من المفاهيم المسبقة العامة من حيث يتم صياغة الاكتشافات وحياكتها معًا في نظرية عامة.

هذا التمييز بين الاكتشاف والمفهوم المسبق، الموجود دائمًا في العلم، غالبًا ما يؤدي إلى تناقض بين الاكتشاف والمفهوم المسبق.

التي هي دائما موجودة في العلم، كثيرا ما تؤدي إلى تناقض بين الاكتشاف والمفهوم المسبق. وهذا التناقض يعمل باستمرار في تطوير العلوم.

هذا التناقض هو في جوهره تناقض بين المحتوى والشكل في العلم تناقض بين المحتوى الفعلي لاكتشافات العلم والأشكال النظرية التي

يتم التعبير عنها وتعميمها. يمكن أن تعمل بأي من طريقتين، بطريقة إيجابية أو بطريقة سلبية.

بشكل إيجابي، تساعد الاكتشافات الجديدة على تحطيم المفاهيم المسبقة القديمة وتؤدي إلى طرق جديدة لفهم الأشياء. سلبًا، يؤدي الاحتفاظ بالمفاهيم المسبقة القديمة إلى إعاقة التقدم نحو الاكتشافات الجديدة.

على سبيل المثال، في فجر العلوم الطبيعية الحديثة، كانت المفاهيم المسبقة القديمة تعيق التقدم إلى الاكتشافات الجديدة عندما أعاقت فكرة أن الحركات السماوية كانت مختلفة تمامًا عن الحركات الأرضية تقدم علم الفلك والميكانيكا. ثم ساعدت الاكتشافات الجديدة في علم الفلك والميكانيكا، عندما تم تحقيقها، في تحطيم المفاهيم القديمة وقيادة الطريق إلى نظرة جديدة.

مرة أخرى، في العلوم الطبيعية البرجوازية الحديثة، نشأ تناقض بين اكتشافات العلم والطريقة الميكانيكية البرجوازية التقليدية لتفسيرها.

وهكذا أشار إنجلز إلى أن الأثر التراكمي للاكتشافات أي انه في الملاذ الأخير تعمل الطبيعة جدليًا وليس ميتافيزيقيًا.... لكن علماء الطبيعة الذين تعلموا التفكير الجدلي قليلون ومتباعدون، وهذا التضارب بين نتائج الاكتشاف وأنماط التفكير المسبقة يفسر الارتباك " اللامتناهي السائد الآن في العلوم الطبيعية النظرية.

من ناحية، يؤدي هذا التناقض إلى «ارتباك لا نهاية له» في العلم، مما يعيق تقدم العلم. في علم الأحياء، على سبيل المثال، تم فرض أفكار ميكانيكية جامدة للغاية حول العمليات الحية، وعندما خلقت هذه الصعوبات، كان هناك لجوء إلى الأفكار الصوفية حول قوى الحياة، مما أدى إلى جدل عقيم بين «الآلية» و «الحيوية». مرة أخرى، عندما أزعجت الاكتشافات الحديثة في الفيزياء المخطط التقليدي للسببية الميكانيكية، وتم ادعاء أن فكرة السببية برمتها قد انهارت وأنه لا يمكن إعطاء «أي صورة» للعمليات الفيزيائية الأساسية. على من ناحية أخرى، أدى تراكم الاكتشافات إلى طرق جديدة للتفكير، إلى استبدال

الأيديولوجية البرجوازية بالمادية الجدلية. وهكذا استنتج لينين من فحصه للتطورات الجديدة في الفيزياء؛ ان"الفيزياء الحديثة " تولد المادية الجدلية.

العلوم الإجتماعية

حتى الآن ناقشنا فقط العلوم الطبيعية. لكن هناك أيضًا علم اجتماعي.

في نهاية المطاف، تم تحديد تطور العلوم الطبيعية، التي تجري تحقيقات في خصائص وقوانين الظواهر الطبيعية، من خلال الإنتاج. من ناحية أخرى، فإن العلوم الاجتماعية، التي تجري تحقيقات في خصائص وقوانين الظواهر الاجتماعية، تم تحديدها من خلال الصراع الطبقي. تعود جذور العلوم الاجتماعية إلى تجربة الطبقات المختلفة المكتسبة في سياق صراعهم الطبقي.

تنشأ العلوم دائمًا من بعض الاحتياجات. في التحليل الأخير، تكون احتياجات الإنتاج هي التي تستدعي العلوم الطبيعية، ويتم إجراء

تحقيقاتها نيابة عن أي فئة توجه الإنتاج. وفي المقابل، فإن احتياجات الإدارة العامة للشؤون الاجتماعية ومراقبتها تستدعي العلم الاجتماعي. ويتم إجراء تحقيقاتها نيابة عن أي فئة تدير وتسيطر فعليًا على الشؤون الاجتماعية أو تكافح لتأمين مثل هذه الإدارة والسيطرة.

وقد شهدت دراسة الظواهر الاجتماعية تطورا كبيرا في مجتمع الرقيق والإقطاعي والرأسمالي.

حيت تم إجراء أكثر التحقيقات المضنية في مختلف أشكال المجتمع والحكومة، وفي القوانين الاجتماعية التي يجب على أي حكومة أن تعرفها، وكذلك تحقيقات المؤرخين، التي حددت تسلسل الأحداث العامة في تاريخ مختلف المجتمعات الإنسانية.

ولكن حتى ظهور الطبقة العاملة الحديثة، تم إجراء هذه التحقيقات من قبل ممثلي الطبقات المسيطرة. ولذا فقد كانت في المقام الأول دروس واستنتاجات عن الإنسان والمجتمع استخلصتها الطبقات المسيطرة التي أدمجت في العلوم الاجتماعية. وقد أعطى علم الاجتماع

شخصية مختلفة تمامًا عن العلوم الطبيعية. كما طوره ممثلو الطبقات المستغلة، وتم فصل العلوم الاجتماعية التي تتعامل مع علاقات الرجال وتفاعلاتهم مع بعضهم البعض تمامًا عن العلوم الطبيعية التي تتعامل مع الطبيعة الخارجية وعمل الإنسان على الطبيعة. وقد ثبت أنه من المستحيل إرساء أساس علم جدير بالثقة للمجتمع بالطريقة التي تمكنت نفس الطبقات من القيام بها في حالة الطبيعة الخارجية.

هناك أربع سمات رئيسية للعلوم الاجتماعية التي ميزتها بشكل أساسي عن العلوم الطبيعية.

تحظر المصالح الطبقية تمامًا بعض التحقيقات والاكتشافات في العلوم الاجتماعية، بطريقة لا تفعلها في العلوم الطبيعية. حقيقة أن العلوم الاجتماعية قد تم تطويرها من خلال استغلال الطبقات كمساعدة لنضالاتهم الطبقية تضع قيودًا غير سالكة على إمكانيات

الاكتشاف من قبل العلوم الاجتماعية طالما أنها لا تزال في أيدي تلك الطبقات.

وهكذا كتب ستالين، في اشارة خاصة الى التحقيقات الاقتصادية:

"خلافا لقوانين العلوم الطبيعية، عندما يسير اكتشاف وتطبيق قانون جديد بسلاسة إلى حد ما، واكتشاف وتطبيق قانون جديد في المجال الاقتصادي، الذي يؤثر على مصالح قوى المجتمع القديمة، ويواجه أقوى مقاومة من جانبها.

صحيح، بالطبع، أن الاكتشافات المختلفة حول الطبيعة تمت مقاومتها لبعض الوقت من قبل ممثلي الطبقات الحاكمة، لأسباب أيديولوجية خاصة بهم. وفي هذا الصدد، لم يكن مسار العلوم الطبيعية أحيانًا «سلسا». كان هذا هو الحال، على سبيل المثال، مع جاليليو، أو في الآونة الأخيرة داروين، أو ميتشورين. لكن دائمًا، في النهاية، تجبر الحقائق الاخرين على الاعتراف بها، واستخدامها، تتكيف الايديولوجيات مع الاكتشافات الجديدة. التي أدمجت في

العلوم الاجتماعية. وقد أعطى هذا العلم الاجتماعي شخصية مختلفة

تمامًا عن العلوم الطبيعية. كما طوره ممثلو الطبقات المستغلة، تم

فصل العلوم الاجتماعية التي تتعامل مع علاقات الرجال وتفاعلاتهم

مع بعضهم البعض تمامًا عن العلوم الطبيعية التي تتعامل مع

الطبيعة الخارجية وعمل الإنسان على الطبيعة. وقد ثبت أنه من

المستحيل إرساء أساس علم جدير بالثقة للمجتمع بالطريقة التي

.تمكنت نفس الطبقات من القيام بها في حالة الطبيعة الخارجية

هناك أربع سمات رئيسية للعلوم الاجتماعية التي ميزتها بشكل أساسي

.عن العلوم الطبيعية

تحظر المصالح الطبقية تمامًا بعض التحقيقات والاكتشافات في

العلوم الاجتماعية، بطريقة لا تفعلها في العلوم الطبيعية. حقيقة أن

العلوم الاجتماعية قد تم تطويرها من خلال استغلال الطبقات

كمساعدة لنضالاتهم الطبقية تضع قيودًا غير سالكة على إمكانيات

الاكتشاف من قبل العلوم الاجتماعية طالما أنها لا تزال في أيدي تلك الطبقات.

وهكذا كتب ستالين، في اشارة خاصة الى التحقيقات الاقتصادية:

"خلافا لقوانين العلوم الطبيعية، عندما يسير اكتشاف وتطبيق قانون جديد بسلاسة إلى حد ما، واكتشاف وتطبيق قانون جديد في المجال الاقتصادي، التي تؤثر على مصالح قوى المجتمع القديمة، وتواجه أقوى مقاومة من جانبها.

صحيح، بالطبع، أن الاكتشافات المختلفة حول الطبيعة تمت مقاومتها لبعض الوقت من قبل ممثلي الطبقات الحاكمة، لأسباب أيديولوجية خاصة بهم. وفي هذا الصدد، لم يكن مسار العلوم الطبيعية أحيانًا سوى «سلس». كان هذا هو الحال، على سبيل المثال، مع جاليليو، أو في الآونة الأخيرة داروين، أو في الآونة الأخيرة لا تزال ميتشورين. لكن دائمًا، في النهاية، الحقائق نفسها تجبر على الاعتراف، والاكتشافات يتم استيعابها واستخدامها، والأيديولوجيات تتكيف مع

الاكتشافات الجديدة. لكن في المجال الاجتماعي، من ناحية أخرى، المقاومة مطلقة. لن تعترف الطبقة المستغلة بالحقائق والقوانين المتعلقة بالمجتمع إذا كان ذلك سيضر بشكل قاتل بمصالحها الطبقية. لن تعترف بالحقائق التي من شأنها أن تكشف الطبيعة الحقيقية لنظامها الخاص، والقوانين التي من شأنها أن توضح السقوط الحتمي لهذا النظام.

في حين أن الطبقات المستغلة طورت العلوم الطبيعية كأدوات للتحكم الجماعي للبشر في الطبيعة، إلا أنهم لم يطوروا العلوم الاجتماعية بالمقابل كأداة لإتقان البشر لتنظيمهم الاجتماعي. لم تطور الطبقات المستغلة العلوم الاجتماعية إلا كأداة لمساعدتها على تأمين وحفظ حكمها الطبقي. وقد أجريت تحقيقات كثيرة عن المجتمع، استخلصت منها استنتاجات نظرية وعملية. ولكن على عكس التحقيقات والاستنتاجات التي توصلت إليها العلوم الطبيعية، فإن هذه لم تمكن الناس أبدًا من تأمين مثل هذه السيطرة على نتائج أفعالهم التي

يمكنهم توجيهها والتخطيط لجهودهم التعاونية لتحقيق غايات محددة.

اهتمت الطبقات المستغلة بتطوير أدوات الإنتاج التي كانت وسيلة لزيادة تحكمهم في الطبيعة.

وهكذا، تحت رعاية هذه الطبقات، ساعدت العلوم الطبيعية أكثر فأكثر في إدراك تحكم الإنسان للطبيعة. لكن في الوقت نفسه، أدى تطوير الملكية الخاصة والاستغلال إلى جعل الناس عرضة لآثار علاقاتهم الاجتماعية التي تقع خارج نطاق سيطرتهم الاجتماعية الواعية. ويجب أن يكون الأمر كذلك طالما استمر الاستغلال في الوجود. ومن هنا تأتي نفس العملية التاريخية التي تخلق للطبقات المستغلة إمكانية تطوير علم طبيعي يساعد على إدراك إتقان الإنسان للطبيعة، ويحجب عنهم إمكانية تطوير علم اجتماعي يساعد على إدراك إتقان الإنسان لتنظيمه الاجتماعي.

ولئن كان استغلال الطبقات قد تمكن من زيادة تطوير وتعزيز البحث العلمي ليس فقط للظواهر السطحية للطبيعة، ولكن للأسباب والقوانين الكامنة وراء هذه الظواهر، فإن علمها الاجتماعي لا يستطيع أبدا أن يخترق الأسباب والقوانين الأساسية لحركة المجتمع.

تكمن الأسباب والقوانين الأساسية لحركة المجتمع في مجال علاقات الإنتاج والعلاقات الملكية والطبقية. لكن من المستحيل إجراء تحقيق علمي حتى النهاية في هذا المجال دون الكشف أخيرًا الحقيقة المتعلقة بأساس المركز المتميز للطبقات المستغلة، والطابع المتناقض والعابر لنظام الاستغلال، الذي تهتم هذه الطبقات بشكل حيوي بإخفائه وإخفائه. ومن ثم، حتى عندما، خلال مرحلة تقدمية، يبدأ العلم الاجتماعي للطبقة المستغلة لإجراء تحليل أعمق للأساس الاقتصادي للمجتمع (كما هو الحال مع البرجوازية البريطانية في المرحلة الأولى من الرأسمالية الصناعية)، سرعان ما تتراجع الطبقة عن إنجازها الخاص، وتعود تحقيقاتها الاجتماعية إلى مستوى وصفي سطحي مليء

بالأفكار المضللة. يمكن لعلماء الاجتماع لاستغلال الطبقات في النهاية تصنيف وتحليل وشرح الظواهر التي تم التحقيق فيها، وإدخال دوافع وهمية وتفسيرات خاطئة باستمرار في رواياتهم عن المجتمع.

في أيدي الطبقات المستغلة، العلوم الاجتماعية لديها لا تزال أكثر عمقا بكثير تحت تأثير الأيديولوجية الطبقية من العلوم الطبيعية. في العلوم الطبيعية، غالبًا ما أعاقت المفاهيم الأيديولوجية المسبقة الطبقية، لكنها في النهاية لم تمنع العلوم من اكتشاف العديد من القوانين الموضوعية والترابطات الأساسية للظواهر التي كانوا يبحثون فيها. في العلوم الاجتماعية، من ناحية أخرى، تم تحديد النظرية العامة للمجتمع في المقام الأول من خلال المفاهيم المسبقة الأيديولوجية الطبقية.

لأن المصالح الطبقية تحظر بعض التحقيقات والاكتشافات؛ لأن الفصول المسؤولة عن العلوم الاجتماعية لا يمكنها تطويرها كوسيلة لتحرير الانسان لنفسه الإنسان لنفسه

وبذلك تقدم استنتاجاتها إلى الاختبار والممارسة الاجتماعية؛ نظرًا لأن العلوم الاجتماعية تستمد من دراسة الأسباب والقوانين الأساسية لحركة المجتمع، فإن ذلك يستتبع أن المفاهيم العامة للمجتمع المستخدمة في العلوم الاجتماعية ليست مستمدة من البحث العلمي ولها طابع الوعي الزائف، والوعي الأيديولوجي الطبقي. ونتيجة لذلك، اتجهت تحقيقات واستنتاجات العلوم الاجتماعية، في أيدي ممثلي الطبقات المستغلة، إلى التطور في المقام الأول كمجرد تفصيل للتصورات المسبقة للأيديولوجية الطبقية على أنها تصنيف وتفسير للحقائق الاجتماعية بطريقة تعزز أوهام طبقة معينة بشأن المجتمع، وتقديم حجج لدعم سياساتها السياسية.

ولكل هذه الأسباب، فإن العلوم الاجتماعية في أيدي ممثلي الطبقات المستغلة لم تحقق، ولا يمكن أن تحقق، نفس المكانة العلمية التي تتمتع بها العلوم الطبيعية. وقد كانت تميل باستمرار إلى التدهور إلى مجرد اعتذارات من الطبقة الحاكمة.

الوظائف الاجتماعية للعلوم

وسنلخص هذا الفصل ببعض الاستنتاجات بشأن طبيعة العلم والدور الذي يؤديه في الحياة الاجتماعية وفي التنمية الاقتصادية والثقافية. ثم سننظر في الفصل التالي في بعض السمات العامة للتطور التاريخي للعلم، والدور الذي من المقرر أن يلعبه في المستقبل، في بناء المجتمع الاشتراكي.

قصد التمييز بين الطريقتين العلمية والوهمية يعتمد الوعي على الأساليب المختلفة لتكوين الأفكار حول الأشياء من ناحية، تكوين الأفكار على أساس التفاعل العملي مع الأشياء، وتطويرها عن طريق التحقيق المنهجي واختبارها باستمرار في الممارسة العملية ؛ من ناحية أخرى، انطلاقا من المفاهيم الأيديولوجية المسبقة.

هذان النمطان من الوعي لا يستبعد أحدهما الآخر. إنهم متضادان، لكنها اتجاهات معاكسة في العمل في التطور الكلي للوعي الاجتماعي، والتي تتداخل في كل مرحلة، والتي تحدد معا التكوين الفعلي للأفكار

المطروحة بشأن الطبيعة والمجتمع، وبشأن جوانب معينة من الطبيعة والمجتمع. وهذا بدوره يؤدي إلى تناقضات مستمرة في مثل هذه الأفكار. كما رأينا، أصبح النمط العلمي للوعي تدريجيًا التأثير السائد في تكوين الأفكار حول الطبيعة، بينما ظل أسلوب الوعي الوهمي هو التأثير السائد في تكوين الأفكار حول المجتمع.

يرتبط البحث العلمي والاكتشاف بالممارسة الاجتماعية وممارسة الإنتاج وممارسة الصراع الطبقي. وفي التحليل الأخير، ينشأ دائما عن متطلبات الممارسة ويحكمها. وتلبية لمتطلبات الممارسة، فإنها تسهم إسهاما أساسيا في الممارسة.

ويؤدي البحث العلمي والاكتشاف دورا لا غنى عنه في تطوير قوى الإنتاج؛ وكلما زاد تطور قوى الإنتاج كلما زادت اهمية الدور الذي يؤديه العلم في تطورها. على سبيل المثال، لم يلعب العلم أي دور في قوى الإنتاج في العصر الحجري. بدئ يلعب دورًا في تنمية الزراعة، والأعمال المعدنية، والأشغال العامة. انه يلعب دورا رئيسيا في قوى

الإنتاج الحديثة، لأن التكنولوجيا الحديثة ستكون مستحيلة بدون العلم ؛ وأكثر من ذلك، فإنها تلعب دورا رائدا، حيث أصبح البحث العلمي رائدا في طريق التطور التكنولوجي ويؤدي مباشرة إلى ثورات عظيمة في التكنولوجيا.

والمساهمة بذلك في تطوير قوى الإنتاج، يصبح العلم قوة ثورة في المجتمع. لأنه عامل رئيسي في أوجه التقدم التي تحرزها قوى الإنتاج والتي تجعلها تتعارض مع علاقات الإنتاج القائمة وبالتالي تؤدي إلى تغيير ضروري وحتمي في الهيكل الاقتصادي للمجتمع بأكمله. هذا واضح اليوم في تطوير العلوم الفيزيائية، على سبيل المثال. وبالتالي فإن إنتاج الطاقة الذرية هو أحد العوامل التي تجعل استبدال الرأسمالية بالاشتراكية ضروريًا بشكل عاجل، حتى يمكن تطوير هذا الإنتاج بشكل مثمر لخدمة المجتمع.

في الوقت نفسه، يلعب العلم دورًا في الصراع الطبقي. تلعب العلوم الطبيعية بشكل غير مباشر وكوظيفة ثانوية، والعلوم الاجتماعية بشكل مباشر وكوظيفة أولية.

الوظيفة الاجتماعية الأساسية للعلوم الطبيعية هي المساعدة في الإنتاج. من هذا يتبع وظيفته الثانوية في الصراع الطبقي. يخدم التقدم المحدد في العلم والتكنولوجيا مصالح الطبقات المحددة، إما في صراعها على السلطة أو في توطيد نظامها عندما تكون كذلك في السلطة. وهكذا، على سبيل المثال، فإن التطورات المبكرة للعلم والتكنولوجيا المعاصرين خدمت البرجوازية الصاعدة بطريقتين أولا، بتمكينها من زيادة ثروتها وبالتالي تعزيز وضعها الاجتماعي؛ ثانيا، من الناحية الأيديولوجية بمساعدتهم على النضال ضد الأيديولوجية الإقطاعية. وعندما تأسست البرجوازية في السلطة، كان العلم والتكنولوجيا عاملين قويين في توطيد النظام الرأسمالي. وما زالوا يخدمون نظام الرأسمالية الاحتكارية. في الوقت نفسه، يتم الضغط

عليهم أيضًا لخدمة الطبقة العاملة وقضية الاشتراكية، وتطوروا في تلك الخدمة في البلدان التي يتم فيها بناء الاشتراكية، كدافع رئيسي في البناء الاشتراكي؛ وفي كل مكان كجزء من المعدات الأساسية للأيديولوجية الاشتراكية. من ناحية أخرى، تخدم أنواع مختلفة من التحقيقات الاجتماعية والصراع الطبقي بشكل مباشر، وتوفر متطلبات الصراع الطبقي الدافع الرئيسي لمثل هذه التحقيقات. وفي حالة استغلال الطبقات، هذا، كما رأينا، يفسر حقيقة أن الأوهام الأيديولوجية الطبقية تلعب دورًا أكبر بكثير في العلوم الاجتماعية منه في العلوم الطبيعية. الدراسة المقارنة لمختلف أشكال المجتمع والحكم، وصف وتصنيف مختلف لأشكال النشاط الاجتماعي، والتحقيق في أفضل طريقة للاضطلاع بمختلف أشكال النشاط الاقتصادي التي كانت مهنا أساسية لمختلف فئات الحكم والاستغلال، التي خدمتها في تخطيط وتوجيه أنشطتها سواء في اكتساب السلطة أو توطيدها، وفي تطوير آرائهم الطبقية في الصراع الأيديولوجي مع الطبقات الأخرى. في

الصراع الطبقي للطبقة العاملة، في النضال من أجل الاشتراكية، تم تطوير العلوم الاجتماعية لأول مرة كوسيلة أساسية لمعرفة كيفية تحويل المجتمع؛ وفي هذا يبدأ لأول مرة في تحقيق وضع علمي يعادل ذلك للعلوم الطبيعية.

الوظيفة الاجتماعية الرئيسية والأكثر أهمية للعلم هي تطوير الممارسة الاجتماعية. ومن خلال إجراء تحقيقات علمية لمعرفة الأشياء والتوصل إلى استنتاجات عامة على أساس ما اكتشفوه، يستطيع الناس توسيع وتنمية قواهم الإنتاجية، وتنظيم اتصالاتهم الاجتماعية وأنشطتهم الفردية والاجتماعية، بما يتناسب مع مستوى قواهم الإنتاجية وما يترتب على ذلك من طابع العلاقات الإنتاجية. وبالتالي، فإن تطوير العلم وسيلة أساسية لكمال الحياة البشرية، تعمل على زيادة تحكم البشر بالطبيعة، وثروته الاجتماعية، ونطاق أنشطته وقوتها، وقدرته على إدارة شؤونه وتلبية احتياجاته.

هذا يحمل على السؤال، الذي أثير مؤخرًا بين الماركسيين، ما إذا كان العلم يتطور كجزء من البنية الفوقية الأيديولوجية أو الأساس الاقتصادي للمجتمع. من ناحية أخرى، نظرًا لأن المفاهيم المسبقة الأيديولوجية الطبقية تدخل بالفعل في العلم، فمن الواضح أن العلم يتضمن في حد ذاته وجهات نظر تنشأ وتتطور كبنية فوقية على أساس اقتصادي. تنشأ مثل هذه المفاهيم المسبقة على وجه التحديد مثل وتنشأ الأفكار المسبقة على وجه التحديد كمنتجات لأساس معين من الملكية والعلاقات الطبقية، وتخدم هذا الأساس كوسيلة لتوطيده وتطويره، وتختفي عندما يختفي هذا الأساس. ولا يمكننا أن نفهم تاريخ العلم، أو طابعه المحدد وتناقضاته في أي مرحلة بعينها، دون أن نأخذ في الحسبان حقيقة أنه يتطور بواسطة طبقات محددة، تلعب أفكارها المسبقة الطبقية دورا نشطا في تطوره.

من ناحية أخرى، لا يتم تحديد محتوى اكتشافات العلم من خلال أساس اقتصادي. وهي ترتبط ارتباطا مباشرا باحتياجات الإنتاج

وبالتفاعل الاجتماعي الناتج عن الإنتاج، وتعكس الحقائق والقوانين الموضوعية، وتخدم المجتمع عموما وتظل صالحة لأي أساس اقتصادي.

لنأخذ مثالاً ملموسًا، مثال فيزياء الكم كما تم تطويره في المجتمع البرجوازي اليوم. الاكتشافات المتعلقة بقوانين حركة المادة على المستوى الذري ليست بنية فوقية أيديولوجية على الأساس الاقتصادي البرجوازي. لكن النظرية القائلة بأن الأحداث تحدث بدون أسباب، والتي تم بناؤها حول هذه الاكتشافات، هي بنية فوقية. ومن ثم لم تتطور فيزياء الكم في اكتشافاتها الأساسية كبنية فوقية على أساس اقتصادي، ولكن تطورت بعض السمات المؤقتة لنظريتها العامة.

إذن، هل يتطور العلم كبنية فوقية؟ لا، ولكن المفاهيم المسبقة التي تشكل جزءاً من الهيكل الفوقي تدخل في العلم وتؤثر في تطوره. إنهم يؤثرون على تطوره إما بشكل إيجابي أو سلبي، تمامًا كما هو الحال

بشكل عام في الاساسات الاقتصادية للملكية والعلاقات الطبقية
.والتي قد تكون مواتية أو غير مواتية لمواصلة تطوير العلم

وعلاوة على ذلك، من الواضح أن العلم نفسه يلعب دورا هاما جدا في
التطور الأيديولوجي للمجتمع.

على سبيل المثال، مفهوم تطور الأنواع من خلال الانتقاء الطبيعي،
تصور الخلية كوحدة تتطور من خلالها الحياة، مفهوم الذرة، تصور
الأرض كجزء من النظام الشمسي داخل مجرة درب التبانة، جميع
المفاهيم المكونة علميا والتي أصبحت جزءا من النظرة المقبولة
للطبيعة في المجتمع البرجوازي، وبالتالي جزءا من الأيديولوجية
البرجوازية الحالية. بشكل عام، لا تخترق الأيديولوجية البرجوازية
العلم فقط من خلال فرض تصورات مسبقة عليه، ولكنها أيضًا
تخترق من طرف العلوم نفسها، وفي نفس الوقت تسعى غالبًا إلى
«تفسير» الاكتشافات العلمية وشرحها.

لكن قبل كل شيء، يلعب العلم دورً السلاح للنقد في تطوير الأيديولوجية. تتعارض المفاهيم والاكتشافات الجديدة للعلوم مع الأيديولوجية الحالية، وتهز تصوراتها المسبقة والاستنتاجات المستخلصة منها. لذلك عندما تنهض الطبقات الجديدة لتحدي نفوذ الطبقات الحاكمة القديمة، وتتعارض الأفكار الجديدة مع الأفكار القديمة، يصبح البحث العلمي والاستنتاجات المستخلصة منه سلاحًا ثوريًا للنقد.

ولذلك، فإن العلم، قبل كل شيء، يلعب دورا تقدميا وتحريريا في التطور الاجتماعي. تعزز اكتشافاته القوة الجماعية للبشر لتلبية متطلباتهم، وتعمل كوسيلة للتنوير، وتبديد سحب الخطأ والخرافات، وتمكن البشر من معرفة الطبيعة وأنفسهم.

قدمت طبقات معينة، وأمم معينة بقيادة طبقات معينة، مساهماتها في تطوير العلوم، واضفت عليها مؤقتًا خصائصها وقيودها الخاصة، وفي كثير من الأحيان، بعد أن تقدمت في الاكتشاف العلمي،

واسترجاعها، والخلط بين نظرية العلم وأوهامها الخاصة وإفساد استخداماتها.

ولكن مهما كانت القيود والنكسات، فإن ما تم تحقيقه من قبل فئة أو أمة ما يتم الاستيلاء عليه واستمراره من قبل أخرى. ومن ثم، في تاريخ العلم، طور تراث المعرفة والقوة البشرية ولازال يتطور.

هذا هو التراث المشترك للبشرية، مقدر له أن يستخدم من أجل تحرير البشرية جمعاء.

الفصل التاسع

العلم والاشتراكية

تم تسجيل إنجازات علمية عظيمة في المجتمع البرجوازي، غير ان العلاقات الرأسمالية وضعت قيودًا على تطوير العلوم. في ظل الاشتراكية، عندما يتم تطوير العلم في خدمة الناس، تتم إزالة هذه القيود. على وجه الخصوص، مع صعود صراع الطبقة العاملة من أجل الاشتراكية، تم إنشاء علم المجتمع. في المجتمع الاشتراكي، تفقد الأوهام الأيديولوجية القديمة أساسها، وتبدأ أيديولوجية علمية عالمية جديدة في الضهور.

إنجازات العلوم البرجوازية

قبل العصر الرأسمالي الحديث، تطورت العلوم بشكل أساسي على المستوى الأولي والوصفي والتصنيفي. كانت اكتشافات العلم، بقدر ما كانت كبيرة في مجالات معينة، مجزأة في طابعها، حيث كانت تهتم بخصائص كائنات معينة وبقوانين ومفاهيم معينة، ولم تخترق بعد القوانين الأكثر عمومية والأساسية أو تقدم أي صورة عامة موثوقة للترابطات في الطبيعة. وبما أن العمل العلمي اقتصر أساسا على

الوصف والتصنيف، فإن التجريدات والتعميمات للعلوم، التي تشكل الجانبين الرئيسيين الآخرين للعمل العلمي، كانت بالضرورة تخمينات وتخمينات. وقد تم تطوير النظرية العامة للطبيعة كجزء من الفلسفة واللاهوت، وجسدت جميع الأوهام الفلسفية واللاهوتية في ذلك الوقت.

كانت سمة من سمات العلم في هذه المرحلة أنه استخدم بعض المفاهيم البدائية للغاية حول الطبيعة. على سبيل المثال، جمع الكيميائيون مخزونًا كبيرًا من المعرفة حول المواد الكيميائية وتركيباتها، لكن نظريتهم الكيميائية كانت بدائية للغاية، بالمعنى الحرفي لأنها استخدمت الأفكار التي تم توريثها عليها من الأزمنة البدائية. على سبيل المثال، كانت فكرتهم أن المواد الكيميائية هي كائنات حية تتكون من المادة والروح، وتمتلك أيضًا سمات جنسية. مرة أخرى، كان هناك تطور كبير في المراقبة الفلكية في مجتمع العبيد

والإقطاع، ولكن النظريات الكونية حول التصميم للكون تحت تأثير الأفكار البدائية

أشار إنجلز، في إحدى رسائله، إلى وجود «مخزون من عصور ما قبل التاريخ»، والذي تم الاعتماد عليه (بالمناسبة، لا يزال يتم الاعتماد عليه أحيانًا) لتفسير مفهوم البشر العام للطبيعة.

كتب: "هذه المفاهيم الخاطئة المختلفة للطبيعة... لها في الغالب أساس اقتصادي سلبي فقط؛ فالتطور الاقتصادي المنخفض في فترة ما قبل التاريخ مكمل ومشروط جزئيا بل وسببه المفاهيم الخاطئة للطبيعة. وعلى الرغم من أن الضرورة الاقتصادية كانت القوة الدافعة الرئيسية للمعرفة المتقدمة بالطبيعة وأصبحت أكثر من أي وقت مضى، فمن المؤكد أنه سيكون من المتحذلق محاولة إيجاد أسباب اقتصادية لكل هذا الهراء البدائي.

تاريخ العلم هو تاريخ التخلص التدريجي من هذا الهراء أو استبداله بجديد ولكن دائمًا

"هراء أقل سخافة.

لذلك، كان الموقف هو أن أيديولوجية الطبقات الحاكمة فرضت طابعًا فلسفيًا ولاهوتيًا معينًا على النظرية العامة للعلوم. وفي الوقت نفسه، أدى المستوى المنخفض نسبيًا للتنمية الاقتصادية إلى أن العديد من المفاهيم البدائية وغير المنطقية وجدت مكانها في النظريات حول أشياء معينة. هذه العوامل لا يمكن إلا أن تعيق تطور العلوم. لقد عملوا كعوامل سلبية قوية كان لا بد من جرفها قبل أن يصبح التطور الحديث للعلم والإنتاج ممكنًا.

نشأ العلم الطبيعي الحديث في الفترة التي تم فيها كسر قوة النبلاء الإقطاعيين وتشكيل الدول البرجوازية الأوروبية الحديثة. كتب إنجلز: «تطور العلم الطبيعي في خضم الثورة العامة وكان بحد ذاته ثوريًا تمامًا». ونفس القوى الطبقية هي التي كانت تنقل الثورة مرت عبر تطوير العلوم. حيث أصبح العلم كقوة كبيرة من التنوير، يخترق الجهل القديم والخرافات. لقد تحدى السلطات القديمة بالمعرفة

القائمة على الملاحظة والتجربة. كان الناس الذين وضعوا أسس العلوم الطبيعية الحديثة من نوع مختلف تمامًا عن الكتبة والعلماء الراهبين في النظام الإقطاعي. كانوا مهتمين بشدة بتطوير الصناعة والتجارة، والتقنيات الجديدة، والسفر، والاكتشاف. أصبحت اكتشافات العلم في أيديهم أدوات لتحسين ظروف حياة الإنسان.

كان ظهور العلوم الجديدة نتيجة لتطور جديد في الصناعة. "بعد الحملات الصليبية، تطورت الصناعة بشكل هائل وسلطت الضوء على كمية من الحقائق الميكانيكية الجديدة (النسيج، صناعة الساعات، الطحن) والكيميائية (الصبغ، علم المعادن، الكحول) والفيزيائية (العدسات)، وهذا لم يعط فقط مواد هائلة للمراقبة، بل وفر أيضًا وسائل أخرى للتجربة أكثر مما كان موجودًا في السابق، وسمح ببناء أدوات جديدة؛ يمكن القول إن العلم التجريبي المنهجي " أصبح ممكناً الآن لأول مرة.

في التطور الحديث للعلوم الطبيعية الذي بدأ على هذا النحو، لم تعد مجردات وفرضيات العلوم مجرد تخمينات وتخمينات، وبدأت في التأكد من أنها حقائق علمية تم التحقق منها. بدأت النظرية العلمية في استبدال الاقتران السابق للسرير البدائي بالتكهنات الفلسفية واللاهوتية. وما جعل ذلك ممكنًا لأولئك الذين يشاركون الآن في العمل العلمي هو المعدات الجديدة التي يمتلكونها للمراقبة الدقيقة والتجربة المضبوطة، وحقيقة أن النظريات العلمية بدأت في الاختبار ليس فقط من خلال الملاحظات والتجارب العلمية، ولكن في ممارسة الإنتاج الاجتماعي. وبالتالي، كانت النجاحات الجديدة للعلوم الطبيعية تعتمد على تطوير التكنولوجيا في الإنتاج الاجتماعي والاستخدام الاجتماعي للعلوم كقوة إنتاج. منذ نقطة البداية هذه، استمر العلم الطبيعي البرجوازي الحديث في تحقيق إنجازات عظيمة.

لقد تحقق ما أسماه إنجلز "التطور المتتالي للفروع المنفصلة للعلوم الطبيعية وتطور العلوم المختلفة واحداً عن الآخر، وتمايزها واحداً

عن الآخر. في هذه العملية، خلقت النجاحات التي تم تحقيقها في مجال واحد إمكانية بدء البحث العلمي عن مجالات جديدة. لقد انبثقت العملية برمتها من تطور القوى المنتجة للمجتمع الرأسمالي، والتي طرحت في وقت واحد مشاكل جديدة للعلم لمعالجتها ووفرت الوسائل التقنية لمعالجتها.

وفي جميع الميادين العلمية المتعاقبة، تحققت إنجازات كبيرة في مجال تحليل الظواهر الطبيعة في أجزائها أو عناصرها، وإثبات خصائص الأجزاء والترابطات وقوانين حركتها، وما إلى ذلك من قوانين الحركة الكلية. وفي نفس الوقت الذي تم فيه إجراء هذا التحليل للطبيعة، تم إجراء عملية تعميم، توضح كيف أن الخصائص والحركات الأكثر تنوعًا للأشياء هي عواقب تشغيل القوانين العامة جدًا والقابلة للتطبيق عالميًا.

ومن الإنجازات الرئيسية للعلوم الطبيعية الحديثة اكتشاف قوانين التغيير والتطور في الطبيعة.

في الفترة الأولية للعلوم الطبيعية الحديثة، كان الرأي السائد أنه على الرغم من التغييرات والتفاعلات المستمرة، فإن الطبيعة في سماتها الرئيسية تظل دائمًا كما هي تمامًا. "الكواكب وأقمارها الصناعية، بمجرد أن يحركها" الدافع الأول "الغامض، كانت تدور بشكل متقطع في إهليلجياتها المقدرة إلى الأبد... بقيت النجوم ثابتة وثابتة في أماكنها.... استمرت الأرض دون تغيير.... كانت القارات الخمس في الوقت الحاضر موجودة دائمًا.... تم إنشاء أنواع النباتات والحيوانات مرة واحدة وإلى الأبد عندما ظهرت إلى الوجود......

لكن الاكتشافات المتتالية لعلوم الفلك والكونيات والفيزياء والكيمياء والجيولوجيا والعلوم البيولوجية - حطمت هذه الصورة الكاملة عن ثبات الطبيعة. ثبت أن الطبيعة تتغير وتتطور في جميع أجزائها.

ولم يظهر هذا الاستنتاج كتكهنات عامة مثل ما تم طرحه، على سبيل المثال، في الفلسفة اليونانية القديمة، ولكن نتيجة للتحقيقات

التفصيلية، وتحليل العمليات المختلفة للطبيعة واكتشاف قوانينها وترابطها.

وأخيرا، انبثقت تدريجيا من اكتشافات العلوم الطبيعية معرفة عامة ومفصلة بالطبيعة في آن واحد، بمعنى أنها تشمل العمليات الرئيسية التي تحدث في الطبيعة وأوجه الترابط بينها؛ والتفصيل، بمعنى أنه يشمل قوانين معينة وأوجه ترابط بين الأشياء. وقد مكنت هذه المعرفة إلى درجة متزايدة العلوم من تقديم سرد للعمليات الطبيعية بناءً على تلك العمليات نفسها واختبارها بالكامل.

كتب إنجلز: "لقد وصلنا إلى هذه النقطة، حيث يمكننا أن نظهر ككل الترابط بين العمليات في الطبيعة ليس فقط في مجالات معينة، ولكن أيضًا في الترابط بين هذه المجالات المعينة نفسها، وبالتالي يمكن أن تقدم في شكل منهجي تقريبا رؤية شاملة للترابط في الطبيعة عن طريق " الحقائق التي يوفرها العلم الطبيعي التجريبي نفسه.

نتيجة لذلك، تحل المعرفة العلمية للطبيعة تدريجياً محل التكهنات الفلسفية حول الطبيعة. ولا يتم التوصل إليها من خلال الاستنباطات الفلسفية أو التخمينات الخيالية.

في السابق، كما لاحظ إنجلز، كان لا يمكن التوصل إلى «رؤية شاملة» للطبيعة «إلا من خلال وضع الروابط الحقيقية، ولكن غير المعروفة المثالية والخيالية، وملء الحقائق المفقودة من خلال نسج العقل وسد الفجوات الفعلية في الخيال فقط». ولكن بمجرد أن تقدم التحقيقات العلمية الحقائق المفقودة، يصبح مثل هذا الإجراء «ليس زائدًا فحسب، بل خطوة إلى الوراء».

ولا تزال هناك بطبيعة الحال ثغرات كثيرة؛ وعلى الرغم من استمرارها، إلا أن الفجوات ستبقى دائمًا. في الواقع، ملء واحدة ومع ذلك، حتى في الجزء الأخير من القرن الماضي، اكتشف العلم ما يكفي لقطيعة مع الرواية الفلسفية اللاهوتية للطبيعة. لقد أصبح من الواضح أنه يجب دائمًا توفير المعرفة المفقودة من خلال المضي قدمًا

في البحث العلمي وليس بأي وسيلة أخرى. الواضح أنه يجب دائمًا توفير المعرفة المفقودة من خلال المضي قدمًا في البحث العلمي وليس بأي وسيلة أخرى.

قيود العلوم البرجوازية

وقد لعبت العلوم، من خلال المساعدة في تطوير الصناعة والتجارة، دوراً لا غنى عنه في تمكين إنشاء وتطوير نمط الإنتاج الرأسمالي. لكن إنشاء نمط الإنتاج الرأسمالي وضع بعد ذلك قيودًا على زيادة تطوير العلوم.

يتمثل الإنجاز الكبير للرأسمالية في تحويل الإنتاج الفردي الصغير إلى إنتاج اجتماعي واسع النطاق، قادر على تسخير القوى الطبيعية والاستفادة من أدوات الإنتاج الميكانيكية الحديثة. نمو الإنتاج الاجتماعي قبل كل شيء في الصناعة، حيث ظلت الزراعة متخلفة نسبيًا – أدى دلك إلى نمو غير مسبوق للعلوم. بعد الاكتشافات الميدانية، تم إنشاء العلوم الجديدة وتطويرها بسرعة، وتخلت

الطبيعة عن أسرارها للإنسان وتم وضع المبادئ لفهم قوانين العمليات الطبيعية وترابطها بشكل صحيح.

لكن الإنتاج الاجتماعي كان موجهاً نحو غايات رأسمالية محددة. كان رأس المال هو الذي مارس وظيفة التحكم والتوجيه في الإنتاج الاجتماعي. والتعاون في مجال العمل، وهو السمة الأساسية للإنتاج الاجتماعي، لم يحققه العمال أنفسهم، بل حققه رأس المال الذي وظفهم واستغلهم. لم يكن فعلهم الخاص، بل فعل رأس المال الذي يجمعهم ويبقيهم معًا.... الدافع التوجيهي وهدف الإنتاج الرأسمالي هو استخراج أكبر قدر ممكن من فائض القيمة، وبالتالي استغلال قوة " العمل إلى أقصى حد ممكن.

اعتبر ماركس العلم جزءًا متميزًا، ولكنه ضروري من عملية الإنتاج في المجتمع الحديث. العمل الاجتماعي، يشمل نوعين من العمل. أولاً، هناك الجانب العلمي، الذي ينطوي على الإتقان العلمي للمواد والعمليات، والإصدار في الاختراعات والاكتشافات التي تحسن أدوات

الإنتاج الحالية وتخلق أدوات جديدة. أطلق عليه هذا اسم «العمل الشامل». وثانيًا، هناك عمل تعاوني بحد ذاته، تعاون العمال في استخدام أدوات الإنتاج.

في الإنتاج الرأسمالي، يتم فصل هذين النوعين من العمل، وكلاهما مضطر لخدمة رأس المال. العمل التعاوني هو مصدر فائض القيمة، والعامل هو ببساطة «يد» للعمل تحت إشراف الرأسمالي، أو مديريه، من أجل ربح الرأسمالي. يتم إحراز التقدم في تقنية الإنتاج وتطبيقها ليس لأنها تخفف من العمالة أو تساعد على تلبية احتياجات الإنسان، ولكن لأنها وحدها تحقق ربحًا متزايدًا. وبالتالي فإن العلم، لا يتطور كمساعد وأداة للعمل الاجتماعي، ولكن كأداة مساعدة على استغلال قوة العمل وتوجه الإنتاج نحو الربح الرأسمالي.

كتب ماركس: «يتم جلب العامل وجهاً لوجه مع الفاعلية الفكرية للعملية المادية للإنتاج، كملكية للآخر، وكسلطة حاكمة». "الصناعة

الحديثة... يجعل العلم قوة منتجة متميزة عن اليد العاملة ويضغط " عليه في خدمة رأس المال.

في البداية يمكن للعلم أن يتقدم بخطوات عملاقة داخل حدود العلاقات الرأسمالية. لرأس المال اللازم لكشف أسرار العمليات الطبيعية التي استخدمتها في سعيها للربح، وإدراكًا للأهمية الحيوية للعلم، كانت أيضًا على استعداد لتشجيع البحث على غرار عدم وجود تطبيق عملي فوري في الأفق. شعر العلماء بأنهم أحرار وغير مقيدين ؛ ويبدو لهم أنهم يجرون أبحاثهم من أجل الإنسانية، أو من أجل المعرفة من أجل مصلحتها، وأن المجتمع مستعد لتكريمهم ومكافأتهم على اكتشافاتهم واستخدام اكتشافاتهم، حيثما تسمح الظروف بذلك، استخداما عمليا. ومع ذلك، فإن حقيقة حرية العلم البرجوازي هذه هو أن العلم يعمل طوال الوقت من أجل رأس المال، الذي يعتمد على اكتشافاته واختراعاته ونظرياته لإحداث تلك التحسينات في الإنتاج التي من شأنها أن تضخم الربح الرأسمالي.

ومع تطور رأس المال إلى مرحلة الاحتكار الحديثة، فإن إخضاع العلم المباشر والمفتوح لاحتكار رأس المال قد تحقق تدريجياً. وقد ساعد على ذلك تقدم العلم نفسه، والذي استلزم زيادة كبيرة في التكاليف وبالتالي جعل العلوم تعتمد بشكل شبه كامل على التمويل من قبل الاحتكارات، مباشرة أو من خلال الدولة. لم يتم الضغط على أبحاث واختراعات واكتشافات العلماء فقط في خدمة رأس المال، ولكن العلماء شخصيًا. لقد فقدوا وضعهم المستقل السابق، وتحولوا إلى موظفين ووكلاء للاحتكارات أو للدولة، التي تخضع هي نفسها للاحتكارات. وعملهم في المقابل منظم. وأثر ذلك هو عدم تنظيم العمل العلمي، الذي لا يمكن أن يسير إلا في الاتجاهات التي ستدفع الاحتكارات ثمنها؛ وإفشالها، أساساً وبشكل متزايد لأغراض عسكرية، مع تنامي شرور السرية و «الأمن»، والشرطة والإشراف العسكري، واختبارات «الولاء» واختبارات العقيدة الأيديولوجية؛ وأخيراً لجعل العلم لا يبدو وكأنه مصدر قوة وأمل للبشرية، ولكن كتهديد.

إن إخضاع العلم لرأس المال، وأخيراً لرأس المال الاحتكاري، ينعكس بنفس القدر في نظرية العلم.

من وجهة نظر الطبقة الرأسمالية، فإن العلم، كما هو ضروري، كان دائمًا يحمل اتجاهًا أيديولوجيًا خطيرًا. هذا بسبب الاتجاه المادي لاستنتاجاته، الدي يبدأ في شرح كل شيء في تجربة البشر من العالم المادي وحده. بدأت البرجوازية في وقت مبكر تدرك أن المادية العلمية يمكن أن تكون تخريبية اجتماعيًا، إذا بدأت في إرساء أسس المجتمع وامتياز الطبقة الحاكمة للنقد العلمي، وإظهار كيف يمكن للناس، مسلحين بالعلم، تحقيق تحررهم. ومن ثم تم نسج النظريات الفلسفية لفترة طويلة حول العلم، في محاولة لتفسير ميولهم المادية الراديكالية، ولدلك تم السعي إلى فرض قيود على إمكانية تطويره وتطبيقه.

وبالتالي فقد تم تحديد أن العلم لا يمكنه التعامل إلا مع بعض جوانب قوى الطبيعة، ولكن ليس مع الكذب والسيطرة على القوى الروحية في العالم؛ وأنها لا تستطيع في الواقع أن تخترق القوى الحقيقية العاملة بطبيعتها، بل يمكنها فقط أن تتعامل مع بعض آثارها ؛ وهذه الآراء المتعلقة بالعلم والتي أصبحت منتشرة على نطاق واسع في العالم الرأسمالي اليوم، بدأت تتطور منذ وقت طويل منذ القرن السابع عشر. كلما أصبحت حياة المجتمع، بما في ذلك العلم، تحت سيطرة الاحتكارات الحديثة، كلما استحوذت اليد الميتة للنظرية الرجعية على العلوم. يعلن العلماء البارزون أن العلم يتوافق مع أي نوع من «الإيمان» تقريبًا باستثناء الإيمان بالإنسانية؛ وأن العالم الحقيقي غير معروف؛ أن هدف التقدم القائم على المعرفة العلمية هو هدف وهمي. يتم استيراد الأفكار المعادية للعلم إلى العلم، حيث يتم وضعها كمعتقدات وفي الوقت نفسه، لا يمكن وقف تقدم الاكتشاف العلمي، ويدرك العلماء أنفسهم تمامًا القيود المفروضة عليهم من الناحية

العملية من قبل المصالح الاحتكارية ومن الناحية النظرية من خلال الأفكار المعادية للعلم. يبدأ الكثيرون في البحث عن المخرج، ويجدونه في الانضمام إلى صراع الطبقة العاملة من أجل نظام اجتماعي جديد يكون للعلم فيه تنمية غير مقيدة من اجل خدمة مصالح جميع أفراد المجتمع.

العلم من أجل الشعب

في حين أن الهدف من الإنتاج الرأسمالي هو الربح الرأسمالي، «الهدف من الإنتاج الاشتراكي ليس الربح، ولكن الإنسان واحتياجاته، أي تلبية متطلباته المادية والثقافية». يتم تحقيق هذا الهدف «من خلال التطوير والتوسيع المستمر الإنتاج الاشتراكي على أساس تقنيات أكثر «تطورا.

ولهذا الغرض، فإن تطوير العلم يخضع للمجتمع الاشتراكي.

في الرأسمالية، توجيه الإنتاج الاجتماعي هو وظيفة رأس المال، وهدفه هو تحقيق أقصى قدر من الربح الرأسمالي. في الاشتراكية، بالمقابل،

يصبح توجيه الإنتاج الاجتماعي وضيفة العمل الاجتماعي نفسه، والهدف منه هو تلبية متطلبات المجتمع المادية والثقافية الى اقصى حد. يجب أن تكون مهمة تطوير نظرية الإنتاج دائمًا في ايدي من يقوم بعملية الإنتاج نفسها. في الرأسمالية، يتم فصل العلم عن العمل والضغط عليه لخدمة رأس المال الذي يستغل العمل. لكن في الاشتراكية، يصبح العلم موحدًا مع العمل. العلم الاشتراكي هو القسم العلمي للعمل الاجتماعي بعبارة أخرى، ذلك القسم الذي يقوم بالبحث والاختراع والعمل النظري الضروري باستمرار لتوسيع الإنتاج الاشتراكي وإتقانه، ولتلبية المتطلبات المادية والثقافية المتزايدة باستمرار للمجتمع الاشتراكي.

بعد إزالته من سيطرة الاحتكارات وتحوله إلى قطاع عام، أصبح التطور الشامل للعلم موضوع تخطيط في ظل الاشتراكية. هذا لا يعني، بالطبع، أن الاكتشافات التي سيتم إجراؤها على مدى فترة ما يتم التخطيط لها مسبقًا، حيث لا يمكن لأحد معرفة ما سيتم

اكتشافه حتى يتم الاكتشاف. وهذا يعني أن من المقرر تخصيص الموارد وتوجيه البحوث في جميع الميادين. وينطوي هذا التخطيط على الجمع بين الاعتبارات القصيرة الأمد والاعتبارات الطويلة الأمد. في الوقت نفسه، يركز العلم على حل المشكلات العملية الفورية، ويقوم بأبحاث أساسية تمليها متطلبات التقدم النظري والتطلع إلى نتائج تتجاوز بكثير الممارسة الحالية.

يعمل الباحثون العلميون في وحدة وثيقة مع العمال المنتجين. يظهر نوع جديد من العلماء، يتم تجنيدهم من صفوف العمال. والعلم، من كونه حكراً على مجموعة اجتماعية واحدة مرتبطة بالمستغلين، يصبح الاهتمام المشترك للجميع.

يمكن أن يؤدي هذا فقط إلى تحرير قوى جديدة هائلة للعمل العلمي والاستفادة من نتائجه، ويؤدي إلى تسارع وتوسع هائل في العلم.

في الوقت نفسه، يتم التخلص من العقائد المقيدة للنظرية البرجوازية. تم تطوير نظرية العلم بما يتماشى مع اكتشافاتها، على أساس

الممارسة الاشتراكية، كدليل لمواصلة الاكتشاف والتطبيق العملي، مع حرية المناقشة والنقد. في مرحلة مبكرة، قبل تطوير العلوم المنفصلة، كان العلم بالكاد يميز عن الفلسفة.

إحدى سمات تاريخ الفلسفة والعلوم هي فصل العلوم عن الفلسفة. عندما تتفرع العلوم من الفلسفة، يتم إنشاء الأفكار العامة حول الطبيعة على أساس البحث العلمي للطبيعة. ومع ذلك، كما رأينا، تستمر الأفكار الفلسفية في اختراق العلوم، مما يؤثر بشكل خاص على الأجزاء الأكثر تجريدًا من النظرية العلمية. لم يكتمل تحرير العلم من الأفكار المسبقة الفلسفية إلا بتطور العلم في ظل الاشتراكية.

لذلك لم تعد الفلسفة موجودة في شكلها القديم كنظرية للعالم المستقل عن العلم وفرض آرائه على العلم، ولكنها تتطور كملخص للمبادئ المتأصلة في الفكر العلمي نفسه كمبادئ المنطق والجدلية وبالتالي كأداة نظرية ودليل في العمل العلمي.

وتعليقًا على علاقات العلم والفلسفة، كتب إنجلز:

يعتقد علماء الطبيعة أنهم يحررون أنفسهم من الفلسفة بتجاهلها أو " إساءة استخدامها. ومع ذلك، لا يمكنهم إحراز أي تقدم دون تفكير، وللتفكير يحتاجون إلى قرارات فكرية. إنهم يأخذون هذه الفئات دون تردد من الوعي المشترك لما يسمى بالأشخاص المتعلمين.... ومن ثم فهم ليسوا أقل استعبادًا للفلسفة، وأولئك الذين يسيئون استخدام الفلسفة هم عبيد لأسوأ الآثار المبتذلة لأسوأ الفلسفات...

يسمح علماء الطبيعة للفلسفة بإطالة أمد الوجود الزائف من خلال التحول مع ثقوب الميتافيزيقيا القديمة. فقط عندما يتبنى العلم الطبيعي والتاريخي الجدلية كل القمامة الفلسفية... تكون زائدة عن " الحاجة، وتختفي في العلم الإيجابي.

علاوة على ذلك، في الاشتراكية وحدها، يمكن إدراك عدم الاهتمام الحقيقي الضروري للتطور الكامل للعلم.

تتطلب عملية البحث العلمي استخلاص الاستنتاجات على أساس التحقيق الدقيق وحدها، دون النظر إلى ما تود هذه المصلحة أو تلك

أن تكون عليه، أو هذه المدرسة الفكرية أو تلك التي تؤمن بها. وتطالب بأن يكون كل استنتاج عرضة للنقد على أساس مزيد من التحقيق. شدد ماركس مرارًا وتكرارًا على هذه السمة الضرورية للعمل العلمي. وهكذا، على سبيل المثال، في المقارنة بين نهج ريكاردو العلمي في الاقتصاد السياسي ونهج مالثوس، كتب عن "عدم مراعاة ريكاردو" و "الصدق العلمي"، عن "حياد ريكاردو العلمي"، والذي "يخرج بشكل متهور ضد البرجوازية كما هو الحال في حالات أخرى.

من ناحية أخرى، ارتكب مالتوس «خطيئة ضد العلم» من خلال تكييف استنتاجاته مع مصالح الطبقة الحاكمة. "يستنتج مالثوس ... فقط تلك الاستنتاجات المقبولة والمفيدة للأرستقراطية ضد البرجوازية وضد البروليتاريا ". لقد سعى إلى "استيعاب العلم لوجهة نظر غير مستمدة من العلم نفسه... ولكن مستعارة من الخارج، من " المصالح الخارجية الغريبة عن العلم.

في المجتمع على أساس حواجز الاستغلال لا يمكن إلا أن تنشأ ضد الاستفسار غير المهتم. بدأت التحقيقات، لكن النقطة تأتي عندما تعمل ضغوط اجتماعية أقوى وأقوى لإجبار العديد من العلماء على تقليص استنتاجاتهم إلى متطلبات أيديولوجية وسياسية مختلفة للطبقة الحاكمة، أو حتى إنهاء التحقيقات قبل الأوان.

فقط عندما يتم إلغاء استغلال الإنسان من قبل الإنسان، ويتم توجيه التحقيق بوعي إلى هدف جعل الحياة أكثر وفرة للجميع، يتم التخلص من جميع الحواجز أمام التحقيق غير المهتم. أي أن المصلحة المشتركة في الحصول على معرفة موثوقة كوسيلة للحياة تتطلب ألا يقف أي شيء في طريق مقاضاة التحقيقات حتى النهاية.

وبطبيعة الحال، فإن العادة القديمة المتمثلة في المطالبة بأن تثبت التحقيقات ما ترغب مجموعة معينة في إثباته، والاعتراض على أي استجواب لبعض الاستنتاجات، هي عادة تموت بسهولة. من ناحية أخرى، يتطلب تطور الاشتراكية أن يكون العلم غير مهتم حقًا،

وتواصل تحقيقاتها دون اعتبار لما أكده أي شخص أو أشخاص معينون أو يرغبون في تصديقهم. كتب ستالين: «من المسلم به عمومًا أنه لا يمكن لأي علم أن يتطور ويزدهر بدون معركة آراء، دون حرية النقد». «العلم يسمى العلم لمجرد أنه لا يتعرف على الأوثان، لمجرد أنه لا يخشى أن يرفع يده ضد العفا عليه الزمن والقديم، ولأنه يضفي أذنًا «منتبهًا على صوت التجربة والممارسة.

بشكل عام، تحرر الاشتراكية العلم من جميع القيود والقيود .المفروضة حتى الآن على تنميته

ومثلما تزيل الملكية الاشتراكية لوسائل الإنتاج الأغلال المفروضة على تطوير الإنتاج من خلال الملكية الخاصة والاستيلاء، وتجعل من الممكن تطوير الإنتاج دون قيود لتلبية احتياجات الناس، فهل تزيل الأغلال المفروضة على تطوير العلوم. لا تختلف أساليب البحث العلمي في ظل الاشتراكية عن الرأسمالية ؛ فهذه الأساليب، التي تتقن تدريجيا خلال المراحل المتتالية من التطور الاقتصادي، ليست نتاج

أي نظام معين. النقطة المهمة هي إزالة العوامل الاقتصادية والسياسية والأيديولوجية التي تعيق تطبيقها

كتب إنجلز عن الاشتراكية، «ستؤرخ حقبة جديدة في التاريخ، حيث ستختبر البشرية نفسها، وجميع فروع نشاطها، وخاصة العلوم الطبيعية، تقدمًا يضهر كل شيء سبقه على انه عادي.»

علم المجتمع

يمكن للعلم البرجوازي أن يخترق بعمق قوانين العمليات الطبيعية لأن البرجوازية بحاجة إلى مثل هذه المعرفة من أجل أرباحها. لا يريد الرأسماليون قصصًا خرافية عن الكهرباء، على سبيل المثال، ولكن معرفة قوانينها الحقيقية (على الرغم من أن أيديولوجيتهم لا تزال تدفعهم إلى تصديق القليل من القصص الخيالية). ولكن فيما يتعلق بقوانين التطوير الاجتماعي

على الرغم من أن الرأسماليين يمكنهم استخدام مجموعات من البيانات السطحية حول المجتمع، إلا أنهم لا يستطيعون التعرف عليها أبدًا. إن القيام بذلك سيؤدي مباشرة إلى سقوطهم ونظامهم بأكمله.

وعلى عكس العلوم الطبيعية، فإن وضع العلوم الاجتماعية على أساس راسخ، واكتشاف القوانين الأساسية لتنمية المجتمع، لا يبدأ إلا ببداية النضال من أجل الاشتراكية، ولا يستمر إلا بالاقتران مع هذا النضال ثم بالبناء الفعلي للمجتمع الاشتراكي. يتطور علم المجتمع باعتباره النظرية العلمية التي توجه صراع الطبقة العاملة من أجل الاشتراكية. وينشأ ويتطور كأساس نظري للمفاهيم الاجتماعية للطبقة العاملة.

وصلت العلوم الاجتماعية البورجوازية إلى أعلى مستوى لها في عمل الباحثين البريطانيين آدم سميث وديفيد ريكاردو، الذين أرسى تحقيقهم في قوانين إنتاج وتوزيع وسائل العيش في المجتمع البشري الأسس لعلم الاقتصاد السياسي، علم الأساس الاقتصادي للمجتمع.

تم إجراء هذه الأبحاث لتلبية احتياجات إدارة الاقتصاد الرأسمالي الناشئ. لكن ظروف تطور الحكم الرأسمالي والاستغلال الرأسمالي أعاقت أي تقدم علمي آخر من قبل المحققين البرجوازيين. لم يتمكنوا من الاستمرار، كما فعل ماركس، في الكشف عن سر الاستغلال الرأسمالي باكتشاف فائض القيمة.

انشغل الاقتصاد البرجوازي، والعلوم الاجتماعية البرجوازية بشكل عام، بتراكم مجموعة واسعة من الحقائق والعلاقات المتبادلة بين الحقائق. كما جمع قدرًا كبيرًا من المعرفة العملية حول كيفية تشغيل النظام الرأسمالي. لكنها تجنبت بسهولة التحقيق في العلاقات الحقيقية للإنتاج التي تستند إليها تلك الحقائق والتي يمكن فهمها وحدها، لتحل محل التفسيرات السطحية أو الكاذبة.

يمكن قول ما قاله ماركس عن الاقتصاد البرجوازي «المبتذل» عن العلوم الاجتماعية البرجوازية بشكل عام. إنه "يتعامل مع المظاهر فقط... يبحث عن تفسيرات معقولة لأكثر الظواهر اقتحامًا

للاستخدام اليومي البرجوازي، ولكن بالنسبة للباقي يقتصر على إضفاء المنهجية بطريقة متحذلقة، وإعلان الحقائق الأبدية، والأفكار المبتذلة التي تحتفظ بها البرجوازية الذاتية فيما يتعلق بعالمها، ومع مثل هذا العلم، "لم يعد السؤال عما إذا كانت هذه النظرية أو تلك صحيحًة، ولكن ما إذا كانت مفيدة لرأس المال أم ضارة، مناسبة أم غير مناسبة، خطيرة سياسيًا أم لا. وبدلاً من الباحثين غير المهتمين، كان هناك مستأجرون يحصلون على جوائز؛ بدلاً من البحث " العلمي الحقيقي.

لذلك في حين أن هناك تحقيقات برجوازية تثبت العديد من الحقائق وبعض القوانين المعزولة والسطحية للعلوم الاجتماعية، لا يوجد، ويمكن أن يكون، علم برجوازي للمجتمع يتبنى القوانين الأساسية، ولكن فقط العلم الماركسي الاشتراكي للمجتمع. كانت اكتشافات ماركس حول القوانين الأساسية للتنمية الاجتماعية ممكنة فقط لأنه اتخذ وجهة نظر ضد المجتمع الرأسمالي، واعترف بالدور الثوري

للطبقة العاملة وضرورة استبدال الرأسمالية بالاشتراكية. معهم، أسس أساس العلوم الاجتماعية باسم غاليليو ونيوتن للعلوم الفيزيائية، أو شوان وداروين للعلوم البيولوجية.

نهاية الأيديولوجية القديمة

نظرًا لأن الحركة الاشتراكية تطور المفاهيم العلمية للمجتمع والعلاقات الاجتماعية وقوانين التطور الاجتماعية، فإنها تعارض الأوهام الأيديولوجية وتبدأ في تدميرها.

تعارض الحركة الاشتراكية الأفكار العلمية إلى التصورات الأيديولوجية المسبقة للطبقات المستغلة. بعبارة أخرى، في النضال من أجل الاشتراكية، يتم وضع الأفكار العلمية ضد الأوهام القديمة.

إن هدف المجتمع دون استغلال، الذي يتمثل قانونه الأساسي للتنمية في تلبية الاحتياجات المادية والثقافية للشعب إلى أقصى حد، يحمل في طياته النضال من أجل إنهاء الأوهام الأيديولوجية بجميع أنواعها

والاستعاضة عنها بالعلم وبعبارة أخرى، تطوير أيديولوجية علمية عالمية.

بدلاً من تطوير وعي زائف، يتطلب النضال من أجل الاشتراكية السعي لتصور الأشياء كما هي وليس في روابط رائعة. بدلاً من التوظيف أفكار وهمية لإخفاء علاقات اجتماعية حقيقية ودوافع اجتماعية حقيقية لخدمة استغلال فئة من قبل فئة أخرى، تتطلب أفكارا حقيقية لخدمة إنهاء كل استغلال وتلبية احتياجات المجتمع بأسره.

في النضال في ظل الرأسمالية، يجب على حزب الطبقة العاملة أن يكافح باستمرار للقضاء على تأثير الأيديولوجية الرأسمالية في صفوفه وبين الشعب، لبناء سياسته الكاملة وعمله الجماهيري ودعايته على النظرية العلمية للماركسية اللينينية و تثقيف الحركة بأكملها في هذه النظرية. على عكس آراء الطبقات المستغلة، فإن نظرة المجتمع إلى الطبقة العاملة، التي تخدم صراع الطبقة العاملة، لا تنشأ ولا يمكن

أن تنشأ وتتطور تلقائيًا كأيديولوجية طبقية، ولكنها تنشأ وتتطور كعلم.

وعندما تتغلب الطبقة العاملة على السلطة وتقود بناء المجتمع الاشتراكي، فإن مهمة القضاء أخيرًا على كل مخلفات الأيديولوجية القديمة من جميع أقسام الحياة الاجتماعية. من المفهوم الأيديولوجي الخاطئ، يجب أن يتقدم المجتمع ككل إلى النظرة العلمية. هذا التقدم ممكن وضروري لأن أيديولوجيات المجتمع القديم القائمة على الاستغلال، بوعيها الزائف وغموضها، تفقد أساسها عندما تظهر الاشتراكية.

في الاشتراكية، الملكية في وسائل الإنتاج هي ملكية عامة أو تعاونية، ويتم تنظيم الإنتاج عن وعي والتخطيط. لأي نوع من الأفكار إذن، هل يوفر الاقتصاد الاشتراكي الأساس؟ على وجه التحديد للأفكار العلمية، تتطور من خلال توسيع الفهم العلمي للإنسان وظروف

حياته. وهذه الأفكار وحدها يمكن أن تخدم توطيد وتطوير الأساس الاقتصادي الاشتراكي.

لهذه الغاية لا يمكن خدمتها بأفكار تحير الناس وتخدعهم. يتطلب نجاحها معرفة قوانين الطبيعة والمجتمع، والوعي الاجتماعي المستنير بهذه المعرفة.

لذلك، في الوقت الذي تستمر فيه أنماط الوعي الأخرى في المجتمع الاشتراكي، فهي مجرد مخلفات من الظروف القديمة، تضر بتعزيز وتطوير النظام الاشتراكي. لذلك يجب مكافحتها بنشاط، وفي النهاية يجب أن تفسح المجال وتختفي قبل الجديد الوعي الاشتراكي العلمي. الأوهام التي تدوم أطول هي تلك الخاصة بكونها الأقدم أيضًا. وطالما ظلت أعداد الناس فقيرة نسبيا وجاهلة، يبقى هناك أساس للأوهام. علاوة على ذلك، يمكن إعطاء شكل ديني أيضًا للمسعى الاشتراكي؛ وفي هذا الصدد، يمكن للدين، في ظل ظروف معينة، أن يلعب دورا إيجابيا

إضافيا في بناء الاشتراكية، كما نرى في حالة الكنائس التي تم إصلاحها

.في البلدان الاشتراكية

كتب ماركس: "يمكن أن يتلاشى رد الفعل الديني للعالم الحقيقي، على

أي حال، أخيرًا فقط، عندما لا تقدم العلاقات العملية للحياة اليومية

للإنسان شيئًا سوى العلاقات الواضحة والمعقولة تمامًا فيما يتعلق

برفقائه من الرجال والطبيعة.

إن عملية حياة المجتمع، التي تقوم على عملية الإنتاج المادي، لا »

تتخلص من حجابها الصوفي حتى يتم التعامل معها على أنها إنتاج من

قبل اناس مرتبطين بحرية، ويتم تنظيمها بوعي من قبلهم وفقًا لخطة

« مستقرة.

عندما يقوم الناس المرتبطون بحرية بالفعل بعملية الحياة في المجتمع

وفقًا لخطة مستقرة، وعندما لا يشارك الناس نتيجة لذلك إلا في

علاقات واضحة ومعقولة تمامًا مع إخوانهم البشر والطبيعة، ثم،

بطبيعة الحال، لا يوجد أساس متبقي لأي أوهام حول ظروف الحياة

البشرية، لأي غموض، والوعي البشري يلقي أخيرًا مثل هذا الغموض والأوهام.

الأسس العلمية للوعي الاشتراكي

الوعي الاشتراكي الجديد، الذي يتحقق كطريقة عالمية للوعي في المجتمع الاشتراكي، هو وعي الشعب الاشتراكي الجديد من العمال الذين لم يعرفوا الاستغلال من قبل والذين هم سادة بلدهم، والذين يعيشون بالتعاون وبدون الفردية الأنانية لمالك الملكية الخاصة. إن الوجود الواعي لهؤلاء الناس لا يتطلب أي أوهام أيديولوجية. على العكس من ذلك، فإنه يتطلب وعيًا واضحًا غير مغطى، ومثريًا ومتطورًا باستمرار نتيجة للتحقيق الحر والمناقشة والنقد. هذا يفترض مسبقا معرفة المجتمع وقوانينه، وكيفية استخدام تلك القوانين لصالح المجتمع؛ ومعرفة الطبيعة وكيفية جعلها تخدم الإنسان وتشكل على حد سواء أجزاء من كل المعارف العلمية المتطورة.

في المجتمع الاشتراكي، ترتبط العلوم الطبيعية والاجتماعية ارتباطا وتيقا. "فقط إذا بدأ العلم من الطبيعة فهو علم حقيقي. كتب ماركس. ... "التاريخ نفسه جزء حقيقي من التاريخ الطبيعي، من تطور الطبيعة إلى الإنسان. وسيشمل العلم الطبيعي لاحقًا العلم الإنساني بنفس الطريقة التي سيشمل بها علم الإنسان العلوم الطبيعية.

" سيكون هناك علم واحد فقط.

في هذا «العلم الواحد»، لاحظ ماركس، «الإنسان» أو المجتمع، يصبح «موضوع الوعي المادي»؛ أي أن مفهوم الإنسان والمجتمع يفقد طابعه الأيديولوجي الوهمي السابق، ويستند علميا إلى مفهوم الطبيعة.

وبالمثل، تصبح «الاحتياجات الأعلى لـ » الإنسان كإنسان «احتياجات حقيقية»؛ وهذا يعني أنه بدلاً من الأفكار الوهمية المتعلقة بـ «الاحتياجات العليا للإنسان»، والتي تعبر في الواقع عن أيديولوجية استغلال الطبقات التي تخنق تلبية الاحتياجات الحقيقية للجماهير، فإن مفهوم احتياجات الإنسان يستند إلى احتياجاته الحقيقية. وهذه

الاحتياجات الحقيقية التي تتطور على أساس الحياة المادية للمجتمع تشمل أكثر بكثير من الاحتياجات المادية الأولية، لأن من هذا الأساس تنشأ احتياجات الثقافة والمعرفة والصداقة.

السمة الأساسية لـ «الإنسان كإنسان» للإنسان على أنه مختلف عن الحيوان، هي خلق احتياجاته الخاصة وإشباعها من خلال التحكم في الطبيعة. وفي المجتمع القائم على الاستغلال، ينتج عدد كبير من الناس لصالح الآخرين وليس لصالح أنفسهم ؛ ولا يلبى إلا الحد الأدنى من احتياجاتهم المادية أو الحيوانية ؛ ومن ثم يُحرمون من وجود إنساني مناسب، وكتعويض، فإن «احتياجاتهم العليا» تُمثَّل على أنها تنتمي إلى حياة روحية بعيداً عن الحياة المادية. في المجتمع الاشتراكي، عندما يتم إلغاء استغلال الإنسان للإنسان، يمكن فهم متطلبات الناس بأكملها، المادية والروحية، على أنها ناشئة عن إتقانهم التعاوني للطبيعة، وعلى أساس الإنتاج الاجتماعي.

نتيجة لتطور الاشتراكية، يلعب العلم الدور الحاسم في تشكيل النظرة الكاملة للناس. سيكون الناس بعد ذلك قد جعلوا أنفسهم أحرارًا في بناء المعرفة والسيطرة على جميع جوانب حياتهم، من أجل الرفاهية والسعادة وتحقيق اكتمال الحياة.

الجزء الثالث

الحقيقة والحرية

الفصل العاشر

الحقيقة

الحقيقة هي التوافق بين الأفكار والواقع الموضوعي. عادة ما تكون هذه الاشارات جزئية وتقريبية فقط. والحقيقة التي يمكن أن ننشئها تعتمد دائما على وسائلنا لاكتشاف الحقيقة والتعبير عنها، ولكن في نفس الوقت تعتمد حقيقة الأفكار، وإن كانت نسبية بهذا المعنى، على

الحقائق الموضوعية التي تتوافق معها الأفكار. لا يمكننا أبدًا تحقيق الحقيقة الكاملة والمطلقة، لكننا نتقدم دائمًا نحوها.

الحقيقة المطلقة والجزئية

لقد رأينا أنه في تطوير أفكارنا تظهر جميع أنواع الأوهام، ولكن أيضًا الحقيقة. ما هي الحقيقة إذن ؟ إنه التوافق بين الأفكار والواقع الموضوعي. إن هذا التطابق بين أفكارنا وواقعنا لم يتحقق إلا تدريجيا، ومن ثم فإن الاشارات غالبا ما لا تكون أكثر من جزئية وغير كاملة. قد لا تتطابق الفكرة من جميع النواحي مع موضوعها ولكن قد تتطابق جزئيًا فقط؛ وقد يكون هناك الكثير في الموضوع الذي لم يتم استنساخه في الفكرة على الإطلاق، بحيث تكون الفكرة واشاراتها مع الموضوع غير مكتملة. في مثل هذه الحالات، لا ينبغي أن نقول إن فكرتنا كانت خاطئة، لكنها لن تكون صحيحة تمامًا ومن جميع النواحي. وبالتالي، فإن الحقيقة ليست ملكية تمتلكها أو لا تملكها.

وبطبيعة الحال، لا يمكن أن يكون هناك شك في أن بعض المقترحات صحيحة تماما بالفعل: فهي راسخة بما فيه الكفاية لكي نتمكن بثقة من تأكيد ذلك.

وهذا ينطبق، على سبيل المثال، على العديد من البيانات المتعلقة بوقائع معينة. كانت هذه الحقائق هي الحال، وبالتالي فإن الافتراضات التي تنص عليها صحيحة وصحيحة تمامًا وستظل دائمًا صحيحة دون تعديل. في الواقع قام وليام الفاتح بغزو إنجلترا في عام 1066: لذلك فإن الاقتراح الذي يؤكد أن الحقيقة حقيقة مطلقة.

وبعض البيانات العامة، أيضًا، صحيحة تمامًا.

لا يستطيع الناس العيش دون أكل، والحب الأفلاطوني وحده لن ينجب الأطفال.

تتوافق هذه البيانات العامة مع الحقائق، واشاراتها مطلقة. وهناك الكثير من هذه التصريحات العامة التي لا داعي للتشكيك في عنوانها للحقيقة المطلقة.

لكن معظم التصريحات التي ندلي بها لا يمكن أن تكون بهذه الطريقة صحيحة تمامًا. لأننا لا نقصر أقوالنا بشكل عام على «البديهيات» وتأكيد الحقائق الراسخة. ومعظم البيانات التي ندلي بها، سواء كانت بيانات عن حقائق معينة أو عن استنتاجات عامة، قد تكون صحيحة بما فيه الكفاية لأغراض معينة ولكنها ليست صحيحة تماما، بمعنى التطابق المطلق بين البيان والواقع. بل على العكس من ذلك، يتطلب الأمر تصحيحها وتحسينها وإعادة بيانها في ضوء الخبرة الجديدة والمعرفة الجديدة. لكنها ليست غير صحيحة لهذا السبب: فهي حقائق .جزئية ونسبية وتقريبية

هذه الخاصية للحقيقة التي هي في الغالب جزئية وليست مطلقة وتقريبية وليست دقيقة ومؤقتة وليست نهائية معروفة جيدًا للعلم. والقوانين التي يضعها العلم تعكس بالتأكيد العمليات الموضوعية ؛ فهي تتوافق مع الحركة الحقيقية والترابط بين الأشياء في العالم

الخارجي. ومع ذلك، فقد وضع العلم عددًا قليلاً من القوانين التي يمكن أن تدعي أنها حقائق مطلقة.

على سبيل المثال، قوانين الميكانيكا الكلاسيكية، التي تصوغ مبادئ التفاعلات الميكانيكية للأجسام وتستخدم باستمرار وثقة في جميع أنواع المشاريع الهندسية، من المعروف الآن أنها لا تتوافق مع حركة المادة على نطاق دون ذري. بعبارة أخرى، إنها ليست حقائق مطلقة. لكننا لا نعتقد لهذا السبب أن الميكانيكا الكلاسيكية تظهر الآن أنها خاطئة. تقدم ميكانيكا الكم تقريبًا أفضل من الميكانيكا الكلاسيكية، لأن قوانينها لا تتوافق مع حركة المادة على نطاق دون ذري فحسب، بل تشمل أيضًا قوانين الميكانيكا الكلاسيكية باعتبارها حالات مقيدة ؛ ولكن مع ذلك، لن يدعي أي عالم أن ميكانيكا الكم كانت حقيقة مطلقة.

بشكل عام، لا يهتم العلم بالحقيقة المطلقة. في الواقع، إذا تم التأكيد على أي اقتراح على أنه حقيقة مطلقة، فهناك نهاية لجميع

الاستفسارات الإضافية: إذا كانت الحقيقة المطلقة في ثم لا مجال لمزيد من التحقيق.

وبالتالي فإن الادعاء بإثبات الحقيقة المطلقة يتعارض في الواقع مع العلم، لأن مثل هذا الادعاء يجب أن يمنعنا من إجراء مزيد من التحقيقات، ومن النهوض بمعرفتنا، ومن الانتقال الى الحقيقة، بعبارة أخرى، من متابعة العلم.

كتب إنجلز: "تتجنب الأعمال العلمية حقًا كقاعدة عامة التعبيرات العقائدية والأخلاقية مثل الخطأ والحقيقة، بينما تلتقي بنا هذه التعبيرات في كل مكان في الأعمال... حيث تحاول العبارة الفارغة الترويج أن تفرض علينا كنتيجة سيادية للفكر.

الحقيقة والخطأ

وإذا أدركنا أن حقيقة كل بيان، خارج مجال محدود جدا من البيانات التي لا شك فيها، هي حقيقة جزئية وتقريبية ومؤقتة فقط، فيترتب

على ذلك أنه يجب علينا دائما أن نكون مستعدين لتصحيح بياناتنا وتعديلها في ضوء التجربة الجديدة.

لكن أكثر من ذلك. عندما تظهر تجارب جديدة، تدعو إلى تصحيح وتعديل أقوال معينة، فإن الاستمرار في تأكيدها بشكلها القديم غير المعدل يعني أنها تتحول من الحق إلى زيف في الظروف الجديدة.

على سبيل المثال، لا تزال قوانين الميكانيكا الكلاسيكية صحيحة كما كانت دائمًا لمعظم الأغراض الهندسية، ولا أحد يقترح الاستغناء عنها ورفضها باعتبارها خاطئة.

ومع ذلك، نظرًا لأن التجربة أظهرت أنها لا تصمد دون تعديل لجميع حركات المادة المعروفة، فإن التأكيد على أن قوانين نيوتن تنطبق دون قيد أو شرط على جميع المسائل قيد التنفيذ سيكون بمثابة تأكيد كذب. وبالتالي، فإن الحقيقة التقريبية والجزئية، وهي صحيحة بما فيه الكفاية ضمن حدود معينة، يمكن أن تصبح كذبة إذا تم تطبيقها

خارج تلك الحدود. مرة أخرى، ذكر ماركس وإنجلز أنه عندما يتم

.تأسيس المجتمع الاشتراكي، فإن الدولة ستذوب في النهاية

كان ولا يزال هدا صحيحًا، ولكن ليس بدون مؤهل. لم يستطع ماركس وإنجلز تحديد المؤهل، لأنهما كانا يفتقران إلى الخبرة اللازمة. لكن تجربة بناء الاشتراكية في بلد واحد، في الاتحاد السوفيتي، أظهرت أنه طالما استمرت الدول الاشتراكية والرأسمالية في التعايش، يجب أن تظل الدولة في البلدان الاشتراكية؛ فقط عندما يتم تأسيس الاشتراكية على نطاق عالمي يمكن للدولة أن تبدأ في الذبول. يترتب على ذلك أن التأكيد الآن، دون قيد أو شرط، على أنه عندما يتم تأسيس الاشتراكية، فإن الدولة ستذوب هو تأكيد شيء خاطئ. في الواقع، سيكون التأكيد على شيء ليس مجرد خطأ ولكن بالتأكيد ضار فيما يتعلق بالبلدان الاشتراكية الحالية: لمثل هذا التأكيد من شأنه أن يؤدي إلى عدم الاهتمام بتعزيز الدولة الاشتراكية، وبالتالي إلى احتمال

إضعاف الدولة الاشتراكية والرأسماليين الذين يستغلون هذا

.الضعف للتدخل والإطاحة بالنظام الاشتراكي

يوضح هذا، كما أشار إنجلز، أن "الحقيقة والخطأ، مثل جميع المفاهيم التي يتم التعبير عنها في الأضداد القطبية، لهما صلاحية مطلقة فقط في مجال محدود للغاية.... بمجرد أن نطبق النقيض بين الحقيقة والخطأ خارج هذا المجال الضيق... كلا قطبي النقيض ." يتغيران إلى نقيضهما، والحقيقة تصبح الخطأ وحقيقة الخطأ

أو كما لاحظ ستالين: تظهر لنا الجدلية أنه لا يوجد شيء في العالم أبدي، كل شيء في العالم عابر وقابل للتغيير؛ تغيرات الطبيعة، تغيرات المجتمع، والعادات تتغير مفاهيم تغيير العدالة، الحقيقة نفسها تتغير وهذا هو السبب في أن الجدليات تنظر إلى كل شيء بشكل نقدي؛ وهذا هو السبب في أنها تنكر وجود حقيقة ثابتة إلى الأبد.

مثلما تكون الحقائق في الغالب تقريبية فقط وتحتوي على إمكانية تحويلها إلى أكاذيب، فإن العديد من الأخطاء لا تعتبر أكاذيب مطلقة، بل تحتوي على جزء من الحقيقة.

كل ما يقوله الناس يقال من حيث الخبرات والأفكار المتاحة لهم.

ويترتب على ذلك أنه في حين أنها قد تدفع إلى الإدلاء ببيانات خاطئة تماما، فإنه يمكن أن يحدث أن تعكس البيانات الخاطئة، وإن كانت خاطئة، ما هو الحال في الواقع.

على سبيل المثال، قال المتشددون في الثورة الإنجليزية كانوا جند الله.

لكن حتى هذا احتوى على جرثومة من الحقيقة وهي أنهم كانوا في الواقع القوة الاجتماعية التقدمية المتزايدة التي كان من المحتم أن تطيح بالقوى المتحللة للمجتمع القديم. كانت أفكارهم عن كونهم «جند الله» خاطئة بالتأكيد؛ ولكن هذه كانت طريقتهم في التعبير عن شيء كان بلا شك هو الحال.

وبالمثل، فإن العديد من الآراء الخاطئة في العلم والفلسفة، والتي كان لا بد من تعديلها، ولكن رفضها باعتبارها أخطاء، أخفت حقيقة معينة تلقت فيها تعبيرًا خاطئًا ومشوهًا.

بشكل عام، الأخطاء التي هي ببساطة أخطاء واضحة وصريحة ولا شيء آخر - الأخطاء التي لا تحتوي على عنصر الحقيقة على الإطلاق أقل أهمية ويمكن التخلص منها بسهولة أكثر من الأخطاء التي لها أساس معين في الواقع. يمكن دحض الأولى بالإشارة إلى الحقائق التي تتعارض معها، أو يمكن الكشف عنها على أنها مجرد هراء. هذه الأخيرة مناسبة لأن تكون أكثر نفوذاً، وبالتالي أكثر خطورة. ولدحض مثل هذه الأخطاء، من الضروري ليس فقط رفضها واكتساحها جانبًا، ولكن إظهار كيف يتم تشويه الحقيقة فيها وإعادة ذكر تلك الحقيقة خالية من التشويه.

يوضح هذا ما قصده لينين عندما كتب عن الفلسفة المثالية:

ان هده الفلسفة ليست سوى هراء من وجهة نظر المادية الفجة والبسيطة والميتافيزيقية. من ناحية أخرى، من وجهة نظر المادية الجدلية، فإن المثالية الفلسفية هي من جانب واحد، تطوير مبالغ فيه..... لإحدى السمات وجوانب المعرفة إلى المطلق، منفصل عن المادة، عن الطبيعة، ان المثالية هي فكر المؤسسة الدينية. صحيح. لكن الفلسفة المثالية هي... طريق إلى رجال الدين من خلال أحد ظلال المعرفة المعقدة بلا حدود... للإنسان.... وهو ليس بلا أساس ؛ إنها زهرة معقمة بلا شك، لكنها زهرة معقمة تنمو على الشجرة الحية... شجرة " المعرفة البشرية.

يجب أن ندرك، إذن، أن بعض الآراء الخاطئة، بما في ذلك الآراء المثالية، يمكن أن تمثل، في وقتها، مساهمة في الحقيقة لأنها، ربما، الطريقة الوحيدة التي يمكن أن تبدأ بها حقائق معينة في التعبير عن نفسها أولاً. لكن هذا لا يعني أننا بحاجة إلى أدنى استخدام لـ

مثل هذه الآراء الخاطئة، بمجرد الكشف عن خطأها. فقد ساهم المثاليون في الفلسفة، على سبيل المثال ؛ ولكن هذا لا يعني أنه ينبغي أن يكون لدينا أدنى استخدام للفلسفة المثالية اليوم، في ظروفنا الحالية، عندما يمكن التعبير عن الحقيقة التي تم التعبير عنها بشكل أفضل بكثير بدونها، وعندما يمكن الكشف بشكل كامل عن التشويه والزيف الأساسيين الواردين في المثالية.

نسبية الحقيقة

لقد رأينا إذن أن معظم الحقيقة تقريبية وجزئية وغير كاملة، وأن هذا الخطأ موجود في الحقيقة، والحقيقة عن طريق الخطأ. ومن ثم، فإننا نمتلك عمومًا قدرًا من الحقيقة في أي موضوع، ولكن ليس الحقيقة المطلقة. يعتمد مقياس الحقيقة حول أي شيء يمكننا تحقيقه في أي وقت معين، وكيف وبأي مصطلحات وكيف نعبر عنه بشكل مناسب، على الوسائل المتاحة في ذلك الوقت لاكتشاف الحقيقة والتعبير عنها.

الحقيقة دائمًا ما تكون مرتبطة بالوسائل المحددة التي توصلنا إليها. لا يسعنا إلا أن نعبر عن حقيقة الأشياء من حيث تجربتنا الخاصة بها والعمليات التي تعرفنا بها عليها.

لكن في الوقت نفسه، تتعلق هذه الحقيقة بالعالم الموضوعي والمادي وتشكل انعكاسًا أكثر ملاءمة للخصائص الحقيقية وقوانين الحركة للأشياء والعمليات الموضوعية.

لذلك، في حين أن شكل التعبير عن الحقيقة وحدود تقريبها إلى الواقع الموضوعي يتوقفان علينا، فإن محتواها، وما يدور حوله، والواقع الموضوعي الذي يقابله، لا يعتمد علينا.

وبهذا المعنى، هناك عنصر من النسبية والمطلق، من الذاتية والموضوعية، في كل حقيقة. الحقيقة نسبية بقدر ما يعبر عنها بعبارات تتوقف على الظروف الخاصة والتجربة ووسائل التوصل إلى حقيقة الأشخاص الذين يقومون بصياغتها. إنه مطلق بقدر ما يكون

ما يتم التعبير عنه أو إعادة إنتاجه بهذه المصطلحات حقيقة موضوعية، موجودة بشكل مستقل عن معرفة البشر بها.

إذا تم التشديد على جانب النسبية فقط، فهناك مثالية ذاتية ونسبية، ترتبط الحقيقة حصريًا بملاحظاتنا وعملياتنا، وليس بالعالم الموضوعي، الذي يقال إن طبيعته غير معروفة وغير قابل للتعبير. على سبيل المثال، أشار السير آرثر إدينغتون إلى أن معرفتنا بالذرة كانت مشتقة بشكل أساسي من ملاحظات قراءات المؤشرات والومضات على الشاشات لأن هذه كانت المؤشرات التي قدمها الجهاز المستخدم لاستكشاف العالم الذري خلصت إلى أننا في الواقع لا نعرف شيئًا عن الذرات الموجودة في العالم الموضوعي، ولكن فقط عن «قراءات المؤشر «والمؤشرات المماثلة.

من ناحية أخرى، إذا تم التشديد على الجانب الآخر فقط، وهو جانب المطلق أو الموضوعية، فإن النتيجة هي الدوغماتية. وهكذا، ذكر علماء الفيزياء السابقون، على سبيل المثال، واثقين من أن نظرياتهم

الفيزيائية تعكس الواقع المادي الموضوعي، أن العالم لا يتكون من سوى القليل من الجسيمات الصلبة مثل كرات البلياردو المجهرية، وأنه لا يوجد نوع آخر من الواقع المادي.

ومن الواضح أن من الضروري أن نأخذ في الحسبان أن الحقيقة هي انعكاس للواقع الموضوعي، وأن هذا التفكير مشروط ومحدود في الوقت نفسه بالظروف الخاصة التي أنشئ في ظلها.

كتب لينين: "بالنسبة للمادية الجدلية، لا توجد حدود غير سالكة بين الحقيقة النسبية والحقيقة المطلقة.... من المؤكد أن الجدلية المادية لماركس وإنجلز تحتوي على النسبية، ولكنها ليست قابلة للاختزال للنسبية، أي أنها تعترف بنسبية كل معرفتنا، ليس بمعنى إنكار الحقيقة الموضوعية، ولكن بمعنى الطبيعة المشروطة تاريخيًا لحدود تقريب معرفتنا بهذه الحقيقة. "

طرح السؤال «هل الحقيقة الموضوعية موجودة ؟» وأشار لينين إلى أنه يجب التمييز بين سؤالين وعدم الخلط بينهما:

هل هناك شيء اسمه الحقيقة الموضوعية، أي هل يمكن للأفكار البشرية أن يكون لها محتوى لا يعتمد على موضوع ما، ولا يعتمد على إنسان أو على إنسانية؟

إذا كان الأمر كذلك، فهل يمكن للأفكار البشرية، التي تعبر عن الحقيقة الموضوعية، أن تعبر عنها جميعًا في وقت واحد، ككل، دون قيد أو شرط، بشكل مطلق، أو تقريبًا، قريب الجواب على هذه الأسئلة واضح.

يمكن أن يكون للأفكار البشرية محتوى لا يعتمد على أشخاص معينين أو على الإنسانية بشكل عام، لأن هذه الأفكار تعيد إنتاج الواقع الموضوعي الموجود بشكل مستقل عن فكرة أي شخص عنها. هذه الأفكار لا تعيد إنتاج الواقع الموضوعي بالكامل وبموضوعية كاملة، ولكن فقط تقريبًا ونسبيًا بالطريقة التي تمكن بها الناس من اكتشاف الحقيقة والتعبير عنها.

نظرًا لأن الحقيقة تتكون من اشارات الأفكار مع الواقع الموضوعي، فمن الواضح أننا يجب أن نحسب حسابًا دائمًا لكلا جانبي العلاقة أي الموضوع وكذلك الهدف. من ناحية، الواقع الموضوعي، الذي لا يعتمد بأي حال من الأحوال على الأفكار التي قد نشكلها حول هذا الموضوع.

من ناحية أخرى، تتشكل الأفكار في عملية النشاط البشري وبالتالي فهي مشروطة بطبيعة النشاط الذي تنتج منه. كيف، في أي شكل، مع أي تقريب، لا يعتمد على أي عامل ذاتي، ولكنه يشكل «مقياسًا أو نموذجًا موجودًا بشكل موضوعي موجود بشكل مستقل عن الإنسانية والذي تقترب منه معرفتنا النسبية».

الحقيقة النسبية والمطلقة: السببية والمكان والزمان كمثال على كيفية التعبير عن الحقيقة المطلقة من خلال الحقيقة النسبية، يمكننا النظر في مفاهيم السببية والمكان والزمان.

يتم إنتاج أفكارنا حول السببية في الطبيعة نتيجة لتجاربنا في التعامل مع الأشياء الطبيعية. نتعلم من التجربة أنه يمكننا نحن أنفسنا

إحداث تغييرات في الطبيعة بطريقة منظمة، وعلى هذا الأساس نصوغ أفكارًا عن الروابط السببية والقانون السببي. وبالتالي فإن الطريقة التي نتعرف بها على السببية، وأفكار الروابط السببية التي نعبر عنها من وقت لآخر، مشروطة بشكل شخصي. مع تطور الإنتاج والعلاقات تم تعديله وتغييره الاجتماعية والأنشطة الاجتماعية، مفهوم السببية - فالحركة، والأسباب النهائية، والتفاعل الميكانيكي والتفاعل الجدلي .هي مراحل عديدة في تطوير فكرة السببية

ولكن بينما أفكارنا عن السببية تنبع من تجربتنا وتعتمد على طبيعة تلك التجربة، فإن وجود السببية في الطبيعة هو حقيقة موضوعية، مستقلة تماما عن أنفسنا وعن تجربتنا. لأننا، كمشاركين، نختبر قوتنا لإحداث تغييرات في الأشياء الخارجية، وبالمثل، نختبر القوة الدافعة لتلك الأشياء على أنفسنا، أن نصل أولا إلى فكرة السببية، وتلك الفكرة مفصلة ومتطورة فيما يتعلق بتطور الحياة الاجتماعية. لكن الواقع الذي يتوافق مع هذه الفكرة، والذي يتم إستنساخه مع

درجة أو درجة أقل من الملائمة في أفكارنا عن العلاقة السببية، هو واقع موضوعي، مستقل عن أنفسنا، بغض النظر عن أي علاقة بين الموضوع والهدف.

تؤكد المثالية على الجانب الشخصي فقط من فكرة السببية. لقد أكد الفلاسفة المثاليون أن السببية تم اختراعها ببساطة لجلب نظام عقلاني إلى تجربتنا وأنها تنسب بعد ذلك على نحو خاطئ إلى العالم الخارجي بشكل مستقل عن التجربة. ولكن في معارضة المثالية، "الاعتراف بالقانون الموضوعي في طبيعته والاعتراف بأن هذا القانون ينعكس مع الإخلاص التقريبي في عقل الإنسان هو المادية".

إنه نفس الشيء بالنسبة لمفاهيمنا عن الزمان والمكان.

بدءا من تصوراتنا عن مرور الوقت والخصائص المكانية للأجسام وعلاقاتها، ومع اكتشاف طرق التعبير عن الخصائص المكانية والزمانية وعلاقات الأشياء عن طريق القياسات، تم تطوير وتفصيل مفاهيمنا العامة عن الزمان والمكان تدريجيا. يرتبط مفهوم المكان

والزمان دائما بالتجربة البشرية، ولكن المكان والزمان لا يعتمدان على التجربة البشرية. بل على العكس من ذلك، فإن "الأشكال الأساسية لجميع الكائنات هي المكان والزمان"، والمفاهيم البشرية للمكان والزمان هي دائما انعكاس تقريبي للأشكال الحقيقية المكانية والزمانية للعالم الموضوعي.

وإذ تسلم بوجود واقع موضوعي، أي مسألة"

وفي الحركة، بصرف النظر عن عقولنا، يجب على المادية أيضا ان تدرك حتما الواقع الموضوعي للفضاء والزمان." "...إن قابلية المفاهيم البشرية عن المكان والزمان لا تدحض الواقع الموضوعي للفضاء والزمان أكثر من قابلية المعرفة العلمية عن بنية وأشكال المادة المتحركة لدحض الواقع الموضوعي للعالم الخارجي... إنه شيء واحد، كيف، بمساعدة أجهزة إحساس مختلفة، أن الإنسان يدرك الفضاء، وكيف، في سياق تطور تاريخي طويل، الأفكار المجردة للفضاء مستمدة من هذه التصورات؛ إنه أمر مختلف تماما إذا كان هناك حقيقة

موضوعية مستقلة عن الجنس البشري التي تتوافق مع هذه التصورات والمفاهيم البشرية... حيث تتكيف تجاربنا و تصوراتنا فهم أكثر فأكثر يتجهون نحو الفضاء والوقت الموضوعيين، ".ويعكسونها بشكل صحيح وعميق أكثر من أي وقت مضى

تقدم الحقيقة

إلى أي حد يستطيع العقل البشري بلوغ الحق وتثبيته؟ فالحقيقة الكاملة المطلقة الحقيقة الكاملة ولا شيء سوى الحقيقة عن كل شيء هي شيء لا يمكننا ابدا بلوغه. ولكن هذا أمر نحن دائما نقرب من إزائه.

إننا نتقدم نحو حقيقة كاملة وشاملة، تشمل ليس فقط حقائق معينة، بل أيضا قوانين عامة وعلاقات متبادلة، من خلال سلسلة من الحقائق المحددة والمؤقتة والقريبة. والحقيقة التي يمكن أن يصوغها أي فرد، أو يمكن أن يصوغها الجنس البشري في أي وقت معين، هي دائما حقيقة تقريبية وغير كاملة وخاضعة للتصحيح. ولكن الأفراد

يتعلمون من بعضهم البعض، سواء من إنجازات بعضهم البعض أو

من أخطاء بعضهم البعض، وينطبق الشيء نفسه على الأجيال المقبلة

من المجتمع. لذلك فإن مجموع الحقائق غير المكتملة، المحددة،

والمؤقتة، والقريبة دائما الاقتراب من هدف الحقيقة الكاملة والنهائية

والمطلقة، ولكن دون الوصول إلى ذلك الهدف أبدا.

نحن نختبر هذه الحقيقة من واقع التجربة، من الناحية العملية.

المراسلات ليست كاملة أبدا، دقيقة، مطلقة. ولكنه يقترب باستمرار...

ويكاد يكون دائما بعيدا تماما عن ذلك الحد المطلق حيث إن الحقيقة

والمعرفة تتقدم باستمرار بينما الرجال يكملون أدوات إنتاجهم

ووسيلتهم للحصول على المعرفة.

وهكذا كتب إنجلز:

إن التصور بأن جميع ظواهر الطبيعة مترابطة بشكل منهجي يدفع "

العلم إلى إثبات هذا الترابط المنهجي في كل مكان، بشكل عام

وبالتفصيل على السواء. ولكن تقديم بيان علمي واف ووافٍ عن هذا

الترابط، وصياغة صورة دقيقة للنظام العالمي الذي نعيش فيه، من المستحيل بالنسبة لنا وسيظل دائما أمرا مستحيلا.

إذا كان في أي وقت من مراحل تطور البشرية مثل هذا النهائي،"

نظام حاسم من الترابط داخل العالم فقد تم جلب النواحي الجسدية والعقلية والتاريخية هدا يعني ان المعرفة البشرية وصلت إلى حدها الأقصى... ولذلك يجد الجنس البشري نفسه في مواجهة تناقض: فمن ناحية، يجب أن يكتسب معرفة شاملة بالنظام العالمي في جميع علاقاته المتبادلة؛ ومن ناحية أخرى، بسبب طبيعة الإنسان ولا يمكن أبدا تنفيذ هذه المهمة على نحو كامل في إطار النظام العالمي. ولكن هذا التناقض لا يكمن فقط في طبيعة العاملين - العالم والإنسان، بل هو أيضا الرافعة الرئيسية لكل التقدم الفكري، ويجد حله باستمرار، يوما بعد يوم، في التطور التقدمي اللامتناهي للبشرية....

إن كل صورة ذهنية للنظام العالمي موجودة وما زالت موجودة"

والحقيقة الفعلية محدودة، بموضوعية من خلال المرحلة التاريخية، وذاتية من خلال الدستور المادي والعقلي لصانعها.

ومع ذلك، من خلال التطور التدريجي اللامتناهي ل مثل هذه الصور الذهنية المحدودة للعالم الموضوع يحصل باستمرار على حقيقة أكثر اكتمالا، معرفة أكثر شمولا.

وبذلك يمكننا تحقيق الحقيقة الكاملة حول كل شيء، هل يمكننا تحقيق معرفة شاملة ومعتمدة بالكامل؟

قبل ان نجيب بنعم أو لا يجب ان نسأل: ما هو"

.الفكر الإنساني؟ هل هي فكرة الشخص؟ لا

لكنه موجود فقط كفكرة فردية لبلايين كثيرة من البشر في الماضي والحاضر والمستقبل... وبعبارة أخرى، فإن سيادة الفكر تتحقق في سلسلة من البشر المفكرين في انعدام السيادة؛ والمعرفة التي لها إدعاء غير مشروط بالحقيقة تتحقق في سلسلة من الأخطاء النسبية؛ لا

يمكن تحقيق هذا ولا الآخر بالكامل إلا من خلال أبدية لا نهاية لها من

.الوجود الإنساني

نجد هنا مرة أخرى نفس التناقض الذي وجدناه"

في الأعلى، بين طبيعة الفكر الإنساني، تصور نيك بالضرورة على أنه

مطلق، وواقعه في الأفراد من البشر مع تفكيرهم المحدود للغاية. هذا

تناقض لا يمكن حله إلا بالتقدم اللانهائي، أو ما هو بالنسبة لنا، على

الأقل من الناحية العملية، التعاقب اللانهائي لأجيال من البشر. وبهذا

المعنى فإن الفكر الإنساني له نفس القدر من السيادة وليس السيادة،

القدرة على المعرفة محدودة بقدر ما هي محدودة. فهي ذات وهو

سيادة وغير محدودة في تصرفها وفي مهنتها وإمكاناتها وفي غرضها

التاريخي؛ وليست ذات سيادة وهي محدودة في التعبير الفردي وفي

"تحقيقها في كل لحظة بعينها.

إن المذهب الماركسي حول الحقيقة يعلمنا تجنب الدوغماتية، التي

تضع مبادئ عامة، مهما تم التوصل إليها، كحقائق ثابتة ونهائية -

رفض دراسة أسسها ورفض تغييرها وتصحيحها، أو إذا لزم الأمر رفضها تماما، في ضوء التجربة الجديدة والظروف الجديدة.

وفي نفس الوقت تعلمنا أن نتجنب التجربة التي تقتصر على جمع وتنسيق الحقائق، لا تهتم باكتشاف القوانين الأساسية للحركة والترابط الذي يتجلى في تلك الحقائق، وهي متشككة في جميع التعميمات والنظريات الجريئة ومثل الدوغماتية، لا تستطيع التجربة أن ترى ما هو أبعد من الحدود المحدودة.

هذه المواقف، شائعة بما فيه الكفاية في الفلسفة العلوم، تواجهنا أيضا في حركة الطبقة العاملة. في الطبقة العاملة الحركة الدوغماتية تتكون من تعلم بعض الصيغ عن طريق التروي والتفكير أن كل مشكلة جديدة يمكن حلها بتكرار بسيط لهذه الصيغ. ونتيجة لهذا، يفشل الناس في استيعاب الدروس المستفادة من التجربة، ويثبتون عجزهم بجرأة عن دفع سياسات جديدة إلى الأمام في مواجهة موقف جديد. ومن ناحية أخرى، تتألف النزعة التجريبية من الانغماس في

مشاكل "عملية" تافهة يومية، بحيث لا تلتفت إلا إلى هذه المشاكل وتنظر إلى كل المسائل الأخرى باعتبارها غير مهمة، باعتبارها اهتماما "بالمثقفين" وليس بالعمال العمليين.

ونتيجة لهذا أيضا، يفشل الناس في إستيعاب الدروس المستفادة من التجربة ويثبتون عجزهم عن تقديم سياسات جديدة بجرأة.

وبالتالي فإن كلا من الدوغماتية والتجريبية يقودان إلى نفس النتيجة، وقادران على إلحاق ضرر كبير بحركة الطبقة العاملة، ومنعها من إيجاد الطريق الصحيح المؤدي إلى تحقيق الاشتراكية.

إنه أمر حاسم لأنه ضد العقائد، ويصر على الاختبار المستمر وإعادة إختبار جميع الأفكار وجميع السياسات في بوتقة الممارسة الثورية مع الاعتراف بأن الحقيقة تتغير، أن ما هو صحيح بما فيه الكفاية اليوم قد يصبح زائفا غدا ما لم يصحح ويتطور إلى حقيقة جديدة.

ولكن مجرد أن تكون انتقاديا ليس كافيا. إن الموقف النقدي هو موقف سلبي وقد يؤدي إلى شلل العمل.

الماركسية هي أيضا ثورية. إنها ثورية لأنها لا تنتقد فقط، بل تمضي قدما لاستبدال القديم بالجديد. وهي ثابتة في وجهة نظرها، واثقة من صحة وعدالة قضيتها، واثقة من صحة مبادئها كأساس للتقدم المستقبلي، وتتحقق من أفكارها الثورية في الممارسة الثورية.

الفصل الحادي عشر
جذور المعرفة

المعرفة هي مجموع التصورات ووجهات النظر

الاقتراحات التي وضعت واختبرت على أنها تأملات صحيحة،

بقدر ما تذهب، من الواقع الموضوعي. وهي أساسا منتج إجتماعي،

جذوره في الممارسة الاجتماعية، مجربة و

.تم تصحيحه من خلال تحقيق التوقعات في الممارسة العملية

بداية كل المعرفة تكمن في الإدراك الحسي،

.وقد أثبتت الممارسة البشرية مدى موثوقيتها

لا يمكن أبدا أن تكون المعرفة كاملة أو نهائية، ولكن يجب دائما أن يتم

.توسيعها ونقدها

ما هي المعرفة؟

في تحقيق الأفكار الحقيقية حول الأشياء نفوز أيضا وننشر المعرفة

حولها. ما هي المعرفة إذا؟

ما لم نجعل أفكارنا تتوافق مع الواقع، نحن بالتأكيد لا نملك المعرفة.

الفوز بالمعرفة يعني إستبدال الجهل أو الأفكار غير الحقيقية بأفكار

حقيقية. ومن هنا جاء

يمكن العثور على نمو المعرفة في نمو الأفكار الحقيقية داخل مجموع

.الأفكار، بعضها صحيح بينما البعض الآخر ليس صحيحا

ولكن المساواة بين المعرفة والحقيقة لا يعني تعريفها

المعرفة. لأن السؤال الذي يطرح نفسه هو: كيف نعرف أن أفكارنا

الحقيقية حقيقية؟ ان مجرد القول أو الايمان بشيء حقيقي هو عدم

.معرفته

.على سبيل المثال، يقول بعض علماء الفلك أن هناك حياة على المريخ

ربما هناك، في هذه الحالة ما يقولون صحيح. لكنهم لا يعرفون بعد ان

هنالك حياة على المريخ، لأنهم لم يجمعوا بعد أدلة كافية. ومن ناحية

أخرى، عندما يقول علماء الفلك ان المريخ كوكب يعبرون عن معرفتهم

بهذه المسألة؛ لأن ما يقولونه في هذه الحالة مؤسس على طرائق

.موثوقة للتحقيق

مرة أخرى، الفلاسفة الإغريق القدماء قالوا أن الأجساد

كانت تتألف من ذرات. ونحن نعرف اليوم ان ذلك صحيح لكنهم لم يفعلوا. لقد كان ببساطة تخمينا محظوظا من جانبهم. كيف نعرف أن الأجسام مكونة من ذرات؟ ذلك لأنهم في الوقت الذي تكهنوا فيه فقط وخمنوا لحسن الحظ طبيعة المادة، قمنا بالتحقيق فيها بشكل منهجي، وقمنا بإستناد أفكارنا على مثل هذا التحقيق، وبالتالي إختبروا وأثبتوا حقيقة تلك الأفكار المحددة. ومن ناحية أخرى، لا تزال هنالك امور كثيرة لا نعرف عنها أكثر من اليونانيين القدماء، نحن مجرد تخمين عن امور كهذه، تماما كما كانت؛ وكما هي الحال معهم، يبقى ان نكتشف .إلى أي حد تكون الحقيقة هي تخميناتنا

نحن نكتسب المعرفة فقط بقدر ما نطور

الأفكار بطريقة تثبت وتختبر تطابقها مع الواقع. وآنذاك فقط

.نستطيع أن نزعم أننا أهل للمعرفة

لذلك فإن تطوير المعرفة هو تطوير نوعية خاصة ضمن التطوير الكامل لأفكارنا ونظرياتنا ووجهات نظرنا حول الأشياء. تم وضع العديد

من الأفكار والنظريات ووجهات النظر حول الأشياء، وغالبا بطريقة منهجية ومنطقية، ولكنها كانت مجرد تخمين حتى لو كانت صحيحة، وكانت في الغالب وهمية للغاية.

ولكن في سياق تطور الأفكار يحدث أيضا تطور للمعرفة، وهو تطوير للأفكار التي لا تتوافق مع الواقع فقط ولكن يتم إثبات واختبار مراسلاتها.

فمعرفتنا هي مجموع مفاهيمنا وآرائنا

والاقتراحات التي تم وضعها واختبارها كأفكار صحيحة بقدر ما تذهب للواقع الموضوعي.

الشخصية الاجتماعية للمعرفة.

المعرفة هي في الأساس منتج إجتماعي. إنها مبنية إجتماعيا، كمنتج للنشاط الاجتماعي للبشر.

بعض الفلاسفة يقدمون لأنفسهم ولقارئهم الكثير من المتاعب من خلال محاولة تتبع نمو المعرفة في عقل الفرد المعزول وإيجاد جذورها

في التجربة الفردية. وفي محاولة للقيام بذلك، وضعوا أنفسهم مشكلة لا حل لها، لأن المعرفة ليست، ولا يمكن ان تكون، مبنية على هذا النحو. فالفرد الذي يعمل وحده، بعيدا عن الاتصال بالناس الآخرين ويعتمد على نفسه فقط، لا يكاد ينال اية معرفة على الاطلاق. ومن هنا كان بعض هؤلاء الفلاسفة يتبعون أفكارهم الخاصة إلى الاستنتاج المنطقي فقط عندما أعلنوا أن الإنسان لا يعرف سوى وجوده اللحظي، وبالتأكيد لا يعرف وجود العالم المادي والآخرين على الرغم من أنهم كانوا أقل منطقية في نشر هذا الاستنتاج، لم يكن لديهم أي سبب للاعتقاد بوجود أحد قادر على قراءتها. طبعا، تبنى المعرفة بواسطة الافراد تماما كما ان كل ما يخلقه الانسان يخلقه الافراد؛ ولكنها تبنى بواسطة أفراد يعملون في تعاون، معتمدين على بعضهم بعضا، معبرين عن إختباراتهم وأفكارهم. العديد من الأفراد في المجتمع يمكنهم القيام بما لا يستطيع أي منهم القيام به بشكل فردي وأحد هذه الأشياء هو بناء المعرفة البشرية. كل فرد يحصل على قدر كبير

من المعرفة من إختباره الخاص؛ ولكنه لا يفعل ذلك بمعزل عن معاشرته للآخرين، ولو لم يتعلم من الآخرين ما تعلموه من قبل. فالوسيلة ذاتها لتشكيل الأفكار والتعبير عنها، أي اللغة، التي بدونها لا يمكن أن تكون أي أفكار ممكنة، هي نتاج إجتماعي ولا توجد إلا باعتبارها ملكية مشتركة لمجتمع ما. وبعض الأفراد يقدمون إسهامات كبيرة بصفة خاصة في بناء معارف جديدة، في حين أن الكثيرين لا يقدمون أي مساهمة على الإطلاق؛ ومع ذلك فإن الأفراد الأوائل ما كانوا ليقدموا إسهامهم لو لم يكونوا أعضاء في مجتمع معين، لو لم يكونوا على اتصال مع زملائهم، لو لم يتعلموا ما كان على مجتمعهم أن يعلمه، لو لم تكن لديهم الوسائل المادية والفكرية العديدة للحصول على المعرفة التي أنتجها مجتمعهم.

إذا، في المجتمع فقط يتم اكتساب المعرفة وقد تأسست، وجذورها تكمن في النشاطات الاجتماعية للانسان. إنه كذلك تم بناؤه من خلال تبادل الخبرات والأفكار بين أفراد المجتمع في سياق مختلف أشكال

نشاطهم الاجتماعي، ويتم إخضاعه للاختبار والاختبار في نفس العملية.

ونتيجة لذلك، مجموع المعرفة الاجتماعية التي هي، والمعرفة المخزنة والمتاحة للمجتمع دائما أكبر من المعرفة التي يمتلكها الأفراد. يبني اناس كثيرون وأجيال كثيرة معرفة أكثر بكثير مما يمكن لأي فرد ان يكتسبه. يتم تخزين هذه المعرفة من قبل المجتمع، ويتم توزيعها في المقام الأول بين العديد من الذكريات للعديد من الناس، وثانيا، يتم تسجيلها بشكل دائم في الكتابة بحيث في هذا الصدد الكتب والسجلات من مختلف الأنواع تخدم كمستودع مادي للمعرفة المكتسبة في المجتمع. على سبيل المثال، لا أحد يعرف جميع أرقام الهاتف في لندن، ولكن هذه المعرفة متاحة إجتماعيا وتستخدم باستمرار من خلال دليل الهاتف. مرة أخرى، لا أحد يعرف كل شيء اكتشفه، ولكن مجمل هذه المعرفة متاح إجتماعيا، والتنظيم موجود (ولو أنه يمكن تحسينه إلى حد كبير) للاستفادة منه. إذا يوجد في

المجتمع تراكم للمعرفة الإجتماعية، التي يشارك بها الأفراد والتي يمكن للأفراد الإستفادة منها.

الممارسة الاجتماعية والمعرفة الاجتماعية

تنشأ جميع علاقات الإنسان وتتطور من الارتباط الأساسي للإنسان في الإنتاج. ولذلك، فإن تطوير المعرفة، التي هي نتاج إرتباط بشري، .يعتمد في التحليل الأخير على تطوير الإنتاج الاجتماعي

.بدأ الرجال أولا في تشكيل الأفكار في عملية الإنتاج

وتطور الفكر والمعرفة، بدءا من النشاط الإنتاجي للرجال، لا يمكن في .أي وقت من الأوقات أن ينفصل عنه

في مجرى التاريخ تم كسب المعرفة وتوطيدها خطوة بخطوة. وكما أن الرجال قد ناضلوا من أجل تطوير قوى الإنتاج الخاصة بهم، وإعادة تشكيل علاقات الإنتاج الخاصة بهم والتي تتوافق مع تطوير قوى الإنتاج الخاصة بهم، فقد تم دفعهم إلى السعي من أجل معرفة جديدة

والتغلب على كل من الجهل والأفكار الكاذبة التي أعاقت تقدمهم المادي.

إن الماركسي ينظر إلى نشاط الإنسان الإنتاجي على أنه الأكثر"

وفي معرض عرضه لنظرية المعرفة الماركسية كتب ماو: "النشاط العملي الأساسي، باعتباره العامل الحاسم في تحديد كافة الأنشطة الأخرى". "في إدراكه، الإنسان، اعتمادا بشكل رئيسي على النشاط في إنتاج المواد، فهم تدريجيا ظواهر الطبيعة، وخصائص الطبيعة، وقوانين الطبيعة، والعلاقات بينه وبين الطبيعة؛ ومن خلال النشاط الإنتاجي أيضا يكتسب تدريجيا المعرفة بدرجات متفاوتة حول بعض المؤسسات البشرية. ولا يمكن الحصول على أي من هذه المعرفة "بمعزل عن النشاط المنتج.

مجموع المعرفة وشخصيتها في أي مرحلة ولذلك، فإن التطور الاجتماعي تعتمد دائما على مرحلة تطور الإنتاج وتتصل بها. لأن ما إستطاع الرجال معرفته عن الطبيعة والمجتمع يعتمد دائما على

تواصلهم العملي مع الطبيعة ومع وثمة مسألة أخرى تتعلق بالمشاكل العملية التي يحددها ذلك الاتصال الجنسي، وهي تختبر في الحل العملي لتلك المشاكل. وعلى هذا الأساس يقومون بتحديد فئات الفكر وأساليب الاستدلال وأساليب التحقيق التي من خلالها يتم بناء صرح المعرفة.

ولكن في حين أن تطور المعرفة يعتمد على آخر تحليل لتطوير الإنتاج، فإنه لا يعتمد على الإنتاج وحده، ولكن تطوره يتم بوساطة مختلف أشكال النشاط الاجتماعي والعلاقة التي تنشأ من الإنتاج.

لا تقتصر الممارسة الاجتماعية للإنسان على النشاط الإنتاجي. هناك " العديد من أشكال النشاط الأخرى - الصراع الطبقي، الحياة السياسية، النشاط العلمي والفني؛ باختصار، يشارك الرجل في المجتمع في جميع مجالات الحياة الاجتماعية العملية. وهكذا في إدراكه، إلى جانب معرفة الأشياء من خلال نشاطه الإنتاجي المادي، يعرف الإنسان بدرجات متفاوتة الأنواع المختلفة من العلاقات بين

البشر من خلال الحياة السياسية والثقافية، وكلاهما يرتبط إرتباطا وثيقا بالحياة المادية. ومن بين هذه الأشكال المختلفة للنضال الطبقي الذي له تأثير عميق بشكل خاص على تطور معرفة الإنسان. ففي مجتمع طبقي، يعيش كل فرد ضمن فئة معينة، وكل طريقة تفكير "تختم دائما بطابع الطبقة.

بناء المعرفة، إذا، يعتمد على النشاط الإنتاجي، يعتمد أيضا، في المجتمع الطبقي، على الطبقات والصراع الطبقي. مهمة الحفاظ على

توسيع نطاق المعرفة قد تم نقله بشكل أساسي على ممثلي فئات محددة. وكان إلى حد كبير نتيجة للنشاط والصراع الاقتصادي والسياسي والعلمي والفني - بين الطبقات المختلفة في فترات مختلفة أن المعرفة الجديدة، من الطبيعة والمجتمع على حد سواء، قد تم الفوز بها.

النظرية والممارسة في بناء المعرفة بصفة عامة، اكتساب المعرفة في المجتمع هو شيء ينشأ من مجموع الأنشطة العملية لأفراد المجتمع، واتصالهم بالطبيعة الخارجية ومع بعضهم البعض. وبصرف النظر عن هذه الأنشطة العملية، لا يمكننا اكتساب المعرفة بأي شيء، لأنه لن يكون هناك أي أساس نستمد منه الأفكار التي تتفق مع الواقع الموضوعي أو لاختبار تلك المراسلات.

لذلك كتب لينين: عن "وجهة نظر الحياة، والممارسة، ينبغي أن تكون الأولى والأساسية في نظرية المعرفة، ماذا نعني بالضبط بـ"الممارسة" أو "العملية".

أولا وقبل كل شيء، الممارسة تتكون من حركات الأعضاء للجسم البشري الذي يسبب تغيرات في العالم المحيط، ولكن ليس مجرد أي حركة كهذه، أي عمل من هذا القبيل، يعتبر ممارسة أو نشاطا عمليا. على سبيل المثال، لا يمكننا إعتبار العديد من الإجراءات الانعكاسية البسيطة كأمثلة على التدريب. كما أننا لن نعطي عنوان النشاط

العملي لأعمال المشاية أثناء النوم. النشاط العملي هو في الأساس نشاط الوعي البشري، أي أنه يتم عن قصد، مع فكرة النتيجة النهائية، أو الهدف، التي يجب تحقيقها، وبعض الوعي بشروط العمل وخصائص موضوع العمل والوسائل التي يمكن من خلالها تحقيق الهدف.

ثالثا، الممارسة إجتماعية. وهناك، بطبيعة الحال، ممارسة فردية هي الأنشطة العملية التي يضطلع بها الفرد بمفرده - وكذلك الممارسة الاجتماعية – الأنشطة والتي لا يمكن أن يقوم بها سوى عدد من الأفراد الذين يعملون في إطار مجموعات. ولكن لا يوجد نشاط عملي واع يمكن أن يتطور بمعزل عن حياة الإنسان الاجتماعية وحالة الأفراد في مجتمعهم.

في المجتمع، يطور الناس وسائل كثيرة ليتمكنوا من تطبيقها النشاط. والخطاب، الذي نتواصل به واحدنا مع الآخر، هو أحد هذه الطرائق.

لذلك يجري القيام بدور كبير ومهم في نشاطنا العملي بالكلام، لأن هذا بالتأكيد وسيلة مهمة لجلب الأمور.

"والنقاط الثلاث المذكورة أعلاه تحدد ما نقصده ب "الممارسة.

المعرفة إذن تنشأ من الممارسة لأنها تنشأ من خلال تطوير أفكار تتوافق مع مختلف شروط ومواضيع ووسائل أنشطتنا العملية.

وتتطلب الممارسة مثل هذه الأفكار، ويتم تطويرها وفقا لذلك مع تطور الممارسة. ويتم اكتساب المعرفة بقدر ما تخلق الممارسة الطلب على الأفكار الحقيقية حول أشياء مختلفة، وتوفر الوسائل والفرص للعمل عليها واختبارها.

في جميع الأوقات كانت الممارسة الاجتماعية هي التي دفعت أن يطور الناس ويتقنوا معرفتهم متطلبات تطوير النشاط الإنتاجي المادي، وليس أقل متطلبات الطبقات المختلفة، التي اختبرت ضرورة اكتساب معرفة متزايدة العمق حول مختلف جوانب الطبيعة والمجتمع من أجل تحقيق مصالحها العملية الخاصة.

وهكذا، كما حسن الرجال أدوات الإنتاج الخاصة بهم، وتقنية الإنتاج الخاصة بهم، وقدرتهم العملية على السيطرة على الطبيعة، كذلك تطورت معرفتهم بالطبيعة. وبالنسبة للتغيرات في الإنتاج، فإن هذه المشاكل تشكل مشكلة للمعرفة وتوفر في الوقت نفسه الوسائل اللازمة لمعالجتها. وبهذا تنفتح مجالات جديدة للمعرفة، وتتوصل إلى إستنتاجات جديدة وبعيدة المدى. وتسهم هذه الأنشطة بدورها في تحقيق مزيد من التقدم التقني وتختبر، بل وتتطور أيضا، في تطبيقها .عمليا

الطبقة الرأسمالية، في القيام بتطوير

الصناعة الحديثة، أعطت دفعة عميقة لتعميق المعرفة الطبيعية، وخاصة العمليات الفيزيائية والكيميائية. والطبقة العاملة بدورها، في اضطلاعها بدور قيادي في بناء الاشتراكية، تتطلب وتخلق الظروف من أجل معرفة طبيعية أكثر شمولا بكثير.

وبشكل مماثل، فيما يجاهد الرجال لتحسين خيرهم ونجحوا في بناء علاقات إجتماعية جديدة وأعلى بدلا من القديمة والعتيقة، كذلك تطورت معرفتهم بأنفسهم وبالمجتمع.

المعرفة بقوانين التغيير الاجتماعي المجسدة في ولا يمكن تحقيق الاشتراكية العلمية إلا عندما يصبح الكفاح من أجل الاشتراكية مسألة عملية، مع تطور الطبقة العاملة. وبصفة عامة، فإن مدى معرفة المجتمع وقوانينه، في كل حقبة تاريخية، يتوافق دائما مع المهام الاجتماعية العملية لهذه الحقبة. وهكذا فإن الرأسمالية، من خلال تطوير السوق العالمية ومن ثم تقسيم العالم بين القوى الإمبريالية، حفزت الدراسات في تاريخ العالم وفي المجتمعات في مختلف مراحل تطورها، مما أدى إلى توسع هائل في البحوث الاجتماعية والتاريخية. وبالذهاب إلى ما هو أبعد من ذلك، وضع النضال من أجل الاشتراكية الأساس للمعرفة العلمية الحقيقية للمجتمع، واختراق العلاقات الاجتماعية الأساسية وقوانين التنمية الاجتماعية.

ومن ناحية أخرى، فإن الناس لا يستطيعون ولا يستطيعون أن يكتسبوا معرفة الأشياء التي لم تعرف ممارساتهم عنها بعد نظرا لحاجتهم أو فرصتهم لمعرفة أي شيء.

على سبيل المثال، في حين أن الناس لا يزالون يعيشون في مجتمعات محلية صغيرة ويستخدمون أدوات إنتاج بدائية جدا لم يتمكنوا من تطوير أي معرفة للجغرافيا، أو الرياضيات، أو علم الفلك، أو الميكانيكا. كانوا يعرفون القليل جدا، على الرغم من أن لديهم جميع أنواع الأفكار حول الأشياء التي كانوا يعرفون القليل عنها. قبل الرأسمالية وظهور الطبقة العاملة لم يكن الناس ولا يمكنهم الحصول على الكثير من المعرفة حول قوانين تطوير المجتمع وحتمية الاشتراكية. كان لديهم جميع أنواع الأفكار حول هذه الأشياء، بما في ذلك أفكار الاشتراكية، ولكن القليل جدا من المعرفة.

وتختبر المعرفة، التي تنشأ عن الممارسة العملية، من الناحية العملية. لمطابقة أفكارنا حول ظروف وموضوعات ووسائل النشاط العملي مع

الواقع الموضوعي بعيدا عن أفكارنا يتم إختباره، ولا يمكن إختباره في آخر المطاف إلا بنتائج النشاط الموجه بتلك الأفكار.

كل فعل يتم بتوقعات معينة، وهي بناء على الأفكار التي توجه هذا القانون. الاختبار الأخير الوحيد لتطابق الأفكار مع الواقع يكمن في تحقيق أو عدم تحقيق التوقعات المبنية على الأفكار.

إذا، من ناحية أخرى، لدينا أفكار ليست بأي حال من الأحوال المتصلة بتوقعات نتائج الممارسة، والتي لا يمكن إختبارها بالرجوع إلى الإنجاز أو عدم تحقيق التوقعات، ثم لا يوجد طريقة أبدا وإذا ما قررنا ما إذا كانت مثل هذه الأفكار تتفق مع الواقع أو لا تتفق معه، فهذا يعني أنها .لا تشكل جزءا من المعرفة، بل إنها مجرد وهم أو تخمين

لذلك كتب ماركس: "السؤال عما إذا كانت الحقيقة الموضوعية يمكن ان تعزى إلى التفكير البشري ليست مسألة نظرية بل هي مسألة عملية. في الممارسة العملية يجب على الإنسان أن يثبت الحقيقة، أي الواقع والقوة، "هذا الجانب" من تفكيره.

الخلاف حول الواقع أو عدم الواقع [أي عدم الانسجام أو عدم الانسجام مع الواقع من التفكير المنعزل عن الممارسة هو سؤال "مدرسي بحت.

فنحن نحصل على المعرفة من خلال إستنباط الأفكار التي تنشأ من حولنا من مشاكل الممارسة، ونختبر معرفتنا خطوة بخطوة، وبعبارة أخرى، نجعلها معرفة، بالرجوع إلى تحقيق أو عدم تحقيق توقعاتنا في الممارسة العملية.

لذلك فإن المعرفة في تطورها تمر باستمرار من خلال دورة من ثلاث مراحل.

الممارسات الاجتماعية، وتطوير الإنتاج، والعلاقات الاجتماعية، ووضع الحل للمشاكل النظرية.

وضع النظريات الناشئة عن هذه المشاكل، استنادا إلى التجارب المتاحة، والإعداد المنطقي لهذه النظريات.

تطبيق هذه النظريات في الممارسة الاجتماعية، واختبارها والتحقق منها وتصحيحها في عملية وضعها.

هذه عملية لا تنتهي أبدا. لأي شيء قد يكون المعرفة، متطلبات الممارسة الجديدة تؤدي إلى امتدادات جديدة للمعرفة. وعلاوة على ذلك، يجب دائما جعل المعرفة الحالية متوافقة مع الدروس والمطالب العملية. ومن هنا، فمع اكتساب المعارف الجديدة، تعاد صياغة النظريات القديمة، ويتم تصحيح المعارف القائمة وتعميقها.

إذا لتلخيص تعاليم المادية الجدلية ونظرية المعرفة، فقد كتب ماو تسي تونغ:

وأضاف أن "الماركسي يرى أن الممارسة الاجتماعية للانسان وحدها هي معيار حقيقة معرفته بالعالم الخارجي. في الواقع، لا يمكن التحقق من معرفة الإنسان إلا عندما يحقق النتائج المتوقعة في عملية الممارسة الاجتماعية (في عملية الإنتاج المادي، وفي الصراع الطبقي، وفي التجربة العلمية) ... نظرية المعرفة المادية الجدلية ترفع الممارسة إلى

المقام الأول، وترى أن المعرفة البشرية لا يمكن فصلها في أقل القليل من الممارسة، وترفض جميع النظريات التي تنكر أهمية الممارسة أو فصل المعرفة من الممارسة......

الممارسة، والمعرفة، والمزيد من الممارسة، والمزيد من المعرفة؛" تكرار دوري لهذا النمط إلى ما لا نهاية، ومع كل دورة إرتفاع محتوى الممارسة والمعرفة إلى مستوى أعلى. وهذه هي النظرية المادية الجدلية "للمعرفة، وهذه هي النظرية المادية الجدلية لوحدة المعرفة والفعل.

الإدراك الحسي، بداية كل المعرفة في هذه العملية من الحصول على وبناء المعرفة، على ما يجب أن نعتمد عليه في الحصول على معلومات حول الامور، وفي القيام باختبار اتمام التوقعات أو عدم اتمامها؟ علينا أن نعتمد على حواسنا.

فصل المعرفة عن الممارسة، العديد من الفلاسفة وقد أكدوا أيضا أن المعرفة تبنى من خلال عملية "الفكر النقي". فالحواس، كما يقولون، لا يمكن الاعتماد عليها، ولا يمكن أن تكون مصدرا للمعرفة، لتحقيق

ما ينبغي لنا أن نتجاهل بيانات الإحساس به وأن نعتمد على العقل وحده.

ومع ذلك، فإن المعرفة البشرية، القادرة على التوسع إلى ما لا نهاية، هي دائما عمل الدماغ البشري. الدماغ هو العضو المسؤول عن أكثر علاقات الإنسان مع العالم الخارجي تعقيدا، وفي توضيح هذه العلاقات نحن نعتمد، في المقام الأول، على الإشارات التي تتلقاها عبر الحواس نتيجة تفاعلنا مع الأشياء التي تخرج من داخلنا.

إذا، بداية كل معرفتنا لا يمكن ان تكون شيئا آخر غير التصورات الحسية التي نكتسبها في مجرى نشاط الحياة. يمكن بناء المعرفة على أي أساس آخر من المعلومات المكتسبة من خلال ممارسة حواسنا، من خلال تصورات الحواس التي لها مصدرها في العالم المادي الموضوعي. "بالنسبة للشخص الذي يغمض عينيه، ويوقف أذنيه، ويقطع نفسه تماما عن العالم الموضوعي، لا يمكن أن تكون هناك

معرفة للحديث عنها. تبدأ المعرفة بالخبرة. هذه هي المادية لنظرية

"المعرفة.

وجهة النظر المادية هذه في نظرية المعرفة وقد تجسد في تعريف لينين

المعروف جيدا للمادة، حيث ان الواقع الموضوعي الذي تعطيه

أحاسيسه للانسان، والذي تعكسه أحاسيسنا فيما نحن موجودون

"بمعزل عنها.

هذا يؤكد أن العالم المادي هو العالم المتاح للحواس. ما نعرفه عن

العالم المادي مشتق من ممارسة حواسنا. أي المعرفة المفترضة التي

تذهب إلى أبعد من ذلك ليست معرفة، بل خيال، وأي واقع موضوعي

مفترض لا يمكن الوصول إليه للحواس ليست حقيقية بل خيالية.

وقد يعترض على أن هذه عبارات جازمة. ولكن ليس هناك أي عقيدة.

بل على العكس من ذلك، بمجرد أن نبتعد عن هذا الموقف المادي

الأساسي ننأى عن كل المعرفة التي يمكن التحقق منها وننتقل إلى مجال

التخمين المحض. وبمجرد أن نسمح لأنفسنا بالبدء في أختراع

"الحقائق" التي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكشف عنها أداة الحواس، فإننا نحيد في الغيوم. فنحن نواجه ذلك النوع من الاسئلة التي اعتاد العلماء اللاحقون ان يطرحوها: "إلى أي حد يمكن لملائكة كثيرين ان يقفوا عند نقطة الابرة؟" لا توجد طريقة ممكنة لكشفها، وبالتالي التحقق من إجابة السؤال. ولهذا السبب، نستطيع أن نتأكد من أن مثل هذه التساؤلات والمضاربات لا علاقة لها بالمعرفة على الإطلاق، وأنها مجرد وسيلة لخداع الناس.

وفي الواقع، ان القول إننا نكتسب المعرفة فقط من خلال ممارسة الحواس في مجرى النشاط العملي ليس عقيدة أكثر من القول إننا لا نستطيع ان نحيا دون اكل. ان وعد الناس بالمعرفة "الفائقة" أو "الفائقة" هو كالوعد لهم بوسيلة الحياة الابدية في حين لا يقدم لهم شيئا ليأكلوه والوعود غالبا ما تكون مماثلة أي أشخاص متعلمون وأتقياء. والنظرية المادية للمعرفة هي دفاع وسلاح ضد مثل هذه الخداع.

لذلك يجب ان نرفض بثبات كل "المبادئ" والعقائد التي تدعي انها معروفة بمعزل عن الخبرة، بصرف النظر عن ممارسة الحواس، سواء بواسطة نور داخلي أو بحكم سلطة ما. ولا ينبغي لنا أن نثق في أولئك الذين يسعون إلى فرض وجهات نظرهم لأنهم يزعمون أنهم يمتلكون هبة فكرية خاصة، أو لأنهم بدئوا في لغز ما، أو لأنهم حصلوا على بعض الصلاحيات الخاصة. يجب أن نكون متشككين، ولا نقبل شيئا من أي شخص لا يمكن تفسيره أو تبريره من حيث الممارسة وخبرة في الحواس. لأننا لا نستطيع أن نعرف وجود أو خصائص أي شيء إلا بقدر ما يكون وجوده وخصائصه قابلة لأن يتم اكتشافها، بطريقة ما، مباشرة أو غير مباشرة، بواسطة حواسنا.

موثوقية الحواس

ولكن هل يمكننا ان نثق بحواسنا؟ الا تخدعنا الحواس دائما، كما تفعل أحيانا في الهلاوس والأحلام؟ وبشكل أعم، كيف يمكننا أن نعرف أن أي شيء موجود على الإطلاق يتناسب مع تصوراتنا؟

للإجابة على هذه الأسئلة يجب أن نتذكر أننا نكتسب ونبني تصوراتنا للأشياء فقط في مسار النشاط العملي. المعلومات التي نحصل عليها من خلال الحواس لا تأتي إلينا فقط. نحصل عليها في الحياة العملية، من خلال تفاعل واع وعملي مع الأشياء من الخارج.

فالطفل المولود حديثا، مثلا، يبدأ بكتلة من الانطباعات المشوشة عن نفسه وعن العالم الخارجي. يبدأ في إستخدام حواسه والحصول على معلومات عن الأشياء المحيطة به عندما يبدأ في الوصول إلى تلك الأشياء، لمعرفة ما يمكن أن يفعله بها، للتحقيق فيها، وتجربتها واختبارها بجميع الطرق.

لا تخدعنا الحواس دائما، كما تفعل أحيانا في الهلاوس والأحلام؟

وبشكل أعم، كيف يمكننا أن نعرف أن أي شيء موجود على الإطلاق يتناسب مع تصوراتنا؟

للإجابة على هذه الأسئلة يجب أن نتذكر أننا نكتسب ونبني تصوراتنا للأشياء فقط في

مسار النشاط العملي. المعلومات التي نحصل عليها من خلال الحواس لا تأتي إلينا فقط. نحصل عليها في الحياة العملية، من خلال تفاعل واع وعملي مع الأشياء من الخارج.

فالطفل المولود حديثا، مثلا، يبدأ بكتلة من الانطباعات المشوشة عن نفسه وعن العالم الخارجي. تبدأ في إستخدام حواسها والحصول على معلومات عن الأشياء المحيطة بها عندما تبدأ في الوصول إلى تلك الأشياء، لمعرفة ما يمكن أن تفعله بها، للتحقيق فيها، وتجربتها واختبارها بجميع الطرق.

وقد اعتقد بعض الفلاسفة أن الهدف من المعرفة هو الوصول إلى نظام كامل وجامع، يشمل معرفة كل شيء موجود لكي يكون معروفا. ويعتقد البعض أنهم هم أنفسهم قد حققوا بالفعل هذا الهدف كما زعم الأستاذ الراحل في باليول، البروفيسور ب. جوويت: هنا أقف، اسمي جوويت، لا توجد معرفة لكنني أعرفها. أنا ماجستير في هذه .الكلية، وما لا أعرفه ليس المعرفة

ومع ذلك، لا يمكن في مجمله ولا في أي من إداراته المختلفة إنهاء

المعرفة البشرية ووضعها في صيغتها النهائية

.مدور. إن المعرفة تنمو وتتطور دائما

والواقع أن هذا واضح عندما نعتبر أن معرفتنا كلها تنشأ من الممارسة

وتختبر في الممارسة العملية، وتستمد من المفاهيم الحسية التي

نكتسبها في النشاط العملي. ولن نكون قد فعلنا أبدا كل ما يمكن

القيام به، أو فحصنا كل جانب من جوانب كل شيء كان موجودا أو

موجودا أو موجودا. سيكون هناك دائما الكثير للقيام به، المزيد

.لاكتشافه في القيام به، وبالتالي المزيد لمعرفته

لذا فالمعرفة دائما ما تتسع أو على الأقل قادرة على

أي أن التوسع كان غير مكتمل على الدوام. وهناك جانبان لهذا

التوسع وعدم اكتمال المعرفة. الجانب الأول هو الجانب الكمي.

المعرفة الجديدة تضاف دائما إلى المعرفة القديمة، بحيث نصل إلى

معرفة أكثر. وهذا التوسع يحدث في بعدين، إذا لنتحدث عن عرض

وعمق المعرفة. نتعرف على أشياء جديدة لم نكن نعرفها من قبل، ونتعرف أكثر على أشياء كنا نعرفها من قبل. وبهذه الطريقة يمكننا دائما معرفة المزيد، ولكن لا نعرف أبدا كل شيء. على سبيل المثال، في الفيزياء الحديثة يجب علينا أن نعرف عن "الجسيمات الأساسية" التي لم يكن وجودها معروفا من قبل؛ وفي الحصول على معرفة عنها، قمنا أيضا بزيادة أو تعميق معرفتنا حول الذرات وبنيتها، التي كان شيء ما معروفا بالفعل. ولكن لأننا زدنا بهذه الطريقة من اتساع وعمق معرفتنا الجسدية، لا يمكننا ان نستنتج إننا أكملنا معرفتنا الجسدية. بل على العكس من ذلك، يتعين علينا أن نستنتج أنه على الرغم من حصولنا على قدر من المعرفة المادية أكبر من أسلافنا، فإن خلفائنا، الذين يبدأون من حيث نغادر، سوف يظل لديهم المزيد من الثبات. الجانب الثاني هو جانب نوعي. وعندما نصل إلى معرفة المزيد، فإن إضافة هذا إلى ما نعرفه بالفعل لا يترك ما نعرفه بالفعل غير متأثر. بل إن الأمر على العكس من ذلك، فالمعرفة عن الأشياء الجديدة والمعرفة عن

الأشياء القديمة تلقي ضوءا جديدا، إذا جاز التعبير، على ما نعرفه بالفعل. ونتيجة لذلك، يمكننا أن نجد آثارا جديدة وأهمية جديدة فيما سبق أن أنشأناه؛ وفي الوقت نفسه نجد أن بعض الآثار المستمدة من المعارف الجديدة كانت خاطئة، ويجب إعادة النظر فيها وإعادة صياغتها بطرق شتى. على سبيل المثال، الاكتشافات الجديدة في الفيزياء والتي تم تلخيصها في ميكانيكا الكم تلقي ضوءا جديدا على الاكتشافات القديمة في الفيزياء والتي تم تلخيصها في الميكانيكا الكلاسيكية. ونتيجة لهذا، كان من الضروري إعادة النظر في المعرفة القديمة وإعادة صياغتها بطرق مختلفة، وأصبح من الواضح أن بعض الاستنتاجات المستخلصة منها كانت خاطئة. مرة أخرى، عندما في ممارسة بناء الاشتراكية في بلد واحد، الاتحاد السوفياتي، اكتسبت معرفة جديدة حول طبيعة ووظائف الدولة الاشتراكية، أصبح من الضروري إعادة النظر وإعادة صياغة بعض المقترحات حول الدولة الاشتراكية التي طرحتها سابقا الماركسية، وأصبح من الواضح أن بعض

الاستنتاجات المستخلصة منها كانت خاطئة. لا شيء من هذا يعني أن المعرفة القديمة تبين أنها كانت وهمية وبالتالي لم تكن معرفة حقيقية على الإطلاق. كل ما يعنيه ذلك هو أن عدم اكتمال المعرفة القديمة يؤدي إلى ضرورة إعادة صياغتها بشكل نقدي في ضوء المعرفة الجديدة. ونفس الشيء ينطبق، بالطبع، على المعرفة الجديدة نفسها، عندما تصبح بدورها معرفة قديمة.

وعلى هذا فإن "تاريخ المعرفة البشرية ينبئنا"، كما كتب ماو

إن حقيقة العديد من النظريات غير مكتملة وأن هذا القصور لا "

يعالج إلا من خلال إختبار الممارسة... بشكل عام، سواء في ممارسة تغيير الطبيعة أو تغيير المجتمع، فإن أفكار الناس الأصلية ونظرياتهم

".وخططهم أو برامجهم نادرا ما تتحقق دون أي تغيير أيا كان

كما أن كل فرد من الجنس البشري يبدأ في الحصول على معلومات عن العالم بتلك الطريقة، كذلك الطريقة التي تكتسب وتبنى بها كل المعرفة عن العالم.

ان انطباعاتنا الاولى المشوشة عن شيء غير مألوف هي بالتأكيد غير موثوق بها ولا تقدم معلومات تذكر عنه.

نستخدم حواسنا للحصول على معلومات حول ذلك عن طريق التحقيق فيها. ونحن باستمرار نختبر مدى مصداقية تصوراتنا لها في سياق تعاملاتنا العملية معها.

وبصرف النظر عن مثل هذه التعاملات العملية مع امور من خارج الذات ، ليس لدينا طريقة لنقول ما إذا كانت تصوراتنا تتفق مع الأشياء أو، في الواقع، ما إذا كان أي شيء على الإطلاق يتوافق معها.

ولكن عندما نتصرف بناء على تصوراتنا، وعندما نحول الأشياء إلى إستخدامنا الخاص وفقا للصفات التي نتصورها فيها، عندها نختبر ما إذا كانت تصوراتنا تتفق مع الواقع خارج أنفسنا أم لا، وكيفية حدوث ذلك.

الفيلسوف الذي يجلس وحيدا في دراسته ويحاول إستحضار المعرفة من الموارد الداخلية لعقله قد يجعل صعوبة كبيرة حول هذا الموضوع.

إنه يتساءل عما إذا كانت دراسته، كتبه، الكرسي الذي يجلس عليه، وجسمه الخاص الذي يجلس عليه، موجودة حقا، أو ما إذا كانت نوعا من الحلم أو الوهم في عقله. ولكن خارج نطاق دراسته، وبعيدا عن المناقشات الأكاديمية للفلاسفة، لا توجد صعوبة.

لقد حل العمل البشري الصعوبة قبل الانسان بوقت طويل"

فقد ابتكرته البراعة"، كما كتب إنجلز. "ان البرهان على الحلوى هو في الاكل. من اللحظة التي نصل فيها إلى 10، نستخدم هذه الأشياء وفقا للصفات التي نراها فيها، نضعها في إختبار معصوم للصوابية أو غيرها من مفاهيمنا. وإذا كانت هذه التصورات خاطئة، فإن تقديرنا للاستخدام الذي يمكن أن يتحول إليه شيء يجب أن يكون خاطئا أيضا، ويجب أن تفشل محاولتنا. ولكن إذا نجحنا في تحقيق هدفنا، إذا وجدنا أن الشيء يتوافق مع هدفنا هذا دليل إيجابي على أن تصوراتنا عنها وصفاتها، حتى الآن، تتفق مع الواقع خارج أنفسنا... وما دمنا حريصين على تدريب واستخدام حواسنا على النحو الصحيح،

وإبقاء عملنا ضمن الحدود المنصوص عليها في التصورات الموضوعة على النحو الصحيح والمستخدمة على النحو اللائق، فسوف يتبين لنا ما دام عملنا هذا يثبت تطابق تصوراتنا مع الطبيعة الموضوعية للأمور المدركة.

العالم المادي موجود، ونحن جزء منه. نحن نتعلم عن الأجساد الموجودة خارج أجسامنا وعن حالة أجسادنا بواسطة حواسنا. لذلك بطبيعة الحال ليس لدينا طريقة أخرى لمعرفة المزيد عن العالم، أي اكتساب المعرفة أكثر من ممارسة حواسنا. ولا يمكن ان تكون حواسنا مؤسسة كما هي دائما أو حتى عادة لتضللنا. وإذا كانوا كذلك، فلن نتمكن من العيش على الاطلاق.

كما أن التحليل الأخير لا يتناقض مع باقي الطبيعة، بل يتفق معها."

فحواسنا بالضرورة مكونة بحيث توفر لنا تصورات تتوافق مع الواقع خارج أنفسنا. وهذه التصورات، التي هي بداية كل معرفتنا، تكتسب في

سياق النشاط العملي، ويتم التوصل إلى صحتها من عدمها مع الواقع واختباره في النشاط العملي.

لذا كل معرفتنا التي تعني، مجموع مفاهيمنا التي تم تأسيسها واختبارها كأفكار صحيحة بقدر ما تذهب، للواقع الموضوعي يتم تأسيسها على أساس المفاهيم التي نكتسبها في نشاطنا العملي، ويتم إختبارها كذلك في نفس النشاط.

لا تنمو المعرفة عن طريق الإضافة للفكر، ولكن أيضا تحسين وتصحيح الكم المعرفي الموجود بالفعل. لا يوجد مجال للمعرفة فيه الكمال والنهائي والكامل. وبناء على ذلك، فإن المعرفة التي تم إرساؤها يجب ألا تقبل إلا كنقطة انطلاق لمزيد من التقدم في المعرفة مثلما لا ينبغي إعتبار ما تم تحقيقه في الممارسة العملية إنجازا نهائيا، بل نقطة انطلاق لتحقيق المزيد من المكاسب. وهذا يعني أننا لابد وأن نكون أيضا على إستعداد للاعتراف بأن كل المعارف تتسم دوما بأنها محدودة، وغير مكتملة، ومشوبة بالعيوب، وهذا لا يتطلب بالضرورة

تكملة فحسب لكنها تتطلب أيضا انتقادات من أجل المضي قدما

وتقدمها إلى افاق جديدة.

الفصل الثاني عشر

نمو المعرفة

المعرفة تكتسب وتنمو في عملية دخولنا في علاقات فعالة مع الأشياء، والتي ننتقل فيها من التصورات إلى الأحكام. ويحدث نمو المعرفة من خلال الانتقال من المعرفة الإدراكية إلى المعرفة العقلانية، من مجرد الأحكام السطحية حول المظاهر الخارجية للأشياء إلى الاستنتاجات المنطقية حول خصائصها الأساسية، وارتباطاتها وقوانينها. وبهذه الطريقة نكتسب معرفة متزايدة العمق عن العالم الموضوعي. وفي كل مرحلة تكون معرفتنا محدودة، ولكنها تتقدم بالتغلب على هذه الحدود.

من الجهل إلى المعرفة واكتساب المعرفة، وبناء المعرفة، هي بطبيعتها عملية دائما للانتقال من الجهل إلى المعرفة، من عدم معرفة الأشياء إلى معرفتها. سواء اخذنا في الاعتبار معرفتنا بشكل عام، أو بمعرفة شيء معين، دائما ما يكون الحال أننا أولا لم نكن نعرف شيئا ثم تدريجيا اكتسبنا المعرفة. لذلك كتب لينين ان نظرية المعرفة يجب ان "تدرس "الانتقال من عدم المعرفة إلى المعرفة.

لا يجب ان نعتبر معرفتنا جاهزة... ولكن يجب ان نحدد كيف تخرج " المعرفة من الجهل، كيف تصير المعرفة غير الكاملة وغير الدقيقة أكثر "اكتمالا ودقة.

العديد من الفلاسفة، من ناحية أخرى، اعتبروا من المسلم به ان المعرفة يمكن ان تشتق فقط من المعرفة. ولذلك افترضوا أنه لا بد من وجود حقائق أساسية، تستمد منها كل المعرفة.

وهذا يقودهم إلى استنتاجين متضادين، ولكنهما على نفس القدر من التضليل. فمن ناحية يخترعون مبادئ مختلفة يقولون انها اكيدة،

ومن ثم يدعون انهم يعرفون ويثبتون كل الاقتراحات المستخلصة من هذه المبادئ. ومن ناحية أخرى، فإنهم ينكرون جزءا كبيرا من معرفتنا الحقيقية، لأنه لا يمكن إستخلاصها على هذا النحو. وهكذا، على سبيل المثال، استخلص الفلاسفة كل طريقة من المبادئ الاولى للاستنتاجات عن الله والطبيعة المطلقة للواقع؛ ومن ناحية أخرى، رفضوا كل معرفتنا عن العالم المادي على أساس انه لا يمكن تبريره بأي شيء هم على إستعداد لقبوله بصفته أمر مؤكد وواضح.

ولكن نقطة الانطلاق الحقيقية للمعرفة ليست المعرفة،

ولكن الجهل وليس اليقين، بل عدم اليقين فنحن دائما نبني المعرفة من حالة سابقة من نقص المعرفة.

ومن ثم فإن محاولة بناء أنظمة المعرفة من منطلق بديهي هو إساءة ف هم المشكلة الكاملة لبناء المعرفة، ولابد أن تكون عبثا دائما.

فكيف تبني المعرفة من الجهل؟ من خلال تفاعلنا الحسي مع الأشياء.

وكما قلنا مرارا وتكرارا، هي أجهزة العلاقات الأكثر تعقيدا بين الإنسان

والعالم الخارجي. وبالوعي الحسي بالأمور التي تنتج من الدخول في

علاقات فعالة متنوعة معها نأتي إلى معرفتها حيث لم نكن نعرفها

سابقا. وكلما كانت العلاقات مع الأشياء التي ندخل فيها أكثر تنوعا،

كلما عرفنا عنها أكثر. لذلك فإن المعرفة هي نتاج دخولنا الواعي في

علاقات فعالة مع الاشياء.

التحول من قلة المعرفة إلى المعرفة سببه النشاط البشري الذي ينتقل

من قلة العلاقة بالأشياء إلى العلاقة بالأشياءعلى سبيل المثال، لم نكن

نعرف مصدر النيل، بل عرفناه بالذهاب إلى هناك.

لم نكن نعرف تركيب الذرات، بل عرفنا ذلك بإجراء التجارب.

لم نكن نعرف المسافات بين النجوم، بل عرفنا باختراعنا أساليب قيا

سها.

لم نكن نعرف قوانين تطور المجتمع البشري، بل عرفنا بمحاولتنا الحث

يثة لاستغلالها في تحقيق مرحلة جديدة من التطور الاجتماعي

والتصورات والأحكام، إن الشرط الأول لبناء المعرفة هو الحصول على

التصورات، أي إبداء الملاحظات الناشئة عن مختلف العلاقات مع الا

شياء. ففي بادئ الامر لم نكن نمتلك ملاحضات،

.هذه هي الخطوة الأولى :ثم حصلنا على مثل هذه الملاحظات

وبدون القيام بذلك، يمكن أن يكون هناك جهل فقط، لا معرفة إما ج

هل فارغ أو غير ذلك، كما يحدث غالبا، جهل مموه بواسطة نظريات و

همية أو نظريات المضاربة حول الأشياء.

ثانيا، بعد الدخول في علاقة مع الأشياء.

وبعد الحصول على ملاحظات بشأنهم، يجب أن نمضي قدما في صياغ

ة أحكام أو مقترحات عنهم وعن ممتلكاتهم وعلاقاتهم

يجب توظيف قوانين التفكير التي هي القوانين المنطقية لانعكاس الوا

قع الموضوعي من حيث الأفكار من أجل التعبير في الأفكار، في الأحكام أ

و المقترحات عن نتائج الملاحظات.

إن تراكم المعرفة ينطوي دائما على المرور من التصورات إلى الأفكار

جميع الحيوانات العليا لديها تصورات، وفي تصوراتها تمتلك معلومات

محددة وملموسة عن الأشياء، التي تتعلم جعلها أكثر موثوقية والتي تـ

ستخدمها في نشاط حياتها،

ولكن فقط في الإنسان يتم توفير هذه المعلومات عن طريق الحواس الـ

تي تتحول إلى معرفة، بمعنى التعبير عنها في الأفكار والاقتراحات.

في التعريف حاسة المعرفة البشرية "المعرفة"وهنا نفهم عبارة

فالمعنى الذي يعرف فيه الكلب، مثلا، طريق العودة إلى المنزل يختلف ع

ن المعنى الذي يعرف فيه الانسان الطريق، لأنه في الحالة الأخيرة يمكن

التعبير عنه في الأفكار والاقتراحات التي يمكن نقلهافالأفكار والاقتراحـ

ات تنقل وتشاطرها وتناقشها الشعوب في حياتها الاجتماعية، وهذا التـ

عبير عن المعلومات في الأفكار والاقتراحات هو الذي يشكل السمة الأ

ساسية من المعرفة البشرية.

يكتسب الناس ويملكون المعرفة بقدر ما ينتقلون من التصورات الخا

صة بكل فرد والتي يمتلكونها مع جميع الحيوانات، إلى الأفكار والأحكام

والاقتراحات التي تتواصل إجتماعيا وتخص الإنسان بعبارة أخرى، من

إستخدام الإشارات الملموسة من نظام الإشارة الأول الذي يمتلكه الإن

سان بالاشتراك مع الحيوانات إلى نظام الإشارة الثاني الذي هو خاص ب

الإنسان.

فالإدراك في حد ذاته هو شرط المعرفة فقط، ولكن ليس حتى الآن إدرا

كها.

ان معرفة الاشياء التي يملكها الانسان تتحقق بالانتقال من تصورات إ

لى أحكام مؤسسة على تصورات.

وهكذا في الدورة، التي لاحظناها في الفصل الاخير، من

الممارسة، المعرفة، المزيد من الممارسة، المزيد من المعرفة"، يتم دائما "

بناء المعرفة من خلال دورة مستمرة من الأنشطة المتميزة نوعيا التي

تشكل معا عملية المعرفة للدخول في علاقات نشطة مع الأشياء؛

الحصول من هذه العلاقة التصورات والملاحظات؛ صياغة الأحكام من

الملاحظات؛ إستخدام هذه الأحكام لتوجيه المزيد من العلاقات

النشطة مع الأشياء، مما يؤدي إلى المزيد من الملاحظات، والمزيد من الأحكام، وما إلى ذلك دون نهاية.

من الأحكام السطحية إلى الأحكام الأكثر عمقا الإدراك الحسي يعيد إنتاج الأشياء على الفور

تظهر من خلال تصرفاتها على أعضاء حاسة العين. فالحواس لا تعطي سوى أجزاء معينة من المعلومات عن أشياء معينة مشروطة بظروف معينة ندركها.

من خلال التعبير عن المعلومات التي تم الحصول عليها من اقتراحات الناس التوصل إلى أحكام تعبر عن إستنتاجات من المقارنة وجمع العديد من البيانات الخاصة للتصور. "الخطوة الأولى في عملية المعرفة"، كما كتب ماو تسي تونغ، هي التواصل مع أمور العالم الخارجي، وهذا ينتمي إلى مرحلة الإدراك. والخطوة الثانية هي توليف بيانات الإدراك من خلال إجراء إعادة ترتيب أو إعادة بناء؛ وهذا ينتمي إلى مرحلة التصور والحكم والاستدلال."

على سبيل المثال، استنادا إلى العديد من التصورات عن أعضاء إننا نتوصل إلى إستنتاجات (تمثل جميعها عناصر أولية للمعرفة الاجتماعية) مثل "الكلاب تنبح"، و"الأبقار تعطي الحليب"، و"الماء يتحول إلى جليد في الطقس البارد"، وما إلى ذلك. وهذه الأحكام، كما عبر عنها ماو، هي "توليفة من بيانات الإدراك".

فتشكيل مثل هذه الأحكام على الأمور لا يعتمد على

ملاحظة واحدة من قبل شخص واحد، ولكن بناء على عدة ملاحظات أو عدة أشخاص. وكلما كانت الملاحظات أكثر تنوعا، كلما كانت الظروف والزوايا التي صنعت منها أكثر تنوعا، وكلما كانت التغيرات والعلاقات أكثر تنوعا للجسم الذي تغطيه يمكن للحكم أن يعكس بشكل شامل وأمين الخصائص الموضوعية، والعلاقات وأشكال الحركة للموضوع. فالملاحظة بحد ذاتها نشاط، لأننا يجب ان نربط أنفسنا بوعي بشيء إذا أردنا ان نلاحظه، ويجب ان ندخل انفسنا في علاقة أكثر تنوعا إذ نلاحظ مختلف اوجه الشيء، تغيراته المختلفة،

وهلم جرا وإذا أردنا ان نلاحظه بشكل اكمل. ولكن الملاحظة نفسها تنتقل مما يمكن ان يدعى الملاحظة السلبية إلى الملاحظة الفعالة، .والاخيرة هي ذات اهمية رئيسية لبناء معرفة أكمل للأمور

فالملاحظة في حد ذاتها لا تغير ما يلاحظ. ومن هذا المنطلق، فهو سلبي. فمراقب الطيور، مثلا، يحصل على المعرفة عن الطيور، لكنه لا يتدخل فيها بأية طريقة في تقديم ملاحظاته؛ وعلى العكس، في هذه الحالة يجب ان يكون حريصا جدا على عدم القيام بذلك. تظهر المراقبة الفعالة عندما نقوم نحن بأنفسنا، من خلال نشاطنا، بالمشاركة في جلب الأشياء التي نلاحظها إلى علاقات جديدة أو إحداث تغييرات مختلفة فيها، ومراقبة نتائج العلاقات أو التغييرات التي قمنا بها بأنفسنا تحت سيطرتنا.

على سبيل المثال، من اهم وسائل المراقبة الفعالة للامور قياسها. عملية القياس، أيا كان ما نقوم بقياسه، تتضمن إدخال شيء ما في علاقة مع شيء آخر وتلاحظ النتائج. وهناك طرق أخرى للمراقبة

النشطة، على سبيل المثال، لتفكيك شيء ما إلى أجزائه أو عناصره ثم إعادة تشكيله مرة أخرى، أو لإحداث تغييرات في خصائصه من خلال وكالة أشياء أخرى. وبوجه عام، وبتفصيل طرق المراقبة الفعالة المناسبة لمختلف الأشياء التي نريد أن نعرف عنها وما نريد أن نعرفه عنها، نحصل على الكثير من الملاحظات الهامة، التي تؤدي بنا إلى إستنتاجات حول خصائصها وعلاقاتها وتحركاتها وقوانين حركتها وأسبابها وآثارها وتركيبها وما إلى ذلك.

وبعد أن اكتسبنا، من خلال الملاحظات السلبية والإيجابية وترجمتها إلى أحكام، قدرا معينا من المعرفة المعبر عنها في الأحكام، يمكننا عندئذ أن نستفيد من هذه المعرفة من أجل الحصول على مزيد من المعرفة. لأنه سيقترح مجالات جديدة للاستكشاف وأساليب لإقامة علاقات جديدة مع الأشياء. المعرفة التي تم بناؤها بالفعل يستخدم لتوجيه المزيد من النشاط والحصول منه على المزيد من الملاحظات. وبهذه

الطريقة، يتم إختبار وتصويب المعرفة التي تم بناؤها بالفعل، وتستمر عملية تراكم المعرفة بأكملها.

عملية الانتقال من الملاحظة إلى الحكم، وثم من المراقبة الأكثر نشاطا وشمولية إلى الحكم الأكثر شمولا ، يأتي في المقام الأول بتصحيح للاستنتاجات الفورية على أساس عدم كفاية الملاحظة.

التجربة العادية تعلمنا بالفعل أن هناك فرق بين المظهر الأول للأشياء في الإدراك الحسي وواقعها. لأنه غالبا ما يحدث أن الأمور تبدو مختلفة عما كانت عليه في البداية، وهذا يظهر عمليا من خلال عدم تحقيق التوقعات المبنية على المظاهر الأولى. في عملية بناء المعرفة نحن دائما ننتقل من الاستنتاجات التي تعبر فقط عن الخصائص الظاهرية والعلاقات وحركة الأشياء إلى الاستنتاجات التي تقترب بشكل كامل من الأشياء كما هي في الواقع.

على سبيل المثال، عندما ننظر إلى الشمس تبدو نسبيا فقد استنتج الناس ولفترة طويلة انه صغير جدا. ولكننا علمنا ان الشمس في الواقع

كبيرة جدا. مرة أخرى، تبدو الشمس وكأنها تدور حول الارض ولفترة طويلة استنتج الناس انها تدور حول الارض. ولكننا أدركنا أن الأرض هي التي تدور حول الشمس.

في المقام الثاني، في عملية تكوين أحكام أكثر شمولا حول أشياء ننتقل من المعرفة المتجزأة لأشياء معينة، مع خصائصها وعلاقاتها وحركاتها الخاصة، إلى معرفة أكثر ترابطا بقوانين، وجودها، وتغييرها، وارتباطاتها.

المعرفة الأولى التي تعتمد على الملاحظات الأولى للأشياء هي معرفة عدد من الحقائق حول تلك الأشياء، ولكن ليس من قوانين وجودها والعلاقات المتشابكة بينها والتي تظهر وتحدد تلك الحقائق. وفي الوقت نفسه، فإننا إذ نقوم بتصحيح الاستنتاجات بناء على المظهر الأول للأشياء وتكوين الأحكام على خصائصها وعلاقاتها وتحركاتها الحقيقية التي تؤدي إلى المظاهر، فإننا أيضا نقوم بصياغة الأحكام على القوانين

العامة والترابط التي تشكل قاعدة أساسية لأي شكل من أشكال

التفاعلات التي تتجلى في الخصائص والتحركات والعلاقات المحددة

من الامور التي تظهر اولا للملاحظة.

على سبيل المثال، بعد أن أثبتت الحقائق الأساسية حول

النظام الشمسي الذي تدور حوله الكواكب التي تشكل الأرض واحدة م

نها حول الشمس نضع أيضا القوانين التي تتجلى في النظام وفي عمله ال

ذي يوجد وما يزال في الوجود.

نحن نعلم من التجربة المشتركة ان الماء يتحول .مرة أخرى.

إلى الجليد عندما يصبح باردا بما فيه الكفاية، ننتقل إلى تأسيس نتيج

ة لتوليف، والاستدلالات المستمدة من، العديد من الملاحظات الخاص

ة والأسباب لهذه الظاهرة، وهي، أنها ترجع إلى إعادة ترتيب الجزيئات ال

.ناتجة عن التغيرات في حركتها عندما تنخفض درجة الحرارة

وهكذا، في عملية الانتقال من الملاحظة إلى الحكم، ننجح أيضا في الانت

قال من الأحكام السطحية إلى الأحكام الأكثر عمقا من الأحكام التي بد

ساطة تحدد ما لاحظناه إلى الأحكام التي تذهب أبعد من ذلك، ونتوص

ل إلى إستنتاجات حول التركيب والتنظيم الداخلي للأشياء، حول أسبا

بها وآثارها، والتفاعلات، والترابط والتحركات، وقوانين الترابط والحرك

ة.

وهذا تغيير نوعي في مضمون الأحكام؛

الانتقال من الأحكام السطحية إلى أحكام ذات محتوى أكثر عمقا، وم

ن الأحكام المتعلقة بالأفكار الأولية إلى الأحكام المتعلقة بالأشياء التي يم

كن إدراكها مباشرة للحواس، إلى الأحكام المتعلقة بالأفكار المجردة، الت

ي تحدد الأسباب والأسباب والتفسيرات والعواقب وقوانين الأشياء الت

ي نراها.

من المعرفة الإدراكية إلى المعرفة العقلانية

ونستطيع أن نستنتج أن المعرفة بشكل عام لا تتحقق إلا بالانتقال من

الفهم إلى الحكم، وأن عملية تطوير المعرفة المعبر عنها في الأحكام، من

تمديدها وتعميقها تمر عبر نوعين

مراحل متميزة-أولا، السطحية والمجزأة

معرفة الأشياء المستمدة مباشرة من تصوراتها وثانيا، معرفة

خصائصها الأساسية، وقوانينها

في المرحلة الأولى، أحكامنا تعبر عن مجرد " الجوانب من الأشياء

,العلاقات الخارجية بين هذه الأشياء". في المرحلة الثانية، نصل إلى

الأحكام التي " لا تعد تمثل مظاهر الأشياء، منفصلة عن الجوانب، أو

علاقاتهم الخارجية، لكن احتضان جوهرها، مجملها وعلاقاتها

الداخلية".

الانتقال من المرحلة الأولى إلى المرحلة الثانية ف، في المقام الأول،

الملاحظة النشطة. بدون نشاط الملاحظة، والبيانات التي وجدت أكثر

عمقا وستكون الأحكام الشاملة غير موجودة، وأي أحكام التي يمكن

أن تكون مضاربة أو وهمية فقط.

المقام الثاني، فإنه ينطوي على عملية الفكر الناشئ عن الملاحظة-

عملية غربلة و مقارنة الملاحظات والتعميم وتشكيل أفكار مجردة، من

التفكير واستخلاص النتائج من هذا التعميم والتجريد. بعد التوصل الى نتيجة، يجب فحصها مرة أخرى مع الملاحظة النشطة،

من أجل التأكد من أنها تتفق معها وأن ملخص التعميمات التي توصل إليها الفكر تعبر عن الحقائق الواردة في التصور. مرور من المرحلة الأولى إلى الثانية.

وبالتالي فإن المرحلة الثانية تنطوي على مرور من الأحكام التي تعبر مباشرة عن بيانات الإدراك، إلى الأحكام المشتقة من بيانات الإدراك من خلال إجراءات التجريد والتعميم.

من الحكم أن الشمس حارة إلى الحكم على أن درجة حرارة سطحها حوالي 6000 درجة.

الحكم بأن الشمس حارة يعبر بشكل مباشر عن إحدى الطرق التي تؤثر بها الشمس على حواسنا. لكن الحكم على درجة حرارته يتضمن، أولا، أننا شكلنا الفكرة المجردة لدرجة الحرارة وثانيا، أنه بمساعدة هذه الفكرة وصلنا إلى خلافات حول درجة حرارة الشمس من خلال

عملية معقدة من الملاحظة النشطة والاستدلال على أساس ذلك.

ونتيجة لذلك ننتقل من حكم يعبر فقط عن ملاحظات معينة حول الشمس، إلى حكم يعبر عن حالته الداخلية.

مرة أخرى، لنفترض أننا نفكر في تنظيم الدولة ونشوئها لبلد معين، لبريطانيا العظمى مثلا. الخدمات الأولى التي قد يتم إجراؤها بحقائق معينة مثل أن العاصمة هي لندن، وأن القوانين يتم وضعها من قبل أشخاص يجلسون في مجلسين في البرلمان ، وأن هذه القوانين موقعة من قبل الملكة ويتم تنفيذها من قبل رجال الشرطة، وما إلى ذلك. فالكثيرون الذين يتوقون إلى طابع الديمقراطية البرلمانية البريطانية لا يتجاوزون أبدا صياغة الأحكام التي تلخص مثل هذه الملاحظات، مما يعني أنهم لا يذهبون إلى أبعد من المرحلة الأولى من المعرفة. ومع ذلك، إذا تم التحقيق ، وإذا تم النظر في الدولة في تطورها التاريخي على أساس التطور الكامل للهيكل الاقتصادي للمجتمع ، وإذا تم استخلاص استنتاجات منطقية من هذا في الاستفسار ، فسنصل إلى

الحكم بأن الدولة البريطانية الاسمية هي جهاز حكم الطبقة الرأسمالية البريطانية. هذا هو دفع المعرفة بالدولة إلى المرحلة الثانية، والتي لا تشمل فقط عددا من الحقائق المرصودة عنها، ولكن طبيعتها الأساسية.

في عمله على نظرية المعرفة، اطلق ماو تسي تونغ على المرحلة الأولى من المعرفة "المعرفة الإدراكية", لأنها تقتصر على تلخيص الملاحظات، والمرحلة الثانية" المعرفة العقلانية "، أو" المعرفة المنطقية " ، تكون سببا في الوصول إليها من خلال عملية التجريد والتفكير التي تستخدم قوانين المنطق.

وكتب أن" سبب اختلاف المعرفة المنطقية عن المعرفة الإدراكية " هو أن المعرفة الإدراكية تتعلق بالجوانب المنفصلة للأشياء، والمظاهر ، والعلاقات الخارجية للأشياء; في حين أن المعرفة المنطقية تأخذ خطوة كبيرة إلى الأمام للوصول إلى الكمال والجوهر والعلاقات الداخلية للأشياء ، وتكشف عن التناقضات الداخلية للعالم المحيط ، وبالتالي

فهي قادرة على استيعاب تطور العالم المحيط في علاقاته الداخلية بين جميع جوانبه. نفى العديد من الفلاسفة (أولئك الذين ينتمون إلى ما يسمى بالمدارس "الوضعية") أن المعرفة تتطور من خلال مرحلتين من هذا القبيل. وفقا لهم، أولا نحن الحصول على مختلف "البيانات تحسس" ، ومن ثم نقارن وتتصل

هذه البيانات من أجل صياغة الأحكام أو المقترحات وتلخيص الملاحظات. وبالنسبة لهم ، هذه هي عملية المعرفة بأكملها. ومن ثم ، بالنسبة لهم ، تقتصر المعرفة تماما على "الجوانب المنفصلة للأشياء ، والمظاهر ، والعلاقات الخارجية للأشياء" ، ومن الوهم أن نفترض أنه يمكن أن يكون هناك أي معرفة أكثر عمقا للأشياء من جوهرها بدلا .من مظهرها لنا ، من خصائصها الأساسية ، والترابط والقوانين

على عكس هذا النوع التجريبي أو الوضعي من الفلسفة ، تتتبع الماركسية نمو المعرفة من مرحلة أدنى إلى مرحلة أعلى. بادئ ذي بدء ، في الحصول على المعلومات من خلال الحواس ننتقل من الأحاسيس

إلى التصورات ، أي من إشارات منفصلة من الحواس المختلفة لتنسيق إشارات في التصورات ، وبعد ذلك ، في تطوير لدينا المعرفة المعبر عنها في الأفكار والأحكام ، ننتقل من المعرفة الإدراكية للمظاهر والعلاقات الخارجية للأشياء إلى المعرفة العقلانية لخصائصها الأساسية والعلاقات الداخلية.

المظهر والجوهر

بالانتقال من الأفكار الأولية إلى الأفكار المجردة، من الأحكام السطحية إلى الأحكام الأكثر عمقا، من الإدراك الحسي إلى العقلاني المعرفة، يتم مرور من ظهور الأشياء إلى جوهرها. عند النظر في المعرفة، يجب دائما التمييز بين المظهر والجوهر بين الظواهر الخاصة التي تظهر على الفور للملاحظة والخصائص الأساسية والترابطات والقوانين التي تتجلى في المظاهر وتحت الحقائق المرصودة. إن مهمة معرفة الأشياء هي دائما التقدم من المظهر إلى الجوهر، وذلك لفهم طبيعتها الجوهرية التي تتجلى في وجودها الخاص وطريقة ظهورها ،

لفهم ترابطها وقوانينها الأساسية. وهكذا شدد ماركس على أن مهمة العلم هي دائما الانطلاق من المعرفة الفورية للمظاهر إلى اكتشاف الجوهر، والروابط والقوانين الأساسية، الكامنة وراء المظاهر، وبالتالي أخيرا للوصول إلى فهم مضغوط للمظاهر. كتب أن التحقيق " يجب أن يلائم المادة بالتفصيل، لتحليل أشكالها المختلفة من التطور، لتتبع روابطها الداخلية. فقط بعد الانتهاء من هذا العمل يمكن وصف الحركة الفعلية بشكل مناسب. إذا تم ذلك بنجاح... تنعكس حياة الموضوع بشكل مثالي كما في المرآة."

لذلك شدد ماركس على أن معرفة الشخصية الأساسية ويجب دائما اشتقاق قوانين أي موضوع من تحليل مفصل لجميع الحقائق ذات الصلة، ويجب أن يعمل بدوره على شرحها-لإثبات صلاتها الداخلية وحركتها الفعلية.

يقدم عمله الخاص في العلوم الاجتماعية أمثلة على هذه النقطة.

وهكذا أشار ماركس في راس المال إلى أنه في حين ان "الاقتصاديون

المبتذلون" تعاملوا فقط مع المظاهر السطحية للاقتصاد الرأسمالي ، ويسعى الاقتصاد السياسي العلمي إلى تغطية علاقات الإنتاج الحقيقية الكامنة وراء مظاهر الظهور ، وعلى هذا الأساس شرح المظاهر. إذا كانت الروابط الأساسية الموجودة تحت الكذب واضحة على السطح للملاحظة السطحية، فلن تكون هناك حاجة إلى تحقيق عميق من الفراء. ولكن جوهر الأشياء بدا واضحا على السطح، ويمكن اكتشافها إلا من خلال التحليل العلمي المضني.

طريقة تفكير الاقتصاديين المبتذلين" ، كتب ماركس ، " مستمد من " حقيقة أنه دائما ما يكون الشكل المباشر الذي تظهر فيه العلاقات هو الذي ينعكس في الدماغ ، وليس روابطها الداخلية. إذا كان هذا الأخير هو الحال، علاوة على ذلك، ماذا ستكون الحاجة إلى العلم على الإطلاق؟"

وشرح منهجه الخاص في التحليل العلمي لاقتصاد رأس المال، وأشار إلى أنه في نهاية الأمر ،" لقد عثرنا على أشكال المظهر التي تشكل نقطة

انطلاق المبتذلة: إيجار الأرض القادم من الأرض ، والربح (الفائدة) من رأس المال ، والأجور من العمل. ولكن من وجهة نظرنا، ينظر إلى الشيء الآن بشكل مختلف. يتم شرح الحركة الظاهرة." يتضح من هذا، بالمناسبة، أن الفلسفة الوضعية، التي تقصر المعرفة بالكامل على التعامل مع المظاهر السطحية، كانت متوافقة تماما مع إجراءات "الاقتصاديين المبتذلين" الذين انتقدهم ماركس، وكانت إجراءاتهم متوافقة تماما معها. هذه الفلسفة، في الواقع، هي أنسب فلسفة للمدافعين عن الرأسمالية، الذين تعتمد نظرتهم الكاملة على عدم النظر أبدا تحت سطح الحياة الاجتماعية.

كمثال حي على أهمية الحكم على الأشياء، وليس من المظاهر السطحية، ولكن من وجهة نظر علاقاتهم الداخلية واتصالاتهم، يمكننا أن نأخذ حالة الأجور. إذا حكمنا فقط من المظاهر الخارجية، فإن الأجور هي ببساطة دفع مقابل العمل. رجل يعمل ساعات طويلة ويدفع الكثير في الساعة. في هذه الحالة، لا يمكننا أن نفرق بين

الأجور، على سبيل المثال، في المجتمع الرأسمالي وفي المجتمع الاشتراكي. سواء كان يعمل في مصنع رأسمالي أو اشتراكي، فإن الشخص يعمل لساعات طويلة ويحصل على أجر كبير. ما هو الفرق؟ الفرق هو أن الشكل الخارجي للأجور يعبر عن علاقات اجتماعية مختلفة. في مجتمع رأسمالي، الأجور هي ثمن قوة عمل العامل، التي باعها للرأسمالي. في المجتمع الاشتراكي، فالأجور لم تعد ثمن قوة العمل، لأن الأمر الواقع يعود إلى الشعب العامل، الذي لا يبيع قوة عمله لنفسه. تعبر الأجور الآن عن تخصيص حصة محددة من القيم التي أنتجها للعامل في العمل الذي ساهم به. لذلك بينما في المجتمع الرأسمالي، لا يستطيع العمال الحفاظ على أجورهم أو رفعها إلا من خلال محاربة الطبقة الرأسمالية والتهديد بالإضراب، في المجتمع الاجتماعي، يرفعون معاييرهم باستمرار عن طريق زيادة الإنتاج. وبعبارة أخرى، فإن القوانين التي تحدد الأجور تختلف تماما في المجتمع الاشتراكي عن المجتمع الرأسمالي. ولكن لا يمكن فهم سبب اختلافها إلا عندما

نتخلف عن مظاهر الأشياء ونسعى لاكتشاف العلاقات والروابط

الداخلية التي تحدد المظاهر.

النظرية الثورية والممارسة الثورية

إن الانتقال من حكم سطحي إلى حكم عميق حول الأشياء، ومن

مظهرها إلى جوهرها، هو، كما قلنا ، الانتقال من مرحلة معرفة

.الأشياء إلى أخرى

مثل هذا التغيير النوعي في المعرفة هو أيضا كقاعدة تغيير ثوري. إنه

ثوري لأنه يحدث تغييرا جذريا فيما يمكننا القيام به. عندما تسترشد

الممارسة فقط بما تعلمناه فيما يتعلق بالمظهر الخارجي للأشياء، فإنها

تفتقر إلى قوة إحداث تغييرات عميقة عن علم في تلك الأشياء، أو

استخدامها على نطاق واسع في أوضاع بور بعيدة المدى. على العكس

من ذلك، عندما نعرف الأشياء فقط من خلال مظاهرها، يتعين علينا

عموما في الممارسة العملية انتظار ما يحدث ، لتكييف أنفسنا مع

الأشياء—غالبا ما تكون سيئة وتعاني من المفاجآت والنكسات والمصائب بدلا من إتقانها وتكييفها مع أغراض خاصة بنا.

ولكن عندما نبدأ في فهم جوهر شيء ما، إذن يمكننا التعامل معها بشكل أكثر فعالية، والتحقيق في التغييرات في ذلك والاستفادة منه لأغراضنا الخاصة.

على سبيل المثال، حتى العصر الحديث، لم يكن لدى الناس سوى معرفة سطحية بالعمليات الكيميائية، وبالتالي لا يمكن أن يكون هناك سوى القليل من الاستخدام المخطط لهذه العمليات في الإنتاج.

لكن الكيمياء الحديثة تمكننا من تكسير المواد وأعادتها إلى الوجود مرة أخرى من مكوناتها، لذلك أن العديد من المواد يمكن أن تكون مصنوعة من الأساليب الاصطناعية، مع خصائص معينة لتناسب متطلباتنا الخاصة. يمكننا تقسيم الذرات، قسم عنصرا واحدا إلى عناصر أخرى واستخدم الطاقة التي يتم إنتاجها في هذه العملية، وحتى إنشاء مواد جديدة من صنع الإنسان، مثل البلوتونيوم.

مرة أخرى، الاشتراكيون الطوباويون والطبقة العاملة القديمة حركة لا يمكن أن تغير المجتمع بشكل فعال. لكن الماركسية هي النظرية، التي تخترق جوهر العمليات الاجتماعية، مكنت حركة الطبقة العاملة بشكل كامل من تغيير المجتمع في بعض البلدان والبدء في بناء الاشتراكية.

سواء أخذنا في الاعتبار معرفة الطبيعة أو المجتمع، عندما يتم رفع المعرفة إلى معرفة معنى موضوع ما، فإن هذا كان تطورا ثوريا، ثورة في ما يمكن أن يفعله الناس.

مثل هذا التقدم العميق في المعرفة سواء كان لديهم ام لا تم ربطه بوعي بالممارسة من عدمه من قبل أولئك الذين لعبوا الجزء النظري الرئيسي في تطويرها في المساعي الثورية في الممارسة الاجتماعية. عندما يسعى الناس إلى القيام بشيء جديد من أجل زيادة سلطاتهم وتحسين ظروفهم، فإنهم يختبرون ضرورة رفع معرفتهم إلى معرفة جوهر موضوع ما. لا يمكن أن تكون هناك ممارسة ثورية بدون معرفة، لأنها

بدون حافة المعرفة تفتقر إلى الاتجاه ولا يمكنها تحقيق هدفها. قفزة ل

ومن هنا فإن مهمة رفع المعرفة إلى مستوى حافة المعرفة لجوهر

الأشياء هي مهمة إحداث ثورة في الممارسة البشرية، في قدرة الإنسان

على إتقان الطبيعة وتغييرها، لتوجيه حياته وتغييرها. مهمة المعرفة هي

" البدء من المعرفة الإدراكية وتطويرها بنشاط إلى معرفة عقلانية،

وبعد ذلك، بدءا من المعرفة الداخلية، قم بتوجيه الممارسة الثورية

"بنشاط من أجل إعادة تشكيل العالم الذاتي والموضوعي.

الأشياء في حد ذاتها ويترتب على هذا التحليل لنمو المعرفة أنه، في

جميع مراحله، هو نمو الانعكاس الموضوعي في الوعي البشري للعالم

الحقيقي الموضوعي.

وقد أكد العديد من الفلاسفة أن معرفتنا تقتصر على مظاهر الأشياء

في أذهاننا، وأن "الأشياء في حد ذاتها"، الأشياء كما هي حقا" في حد

ذاتها " وبشكل مستقل عن كيفية ظهورها لنا، الطبيعة الأساسية

للأشياء، يجب أن تكون غير معروفة. وفقا لهؤلاء الفلاسفة، هناك

فجوة غير سالكة بين بيانات المعنى المعطاة في وعينا من ناحية والأشياء الموجودة بشكل مستقل عن وعينا، والأشياء في حد ذاتها، من ناحية أخرى. ولا ينكر الكثيرون أنه يمكننا معرفة الأشياء في حد ذاتها فحسب، بل ينكرون أيضا وجود مثل هذه الأشياء على الإطلاق.

وحتى الآن بالفعل في الأحكام مباشرة على أساس التصور نحن اكتساب المعرفة من الأشياء في حد ذاتها وليس في المركز الأول معرفة كاملة أو عميقة، ولكن المعرفة في أقل من مختلف الجوانب المنفصلة والعلاقات الخارجية أشياء. نكتسب هذه المعرفة على وجه التحديد عن طريق بيانات المعنى. وعندما نتوصل من خلال مزيد من التحقيق والاستدلال إلى استنتاجات حول الخصائص الأساسية والعلاقات وقوانين حركة الأشياء، فإننا نكتسب معرفة أعمق بالأشياء نفسها في حد ذاتها التي كنا نعرفها من قبل بشكل سطحي فقط.

إذن، لا توجد فجوة بين الأشياء في حد ذاتها وظهورها أو "ظواهرها". نحن نعرف الأشياء في ذاتها على وجه التحديد عن طريق ظهورهم لنا،

وكلما درسنا المظاهر كلما تمكنا من معرفة المزيد عن الأشياء في حد ذاتها. ولا يوجد أي فجوة بين مظاهر الأشياء وجوهرها، حيث أن الظهور هو مظهر من مظاهر الجوهر، ونحن لا نعرف الجوهر بشكل منفصل عن المظهر ولكن فقط من خلاله. كتب إنجلز:" إذا كنت تعرف كل صفات الشيء، فأنت تعرف الشيء نفسه". نحن نعرف الأشياء في حد ذاتها من خلال الممارسة والدراسة. من خلال معرفة ما يمكننا فعله بالأشياء، ومن خلال دراسة المظاهر المختلفة لجوانبها المختلفة في العديد من الظروف، نكتسب المزيد والمزيد من المعرفة بالأشياء نفسها.

ومن ثم فإن كل معرفتنا هي معرفة الأشياء في ذواتهم، والتي توجد بالتأكيد وهي معروفة بالتأكيد. "المادي يؤكد وجود ومعرفة الأشياء في حد ذاتها".

أولا نحن نعرف الأشياء في حد ذاتها بشكل سطحي من خلال الإدراك، ثم أكثر عمقا وفهما من خلال الفكر الذي يعمل مع بيانات الإدراك.

هناك، ويمكن أن يكون، لا فرق بين الأشياء المعروفة لنا والأشياء في

حد ذاتها. والفرق الوحيد هو بين ماهو معروف وما لم يعرف بعد،

وبين ماهو معروف فقط بشكل سطحي في بعض جوانبه وما هو

معروف أكثر شمولا.

المعرفة محدودة وغير محدودة على حد سواء، ثم, ماهي حدود المعرفة

البشرية, أو ليس لها حدود؟

في أي مرحلة معينة من مراحل تطور البشرية تأتي المعرفة في مواجهة

الحدود التي يضعها الطابع المطلوب بالضرورة للتجربة المتاحة

والوسائل الحالية للحصول على المعرفة.

لكن الإنسانية تتقدم على وجه التحديد من خلال التغلب على مثل

;هذه العوائق. تجربة جديدة يلقي أسفل حدود التجربة القديمة

تقنيات جديدة، وسائل جديدة للحصول على المعرفة والتخلي عن

عيوب التقنيات القديمة والوسائل القديمة للحصول على

المعرفة.

ثم تظهر عوائق جديدة مرة أخرى. ولكن ليس هناك أكثر من ذلك لنفترض أن هذه العوائق الجديدة مطلقة ونهائية او لنفترض أن الحدود القديمة مطلقة ونهائية. في كل مرحلة هناك أناس يعتقدون أن الحد الاقصى تم بلوغه ولا مزيد لاكتشافه. ولكن هناك دائما، عاجلا ام اجلا الأشخاص الآخرين الذين يرمون تلك العوائق المفترضة بجرأة ويقدمون أبعد منها ويبلغون افق جديدة.

لذلك المعرفة محدودة دائما، وهي في نفس الوقت غير محدودة.

على سبيل المثال، كان من المستحيل على الناس في المجتمع الإقطاعي معرفة أي شيء عن المجتمع الاشتراكي وقوانينه، لتشكيل فكر حول الاشتراكية والانتقال من الاشتراكية إلى الشيوعية. أصبح هذا ممكنا فقط مع تطور المجتمع الرأسمالي؛ عندها فقط أصبحت الوسائل متاحة لتشكيل مفهوم علمي للاشتراكية. وبالمثل، من المستحيل بالنسبة لنا اليوم أن نعرف كيف سيتطور مجتمع اشتراكي بالكامل،

بعد تأسيسه؛ ولكن في الوقت المناسب سيكون الناس قادرين على .التأكد من حقيقة هذا التطور الإضافي وقوانينه

مرة أخرى، كان من المستحيل اكتساب المعرفة بالذرة وهيكلها قبل اختراع التقنيات الحديثة للإلكترونيات. اليوم مع هذه التقنيات، تجاوزنا ما كان يعتقد في السابق أنه حدود كل المعرفة المادية الممكنة. ومع ذلك، تتضمن هذه التقنيات نفسها حدودها الخاصة للمعرفة الفيزيائية—بحيث يؤكد بعض الفيزيائيين الآن استحالة معرفة أي شيء، على سبيل المثال، عن بنية الإلكترون. ولكن سيكون من الدوغماتية التأكيد على أن هذه الحدود مطلقة أكثر مما كانت عليه الحدود التي كان يعتبر من المستحيل التغلب عليها من التقنيات الأخرى في الماضي. كتب لينين:" بينما لم يتجاوز عمق هذه المعرفة بالأمس الذرة، واليوم لا يتجاوز الإلكترون "...تصر المادية الجدلية على الطابع المؤقت والنسبي والتقريبي لكل هذه المعالم في معرفة

الطبيعة التي اكتسبها علم الإنسان المتقدم. الإلكترون لا ينضب مثل

"....الذرة، والطبيعة لانهائية

في كل مرحلة وفي جميع الظروف، تكون المعرفة غير مكتملة ومؤقتة ، مشروطة ومحدودة بالظروف التاريخية التي تم الحصول عليها في ظلها ، بما في ذلك الوسائل والأساليب المستخدمة في اكتسابها والافتراضات والفئات المشروطة تاريخيا المستخدمة في صيغة الأفكار والاستنتاجات.

لكن هذا التطور للمعرفة، الذي تتمتع كل مرحلة منه بطابع مشروط ، هو تطور للمعرفة بالعالم المادي الحقيقي ، واكتشاف الترابط وقوانين حركة العمليات المادية الحقيقية ، بما في ذلك المجتمع البشري والوعي البشري.

تقدم المعرفة يأتي دائما ضد الحواجز التي تنشأ من القيود المفروضة على المعرفة القائمة والممارسة القائمة. لكن لا توجد حواجز غير سالكة. بينما يواجه تقدم المعرفة دائما حواجز أمام المزيد من

الإعلانات، وتتقدم المعرفة بدقة من خلال إيجاد كيفية التغلب عليها.

لا توجد حدود للمعرفة، ولا أشياء غير معروفة، ولا سر أو سر للكون، ولا شيء لا يمكن معرفته وتفسيره مبدأيا.

الفصل الثالث عشر

الضرورة والحرية

تكشف المعرفة العقلانية عن ضرورة الأشياء، وفي نفس الوقت يتم

تحقيق الضرورة دائما من خلال الصدفة. من خلال اكتساب المعرفة

نكتسب الحرية التي تتمثل في السيطرة على أنفسنا وعلى الطبيعة الخارجية القائمة على معرفة الضرورة. نحن أحرار عندما نقرر على أساس المعرفة ما يجب القيام به ونمارس سيطرة واعية على العوامل التي تؤثر على تحقيق هدفنا.

الضرورة والحوادث

عندما تتقدم المعرفة إلى مرحلة المعرفة العقلانية التي تدرك جوهر الأشياء وروابطها الداخلية، نبدأ في فهم جانب الضرورة الذي يتوق إلى ظواهر الطبيعة والمجتمع.

نحن نسمي ذلك ضروريا من طبيعة القضية لا يمكن أن يكون خلاف ذلك. عندما تكون الطبيعة الأساسية لشيء ما هي بحيث لا بد أن تظهر خصائص معينة وليس اخرى ، وتطوير بطريقة معينة, ثم تلك الخصائص و التطور يفهمان كضرورة.

ويرتبط مفهوم الضرورة مع كل ما هو ضروري. بشكل عام، بقدر ما نكتسب المعرفة بالخصائص الأساسية والصلات الداخلية وقوانين

تطور الأشياء، فنحن قادرون ليس فقط على تحديد ماهية الحقائق، ولكن على شرحها، وفهم أسبابها، وفهم ضرورتها.

في مجال العلوم الطبيعية، على سبيل المثال، كشفت اكتشافات نيوتن بشأن مبادئ الميكانيكا ضرورة العديد من ظواهر الطبيعة. وهكذا من بين أمور أخرى أظهرت مبادئ نيوتن ضرورة بعض ملامح النظام الشمسي الذي الأرض جزء منه. إنها حقيقة، على سبيل المثال، أن الكواكب تتحرك حول الشمس في مدارات لولبية. تم تأسيس هذه الحقيقة من قبل كبلر. لكن جوهر قانون كبلر لحركة الكواكب أظهره نيوتن، الذي أظهر تحليله لميكانيكا النظام الشمسي أنه من طبيعة القوى المؤثرة في مثل هذا النظام، كانت الكواكب ملزمة بالتحرك في مدارات إهليلجية، وليس في دوائر أو أي نوع آخر من المدارات.

وبالتالي، فإن الطابع العام للنظام الشمسي ليس عرضيا - بل هو نتيجة ضرورية للطبيعة الأساسية لهذا النظام، وللاتصال الداخلي به ولقوانين التطور. مرة أخرى، لنأخذ مثال من الحياة الاجتماعية، انها

حقيقة ان الشرطة البريطانية تنحاز دائما في النزاعات بين العمال ورأس المال إلى جانب ارباب العمل. ومن وجهة نظر الملاحظة السطحية، فإن هذه مجرد حقيقة. إلا أن هذا ليس بالمصادفة. فبمجرد إدراكنا للطبيعة الأساسية للدولة البريطانية المعاصرة كدولة رأسمالية، نستطيع أن نفهم ان مساعدة الشرطة لأرباب العمل ليس مجرد صدفة، بل نتيجة ضرورية للنظام الرأسمالي.

لا يعني أن كل شيء يفهم على أنه ضروري، على سبيل المثال، الشرطة في دولة رأسمالية بالضرورة في خدمة الطبقة الرأسمالية. لكنهم لا يرتدون بالضرورة الزي الأزرق. على العكس، يمكن ان يخدموا الرأسماليين أيضا في زي ذي لون آخر؛ ولذلك فإن واقع إرتداء الشرطة البريطانية لباس أزرق هو حادث — وذلك بسبب ظروف عرضية وغير ضرورية.

وبالمثل، في حين أن تحرك الارض حول الشمس في مدار إهليلجي ميزة ضرورية للمجموعة الشمسية، ليست ميزة ضرورية أن حجم الأرض ثابت، بل يرجع إلى ظروف عرضية وغير ضرورية.

من وجهة نظر الملاحظة السطحية، يبدو كل شيء عرضيا. فنحن ببساطة نواجه حقائق ملحوظة واتصالات خارجية. بما أننا لم نستوعب بعد قوانين التغيير والترابط التي تحكم وتتجلى في الأشياء التي نلاحظها، فإن كل حقيقة نلاحظها يتم إدراكها ببساطة كحقيقة يمكن أن تكون غير ذلك.

لكن تحقيقًا أكثر عمقًا يكشف أنه «حيثما يكون للحادث السطحي نفوذ، فإنه في الواقع محكوم دائمًا بقوانين داخلية خفية ولا يتعلق الأمر إلا باكتشاف هذه القوانين.

ومع ذلك، فإن اكتشافها لا يقضي على مفهوم الحادث. بل يكشف أن السمات الضرورية للأشياء تتجلى من خلال سلسلة من الحوادث، وأن الحادث، من ناحية أخرى، محكوم دائمًا بالأساسي.

وبالتالي، من الضروري تاريخياً أن تحل الاشتراكية محل الرأسمالية في تطور المجتمع. بالضبط متى وكيف تحدث هذه الثورة تنطوي على سلسلة من الظروف العرضية، لكن تطور هذه الظروف، بدوره، تحكمه ضرورة تاريخية.

وبالمثل، فإن تطور المادة يتبع بالضرورة مسارًا معينًا، على الرغم من أن متى وكيف يتم تحقيق مراحل التطور المختلفة في نظام مادي معين، أو ما إذا كانت في حالات معينة يتم تحقيقها على الإطلاق، يعتمد على ظروف عرضية وغير ضرورية.

لذلك، فالتعامل مع العلاقة بين الحوادث والاساسات في الطبيعة، كتب إنجلز أن النظام الشمسي "تم إنتاجه بطريقة طبيعية من خلال تحولات الحركة التي هي بطبيعتها متأصلة في المادة المتحركة، والشروط التي يجب بالتالي استنساخها بالمادة، حتى ولو بعد ملايين وملايين السنين أو أكثر عن طريق الصدفة، ولكن بالضرورة الملازمة للصدفة أيضاً.

وفهم ظهور الوعي، باعتباره أعلى شكل من أشكال حركة المادة، بنفس الطريقة. "من طبيعة المادة اي التقدم نحو تطور الكائنات الفكرية؛ ومن ثم أيضا، فإن هذا يحدث دائما بالضرورة حيثما توجد الظروف اللازمة لذلك (وليس بالضرورة أن تكون متطابقة في جميع الأماكن والأوقات).

لذلك خلص إنجلز إلى أن "ما يعتبر ضروريًا يتكون من حوادث محضة، وما يسمى عرضي هو الشكل الذي تختبئ وراءه الضرورة " نفسها.

فإن الحادث هو الذي يمكن أن يكون مختلفا. كلا الجانبين موجودان دائمًا في كل شيء. وبوجه عام، فإن الخصائص العامة للأحداث والطابع العام لنتائجها هي التي تعتبر ضرورية. من ناحية أخرى، فإن التفاصيل والسمات الخاصة للأحداث الفردية وما يترتب عليها من سمات مفصلة وخاصة لنتائجها ليست ضرورية، ولكنها عرضية. وبهذا المعنى فإن «ما هو ضروري يتكون من حوادث». في التفاصيل العرضية

على وجه التحديد، تتجلى العناصر الضرورية بطبيعتها، وهي عرضية في حد ذاتها، يتم تشكيلها وفقًا لما هو ضروري. الضرورة والحوادث والسببية ترتبط باكتشاف الضرورة في الطبيعة والمجتمع وباكتشاف الأسباب والقوانين التي تحكم العلاقة بين الأسباب والآثار. ما هو ضروري ضروري بسبب الأسباب. إذا كانت هناك أشياء ظهرت إلى الوجود دون أي أسباب، وإذا كانت هناك أحداث وقعت بشكل عشوائي تمامًا ودون تنظيم بموجب قوانين سببية، فلن تكون هناك ضرورة يمكن اكتشافها في مثل هذه الأشياء والأحداث.

لذلك إذا كانت خاصية معينة هي خاصية ضرورية لأحداث معينة، وإذا كانت نتيجة معينة هي نتيجتها الضرورية، فهذا يترتب على طبيعة العمليات السببية التي تعمل في هذه الأحداث. لفهم الضرورة الكامنة في الأحداث هو الوصول إلى معرفة عميقة بالعمليات السببية المؤثرة فيها.

على سبيل المثال، إذا كانت الاشتراكية ستحل محل الرأسمالية بالضرورة، فذلك لأن أسباب الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية تتولد داخل النظام الرأسمالي، ولا شيء يمكن أن يمنعها من دلك. إذا كنا نعرف بعمق طبيعة الرأسمالية، فنحن نعلم أن مثل هذه الأسباب موجودة ولا يمكن إلا أن تكون موجودة وتستمر في العمل في مثل هذا النظام وفي الوقت نفسه، تمكننا معرفة الأسباب أيضًا من فهم السمات العرضية للأشياء.

على سبيل المثال، تظهر أسباب الاشتراكية وتتطور داخل الرأسمالية، وبالتالي من المعروف أن نتيجة الاشتراكية ضرورية. لكن السمات الخاصة لهذه الأسباب عرضية. ليس هناك ضرورة بشأنها. لذلك من الضروري أن تزيد الطبقة العاملة في الأعداد والتنظيم مع تطور الرأسمالية؛ لا بد أن يحدث هذا، وهو أحد الأسباب التي تجعل الرأسمالية تنتج ظروف الاشتراكية. ولكن في حين أن التطور المستمر للرأسمالية يعني بالضرورة أنه سيكون هناك المزيد من العمال وأنهم

سيتنظمون ويطيحون بالنظام في النهاية، إلا أنه لا يعني بالضرورة، على سبيل المثال، أن السيد جونز والسيد سميث سينضمان إلى منظمة معينة ويلعبان دور بارز كقادة للحركة. لا بد أن يكون هناك قادة، ولكن ما إذا كان طفل معين من آباء معينين سيصبح قائدًا يعتمد على العديد من العوامل العرضية. ومع ذلك، فإن مثل هذه العوامل العرضية، في المجموع وعلى المدى الطويل، لا بد أن تكون نتيجة ظهور القادة.

وبالتالي فإنه حسب السببية هناك ضرورة وحادثًا في العالم، وأن الضرورة تتجلى من خلال العارض.

ويترتب على ذلك أنه من الخطأ التأكيد، كما أشرنا في كثير من الأحيان، على أنه عندما يتم تحديد سبب لأي شيء، فقد ثبت بالتالي أن هذا الشيء ضروري. من الخطأ أيضًا تعريف العارض على أنه ما يحدث بدون سبب. جميع الأحداث لها أسباب وأحداث وحوادث ضرورية على حد سواء. مجرد تتبع شيء ما إلى أسبابه البعيدة لا يعني

إثبات ضرورته، لأن الحادث يعمل طوال سلسلة الأحداث. إذا كان هناك شيء ضروري، فهذا ليس نتيجة لأسباب معينة، ولكن لقوانين عامة.

إن العلاقة بين الحوادث والضرورة يتم فهمها في الأحداث، إذن، نتيجة لتقدم المعرفة من الخارج إلى الروابط الداخلية للأشياء، من المظهر إلى الجوهر، من الملاحظة السطحية وترابط الحقائق إلى التحقيق في الجدلية الحقيقية للتطور. ثم نرى أن العواقب الضرورية للطبيعة الأساسية للأشياء تتجلى من خلال سلسلة من الظروف العرضية، وأن الأحداث العرضية مشروطة وتحكمها ضرورة داخلية وتسهم في تحقيق نتيجة ضرورية.

الضرورة والحرية في الممارسة الإنسانية

لقد نظرنا في العلاقة بين الضرورة والحادث وكيف ينشأ كلاهما من السببية في الطبيعة والمجتمع. الآن سننظر في تأثير هذه الاستنتاجات على الحياة العملية.

عندما نقوم بأنشطة عملية، هل لدينا أي حرية فيما نقوم به أم أن كل ذلك يتم تحديده بالضرورة بشكل مستقل عن إرادتنا؟ هذا هو السؤال الذي يجب أن نجيب عليه الآن. وكما يُعتقد أحيانًا أن الضرورة والحادث متضادان، بحيث عندما يكون أحدهما موجودًا، يجب أن يكون الآخر غائبًا، لذلك غالبًا ما يتم التفكير في نفس الشيء حول الضرورة والحرية. ويعتقد أنه حيثما توجد الضرورة لا يمكن أن تكون هناك حرية، ومن ناحية أخرى، إذا تصرفنا بحرية، فيجب أن نكون قد أفلتنا بطريقة ما من الضرورة.

إذا كانت هذه الفكرة صحيحة، فستكون حرية الإنسان وهمًا. جميع أنشطة البشر، مثل أي شيء آخر في العالم، تحكمها القوانين السببية من جميع النواحي. تثير عمليات العلاقة السببية الخصائص الضرورية للأحداث وتحدد نتائجها الضرورية؛ وهذا ينطبق على الأعمال البشرية بقدر ما ينطبق على أي شيء آخر، بحيث لا يمكن للانسان أن يجعل نفسه مستقلا عن الضرورة في الطبيعة والمجتمع.

لكن من الخطأ معارضة الحرية والضرورة باعتبارها غير متوافقة. على العكس من ذلك، فإن الضرورة تؤدي إلى الحرية وهي شرط مسبق لها. إن عمل القوانين الطبيعية والاجتماعية والضروريات المترتبة على ذلك مستقلة عن إرادتنا وعن وعينا. ومن ثم، أيا كان ما قد نفكر فيه أو نرغب فيه أو نقرره، فإن أعمالنا تحدد دائما وفقا لقوانين الطبيعة عموما ولطبيعتنا الخاصة، وتتفق، في تنفيذها وفي نتائجها، مع ما .تمليه الضرورة

الإنسان هو نفسه جزء من الطبيعة، و "ضرورة الطبيعة أساسية، والإرادة البشرية والعقل ثانوي. ويجب على هذه الأخيرة أن تتكيف " بالضرورة ولا محالة مع الأولى.

ومع ذلك، فإن ما يميز الممارسة البشرية، ويميزها عن السلوك الحيواني، هو أن البشر في سياق ممارستهم الاجتماعية يكتسبون المعرفة بالضرورة، في المقام الأول من الضرورة في الطبيعة، وبالتالي

يتعلمون التصرف وفقًا لتلك المعرفة واستخدامها لإنتاج أهداف مقصودة، لتحقيق أغراضهم الخاصة.

يبدأ هذا بعملية الإنتاج نفسها، حيث يقوم الإنسان «بتحريك القوى الطبيعية لجسده من أجل ملاءمة إنتاجات الطبيعة في شكل يتكيف «مع رغباته الخاصة»، وبالتالي «يدرك هدفًا خاصًا به.

وبالتالي، فإن البشر، مثل الحيوانات، ليسوا مقيدين باتباع نمط سلوك محدد مسبقًا. إنهم، مثل الحيوانات، لا يتكيفون ببساطة مع بيئتهم، ولكن أيضًا بمحض إرادتهم يكيفون بيئتهم مع أنفسهم. إنهم يجعلون أنفسهم أحرارًا في السعي لتحقيق الغايات التي تصوروها وإرادتهم. وبذلك يغيرون أنفسهم أيضًا ويغيرون طبيعتهم.

لكن التحكم في الطبيعة، الذي يميز الإنسان عن الحيوانات، لا يعني استقلالية اقل للإنسان عن القانون الطبيعي والضرورة الطبيعية.

على العكس من ذلك، ما يعتمد عليه ليس إلغاء القوانين الطبيعية والضرورة الطبيعية، ولكن المعرفة والاستخدام الواعي لها وبالمثل،

عندما يتعلم البشر أيضا السيطرة على حياتهم الاجتماعية وتخطيطها من أجل تلبية متطلباتهم المادية والثقافية، فإن هذا لا يعني مرة أخرى أنهم حققوا استقلالية القوانين الموضوعية للمجتمع والضرورة الاجتماعية. على العكس من ذلك، فإن ما يعتمد عليه ليس إلغاء القوانين الاجتماعية الموضوعية، ولكن المعرفة والاستخدام الواعي لهذه القوانين - ليس إنهاء الضرورة في المجتمع، ولكن الاعتراف بها، .واتجاه النشاط الاجتماعي وفقًا لهذا الاعتراف بالضرورة

كتب ستالين: «تعتبر الماركسية قوانين العلوم ما إذا كانت قوانين العلوم الطبيعية أو قوانين الاقتصاد السياسي انعكاسًا للعمليات الموضوعية التي تحدث بشكل مستقل عن إرادة الإنسان». "قد يكتشف الإنسان هذه القوانين، ويتعرف عليها، ويدرسها، ويحسب لها حسابًا في أنشطته ويستخدمها لصالح المجتمع، لكنه لا يستطيع " التغيير أو يلغيها.

ولذلك فإن البشر لا يستقلون أبدا، بأي شكل من الأشكال، في أي نشاط من أنشطتهم، عن القوانين الطبيعية أو الاجتماعية وعن عواقبها الضرورية. ويترتب على ذلك أنه بقدر ما يفتقرون إلى المعرفة بهذه القوانين وعواقبها، فإنهم مقيدون. ثم تؤكد هذه القوانين التي لها عواقبها الضرورية أنها قوة غريبة، لها آثار غير متوقعة أو مدمرة، تحبط الأغراض البشرية.

ولكن بقدر ما يكتسب البشر معرفة بهذه القوانين ومعرفة عواقبها الضرورية، يمكنهم تعلم استخدامها لأغراضهم الخاصة. يمكنهم "تعلم تطبيقها بفهم كامل، واستخدامها لمصلحة المجتمع، وبالتالي إخضاعها، وتأمين التحكم فيها.

لا تتمثل الحرية في التخلص من عمليات السببية، ولكن في فهمها. لا يعتمد على التخلص من الضرورة، ولكن على التعرف عليها.

ولذلك، لا يوجد تعارض بين وجود الضرورة وحرية الإنسان. على العكس من ذلك، كما ذكرنا، تؤدي الضرورة إلى الحرية، أي عندما

يكتسب البشر معرفة بالضرورة وبالتالي يمكنهم الاعتراف بها واتخاذ قراراتهم في ضوء الفهم الحقيقي لما يفعلونه. والأكثر من ذلك، كما ذكرنا أيضا، أن وجود الضرورة هو معارضته لحرية الإنسان.

شرط مسبق.

ماذا سيحدث إذا لم تكن هناك قوانين سببية في الطبيعة والمجتمع، إذا لم تكن هناك ضرورة موضوعية لتنظيم مسار الأحداث؟ في هذه الحالة، يمكن أن يحدث أي شيء. لم نتمكن من اتخاذ قرار أو تنفيذ حتى أبسط الإجراءات، لأننا لم نتمكن أبدًا من معرفة ما يجب القيام به من أجل تأمين النتائج التي قصدناها. لن نمتلك حتى الحرية في صنع كوب من الشاي، على سبيل المثال، لأننا لن نعرف أبدًا ما إذا كان الماء سيغلي أو، عندما نسكبه في إبريق الشاي، ما سيكون عليه المشروب الناتج. لا يزال بإمكاننا القيام بأي أنشطة اجتماعية أكثر تعقيدًا، لأن كل شيء سيكون في حالة من الفوضى. في الواقع، لم نتمكن من الوجود على الإطلاق.

فقط لأن الأشياء تخضع للقوانين، لأن الضرورة الموضوعية موجودة بالفعل في الطبيعة والمجتمع، يمكننا اتخاذ قرار بشأن الإجراءات المحددة وتنفيذها. هذا هو شرط حرية الإنسان. ويتم تحقيق هذه الحرية بالتناسب بينما نوسع معرفتنا، وبالتالي، قدرتنا على اتخاذ القرارات على أساس المعرفة وما إلى ذلك لتنفيذها.

علاوة على ذلك، عندما نعرف القوانين التي تحكم الأشياء، يمكننا القيام بأنشطة تتعلق بها لم نتمكن من تنفيذها دون هذه المعرفة. على سبيل المثال، غالبًا ما كان الناس يحلمون بالطيران، لكنهم اعتبروا حتى وقت قريب أن قوانين الطبيعة تمنعهم من الطيران.

ومع ذلك، عندما اكتشفنا القوانين التي تحكم الطيران، تمكنا من بناء وسائل الطيران. في كثير من هذه الحالات، تمكننا معرفة القوانين التي أدت إلى قيود معينة على عملنا من تجاوزها عمليًا.

المعرفة كوسيلة لحرية الإنسان

ولكن أليست أفعالنا محددة بأسباب مختلفة، وبالتالي، ألا تخضع لضرورة قصوى ؟

كيف، إذن، يمكننا أن نكون أحرارًا ؟

صحيح أننا أنفسنا نتاج ظروف محددة، وكان من الممكن أن نختلف لو كانت تلك الظروف مختلفة، ونتصرف وفقًا لضرورة ظروفنا .وطبيعتنا. لكن هذا لا يتعارض على الأقل مع إمكانية أن نكون أحرار مهما فعلنا، كان هناك سبب لفعلنا ذلك. إذا كانت هذه القضية قوة خارجية من نوع ما، تؤثر علينا بطريقة تجعلنا نفعل شيئًا دون تدخل أي إرادة من جانبنا، فمن المؤكد أننا في مثل هذه الحالة مقيدون ولسنا أحرارًا. على سبيل المثال، إذا دفعني شخص ما في حشد بطريقة أدفع بها شخصًا آخر، فأنا في هذه الحالة لست حرًا. لا تأتي مسألة الحرية إلا عندما نفعل أشياء بمحض إرادتنا - أي عندما يكون سبب ما نقوم به هو فعل الإرادة الخاص بنا. لكن كيف يتم تحديد إرادتنا؟

إذا تم تحديده من قبل مختلف القوى الخارجية المؤثرة على إرادتنا وصياغتها لتحقيق أغراض ليست أغراضنا، فلا نزال نفتقر إلى الحرية. في هذه الحالة قد يكون لدينا وهم التصرف بحرية، ولكن إنه مجرد وهم. لكن أخيرًا، إذا كانت إرادتنا تحددها معرفة ظروف عملنا وما يجب القيام به لتحقيق هدف صنعناه بأنفسنا، ثم في هذه الحالة لا نشعر بالحرية فحسب، بل نحن أحرار حقًا.

مثل هذه النوعية من التشغيل الحر ليست متأصلة في الإرادة، ولكنها تظهر إلى الوجود. وينبع ظهوره ومدى تطوره بدوره من أسباب محددة .تدخل حيز التنفيذ في الحياة الاجتماعية

ونتيجة لتشغيل قوانين تنميتنا، نتيجة لضرورات طبيعتنا، نكتسب معرفة بالأشياء الخارجية وبطبيعتنا ومتطلباتنا، ثم نتصرف على أساس هذه المعرفة.

بالتناسب مع حدوث ذلك، ما نقوم به يتبع قراراتنا الواعية بناءً على .معرفة متطلباتنا وكيفية تحقيقها. ولذا فنحن أحرار

ما نوع الحرية الأخرى التي نتوقعها أو يمكننا الرغبة فيها؟

هذه، بالمناسبة، نقطة أوضحها الفيلسوف المادي العظيم سبينوزا منذ فترة طويلة، عندما أشار إلى أن الأعمال البشرية، مثل جميع الأشياء الأخرى، تحددها الأسباب السابقة؛ وأن البشر لا يتمتعون بالحرية عندما تحدث أفعالهم دون أسباب، بل عندما تحدد أفعالهم بمعرفتهم بمتطلباتهم الخاصة وكيفية تحقيقها.

لا تتكون الحرية من حلم استقلال القوانين الطبيعية، «كتب إنجلز»، ولكن في معرفة هذه القوانين، وفي إمكانية أن يؤدي ذلك إلى جعلها تعمل بشكل منهجي نحو غايات محددة. هذا جيد فيما يتعلق بالقوانين ذات الطبيعة الخارجية وتلك التي تحكم الحياة الجسدية والعقلية للبشر أنفسهم - فئتان من القوانين يمكننا فصلهما عن بعضنا البعض على الأكثر في التفكير فقط وليس في الواقع. وبالتالي، فإن حرية الإرادة لا تعني سوى القدرة على اتخاذ القرارات بمعرفة حقيقية

بالموضوع.... ولذلك فإن الحرية تتمثل في السيطرة على أنفسنا وعلى الطبيعة الخارجية التي تقوم على معرفة الضرورة الطبيعية.

فالمعرفة البشرية إذن وسيلة أساسية للحرية الإنسانية.

إذا كانت المعرفة تعتمد على الممارسة، فإن نمو المعرفة له أيضًا تأثير متغير على الممارسة. الممارسة القائمة على المعرفة شيء آخر من الممارسة لا تستند إلى المعرفة. لأنه بقدر ما نعرف خصائص وقوانين الأشياء، يمكننا عمليًا إتقانها لجعلها خاضعة لنا، بدلاً من أن نخضع لها. يساهم نمو المعرفة، وهو نتاج سعي الإنسان للتحكم الطبيعة وتنظيم حياته الاجتماعية، خطوة بخطوة في تحقيق هذا الإتقان وبناء أشكال أعلى من التنظيم الاجتماعي، في تحقيق إمكانية حياة كاملة وحرة للجميع.

الحرية والحوادث

لقد درسنا بالفعل الصلة بين الضرورة والحادث في الطبيعة والمجتمع، ورأينا أن الضرورة تتحقق من خلال سلسلة من الحوادث. ومن ثم،

فإن التصرف بحرية على أساس المعرفة يعني أننا، بوصفنا واعين، يجب أن نمارس رقابة عملية على هذه الحوادث، بغية القضاء على عنصر الصدفة أو الصدفة في تحديد نتائج نشاطنا وجعل تلك النتائج متوافقة تماما مع نوايانا. وبعبارة أخرى، فإن ممارسة حريتنا في العمل تعني أننا، عند الاضطلاع بأنشطة موجهة نحو غاية أكيدة، وعلى أساس معرفتنا بقوانين موضوع عملنا، نمارس هذه السيطرة على الموضوع بحيث يتم القضاء على عمليات الصدفة في تحديد النتيجة.

وبالتالي، في حين أن تحقيق حرية العمل البشري لا يعني بأي حال من الأحوال التخلص من الضرورة، إلا أنه يعني، بمعنى ما، التخلص من الحوادث أو القضاء على الصدفة.

وينبغي لنا، ونحن ننفذ تعهدا، كما يعلم الجميع، ألا نترك للصدفة أي شيء يؤثر على نجاح المشروع. إذا فعلنا ذلك، فإن نجاح التعهد يتعرض للخطر. إذا نجحت، فهذا يرجع إلى الحظ وليس إلى الحكم؛

وقد حققت الظروف نجاحا لنا، ولم نكن نحن الذين حققنا النجاح لأنفسنا بأعمالنا المتعمدة. لكن لا يمكن الاعتماد على الظروف بشكل عام لتكون مواتية للغاية.

أولئك الذين ينظمون اجتماعات زاوية الشارع، على سبيل المثال، ينسون أحيانًا ترتيب أي شخص لإحضار المنصة. يتركون الأمر للصدفة، ولذا يجدون أنفسهم أحيانًا بدون منصة. في بعض الأحيان قد يكونون بدون متحدث لنفس السبب. وبطبيعة الحال، فإن أي شخص ينظم أي شيء لديه وظيفة أخذ جميع العوامل التي تؤثر على نجاح المشروع في الاعتبار وعدم ترك أي منها للصدفة.

وتتجلى الخصائص الأساسية للفعل الحر، وهي معرفة الضرورة والقضاء على الصدفة، في عملية العمل، وهي العملية الأساسية للنشاط البشري.

في عملية العمل، يعمل الانسان من خلال عمله، باستخدام أدوات العمل، على موضوع العمل لإحداث تغيير مصمم فيه. ولكي يفعل

ذلك عليه أن يعرف ويحسب الخصائص الضرورية لموضوع العمل،
.وعليه أيضا أن يزيل آثار الصدفة على موضوع العمل
وكلما ازدادت تعهدات العمل البشري على نطاق واسع وطموحا، زاد
.نجاح الإنسان في القضاء على عامل الصدفة في تعهداته
هذا اعتبار مهم للغاية في أي عمل هندسي. لبناء جسر، على سبيل
المثال، يبني المهندسون خططهم على معرفتهم بالطبيعة الأساسية
للموقع والمواد المستخدمة، وعلى حساب مختلف عوامل الصدفة التي
قد يتعرض لها الهيكل. مثال على الفشل في حساب الصدفة تم توفيره
مؤخرًا من خلال الدفاعات البحرية على الساحل الشرقي لإنجلترا.
أولئك الذين كانوا مسؤولين عن هذه الدفاعات قد أغفلوا حساب
فرصة أن يتزامن المد العالي بشكل استثنائي مع رياح شرقية قوية
بشكل استثنائي. عندما حدثت هذه الصدفة، انفجر البحر عبر
الدفاعات. ولكن إذا تم التخطيط بشكل صحيح للدفاعات البحرية،

أو أي أعمال هندسية أخرى، فسيتم حساب هذه الفرص والقضاء على آثارها.

أحد أكثر عوامل التردد التي تؤثر على تعهدات البشر هو الطقس. وهكذا فإن المشاريع الزراعية تكون باستمرار تحت رحمة الطقس.

تتمثل إحدى السمات الرئيسية لخطط إنتاج الغذاء على نطاق واسع في الاتحاد السوفيتي الاشتراكي، جزئيًا، في السيطرة على الطقس، وجزئيًا لمواجهة آثاره الضارة بقدر ما يظل خارج نطاق السيطرة المباشرة.

تعمل جزئيًا للسيطرة على الطقس وجزئيًا لحماية المحاصيل من سوء الأحوال الجوية. بهذه الوسائل يمضي الشعب السوفيتي قدمًا بحرية وبانتظام لإنتاج غلة محاصيل عالية.

عناصر التحكم الواعي

وبالنظر إلى هذه الأمثلة يمكننا أن نستخلص بعض الاستنتاجات الأخرى بشأن العلاقة المتبادلة بين الضرورة والحوادث وحرية الإنسان.

إن القول بأن الحرية تستتبع القضاء على الفرص لا يعني بالطبع أننا بممارسة الحرية نسعى بطريقة ما إلى التخلص من الصلة بين الحوادث والضرورة. وتشغيل الحوادث أو الصدفة، وارتباطها بالضرورة، حقيقة موضوعية، سمة عالمية للأحداث في الطبيعة والمجتمع على حد سواء، يتعين علينا أن نحسب لها حسابا وأن نكيف معها أعمالنا. إنه موجود بشكل مستقل عن أنفسنا ولا يمكننا بأي حال من الأحوال التخلص منه أو تغييره.

ما يتعين علينا القيام به لتحقيق حرية العمل هو، من خلال معرفة الضرورة، لتحقيق عملية كاملة، بما في ذلك الفرص الكامنة فيه، وتحت سيطرتنا وبالتالي توجيهه إلى ما قررنا بأنفسنا. لذا فإن القضاء على الصدفة يعني السيطرة عليها، لتوجيه تشغيلها وجعل النتيجة لم

تعد عرضية. ويتم ذلك عن طريق (أ) ممارسة السيطرة المباشرة على عوامل الصدفة و (ب) ممارسة التبصر واتخاذ الاحتياطات اللازمة للتعامل معها بقدر ما تبقى خارج نطاق السيطرة المباشرة. هذا هو السبب في أن الخطة الاقتصادية الاشتراكية، على سبيل المثال، يجب «أن تتضمن دائمًا بناء «المخازن.

يتضح جانب آخر من القضاء على الفرصة من خلال قلب عملة حرصنا فيها على تقديم تحيز.

لقد رأينا أن الضرورة تتحقق من خلال سلسلة من الحوادث، وكذلك أن الأحداث العرضية تحكمها ضرورة داخلية. عندما يتم استيعاب هذه النقطة بطريقة عملية، وعندما نكون مجهزين بمعرفة قوانين موضوع أنشطتنا، فإننا في وضع يمكننا من حساب العوامل العرضية المتأصلة في الموضوع والسيطرة عليها، حتى نوجهها بأنفسنا إلى نتيجة ضرورية وفقًا لنوايانا.

ويتطلب ذلك كذلك ألا تكون معرفتنا معرفة بالمحتوم فحسب، بل بالمحتمل أيضا. وفيما يتعلق بعملية معينة، على سبيل المثال، يجب ألا نعرف فقط ما هو الأثر المترتب على السبب، حتى نتمكن من خلال وضع السبب موضع التنفيذ من ضمان التأثير المقابل؛ ولكن يجب أن نعرف أيضا احتمالات دخول مختلف الأسباب حيز التنفيذ والآثار المختلفة التالية. هذا يمكننا من الحكم على كيفية التصرف من أجل التحكم في العملية برمتها، بما في ذلك ميزاتها العرضية.

تعبر أحكام الاحتمال عن توقعنا لوقوع الحوادث. وفقًا لبعض النظريات، فإن الاحتمالية ذاتية بحتة، بمعنى أن الحكم على الاحتمال ليس تعبيرًا عن شيء سوى عدم اليقين الذاتي أو نقص المعرفة. لكن على العكس من ذلك، فإن فكرة الاحتمال تعكس حقيقة موضوعية - أو بالأحرى جانبًا واحدًا من جوانب الواقع الموضوعي - وهو تشغيل الأسباب العرضية في سلسلة كاملة من الأحداث أو في مجموعة من الحالات.

هذا واقع موضوعي بقدر ما هو عمل قضية واحدة في مناسبة واحدة،

.وهي ليست موضوع احتمال

بالتناسب مع معرفتنا للاحتمالات الكامنة في الأحداث ويمكن أن نتوصل إلى أحكام صحيحة بشأن الاحتمالات، فنحن قادرون بشكل أفضل على حساب جميع العوامل التي تعمل في سياق عملية كاملة، بما في ذلك العوامل العرضية، وبالتالي توجيه العملية برمتها نحو نهاية محددة. لنلخص

الحرية هي السيطرة على أنفسنا وعلى الطبيعة الخارجية التي تقوم على معرفة الضرورة. تتطلب هذه المعرفة أيضًا أن نعرف عوامل الصدفة التي تدخل في العملية التي نهتم بها، والاحتمالات التي تميز عملها، حتى نتمكن من (أ) التحكم في تشغيل الصدفة و (ب) اتخاذ الاحتياطات اللازمة للوفاء بعملياتها بقدر ما لا نسيطر عليها، مما .يؤدي إلى توجيه العملية برمتها نحو الغاية المرجوة

كتب إنجلز: "الفرصة هي القطب الوحيد للعلاقة التي يُطلق على قطبها الآخر" الضرورة ". ... «كلما زاد النشاط الاجتماعي، وسلسلة من العمليات الاجتماعية، أصبح قويًا جدًا بالنسبة لسيطرة البشر الواعية ونما فوق رؤوسهم، وكلما بدا الأمر مسألة فرصة خالصة، فمن المؤكد أنه ضمن هذه الفرصة تكون القوانين غريبة عليها «ومتأصلة فيها تؤكد نفسها كما لو كانت بالضرورة الطبيعية.

عندما تحدث الأحداث التي نشعر بالقلق فيها دون سيطرتنا الواعية عليها، فإن النتيجة تتحدد بضرورة طبيعية تتحقق من خلال سلسلة من الحوادث. ولكن بالتناسب مع تحقيقنا للسيطرة الواعية على الأحداث، فإننا نحن أنفسنا نحدد مسارها بوعي، من خلال العمل وفقًا لمعرفتنا بقوانين مثل هذه الأحداث والعوامل المؤثرة على النتيجة.

الفصل الرابع عشر

إعمال الحرية

الناس لا يولدون أحرارًا ولكنهم يفوزون بالحرية تدريجياً. يتم كسب الحرية وتقدمها من خلال النضال من أجل إتقان الطبيعة ومن خلال الصراع الطبقي. في المجتمع الطبقي، تختلف الحرية التي كسبتها وامتلكتها بالفعل طبقات مختلفة، والقيود المفروضة على حريتها، بطرق ملموسة، تتوافق مع موقف وأهداف الطبقات. إن الكفاح من أجل الحرية هو في جوهره كفاح الناس من أجل أن يكونوا قادرين على تلبية متطلباتهم الخاصة؛ بدءاً من مجرد ظروف وجود حيوانية، تتقدم البشرية باستمرار طريق تحقيق الحرية، الذي يؤدي إلى المجتمع الشيوعي. مراحل تطور الحرية هي أيضا مراحل تطور الأخلاق.

انتزاع الحرية

معظم الصعوبات النظرية التي يواجهها الناس عند التفكير في مشكلة الحرية ناتجة عن التفكير في أن الحرية هي صفة فطرية للإرادة. لكن الحرية ليست صفة فطرية للإرادة، ولا هي أي نوع من الهبة الذي منحها الله أو الطبيعة للإنسان. إنه شيء يتم انتزاعه - ويتم كسبه

تدريجياً، شيئًا فشيئًا، تم إنشاؤه وتحقيقه على مدار عصور النشاط الاجتماعي البشري.

بدأ ج.ج روسو كتابه عن العقد الاجتماعي بالكلمات الشهيرة «ولد الإنسان حرًا». لكن الإنسان لم يولد حراً على العكس من ذلك، يولد الإنسان بلا حرية أيا كان، ولكنه يولد كمخلوق تحدده ظروف مستقلة عن إرادته. ولكن بفضل حياته الاجتماعية وقوانين تطورها، فقد طور تدريجياً في الممارسة الاجتماعية تلك القدرات التي تجعله حراً. هذا يفعله في صراع مع الطبيعة الخارجية، في الصراع الاجتماعي والطبقي، وكذلك في النضال الفردي. إنه يخلق لنفسه ويفوز لنفسه بهذه الحرية التي يمتلكها، ولذا لا يمكنه أبدًا امتلاك أكثر مما خلقه وفاز به لنفسه.

الحرية ليست صفة فطرية، وليست قضية «الكل أو لا شيء». يجادل الميتافيزيقيون بأننا إما أحرار أو لسنا أحرارًا. هذا لننسى أننا قد نكون

أحرارًا في بعض النواحي، ولكن ليس في جوانب أخرى، وأننا قد نكون أحرارًا إلى حد ما.

تأخذ الماركسية الجانب الحتمي، لأن كل فعل من أفعال الإرادة له سبب. ولكن السؤال المهم ليس هو ما إذا كانت أعمالنا مصممة - لأنه ليس هناك شك في أنها مصممة - ولكن كيف ولما هي كدلك - على أساس الأسباب الخارجية أو على أساس معرفتنا باحتياجاتنا وكيفية تلبيتها. عندما يتم طرح السؤال على هذا النحو، فمن الواضح أن الحرية هي مسألة درجة. نحن نجعل أنفسنا أحرارًا فقط بقدر ما نحققه من أن قرارنا الواعي القائم على المعرفة هو الشيء الذي يحدد ما نقوم به ونحققه. لكن هذه الحرية نادرًا ما تكون مطلقة. كلما كان قرارنا الخاص بناءً على المعرفة هو الذي يحدد أفعالنا ونتائجها، وكلما قل ما تقرره لنا عوامل أخرى، زادت درجة حرية الفعل الذي حققناه. حرية الفرد والحرية في المجتمع هي شيء يحققه الفرد.

ليس الجنس البشري بشكل عام، أو المجتمع، هو الحر، بل الأفراد هم الأحرار.

لكن في المقام الأول، يدرك الفرد الحرية فقط من خلال المجتمع.

وسيلة الحرية هي المعرفة، وهذا اجتماعي. وتعتمد حرية الفرد على رضوخ المجتمع الذي ينتمي إليه، وعلى التعليم والمساعدة اللذين قدمهما له المجتمع، وكذلك على مدى تمكنه في المجتمع من التعاون مع الآخرين وحملهم على التعاون معه.

وفي المقام الثاني، يحصل الفرد على هذه الدرجة من الحرية التي نالها ويسمح بها له المجتمع الذي ينتمي إليه. يعتمد نطاق حريته على رضوخ مجتمعه، ولكنه يعتمد أيضًا على المدى الذي سيسمح له المجتمع بالمشاركة فيه والاستفادة من تلك المكتسبات.

النطاق المحتمل لحريته كبير مثل المعرفة الاجتماعية الحالية والوسائل المكتشفة لاستخدامها. وفي الوقت نفسه، يمكن حرمانه من

التمتع الفعلي بهذه الحرية المحتملة بسبب القيود التي يفرضها المجتمع على رضاه بنفسه وعلى أفعاله.

وبالتالي، فإن حرية الأفراد تتوقف على الإقرار الإيجابي للمجتمع والفرص التي يوفرها المجتمع للأفراد للاستفادة من هذه الإقرارات.

ومع ذلك، يكافح الأفراد معًا - مع بعضهم البعض وضد بعضهم البعض - من أجل درجة أعلى من الحرية. وبالتالي يرفعون درجة الحرية التي يمتلكها جميع الأفراد ويحققونها في المجتمع.

ويترتب على ذلك، إذن، أن الفرد يتطور كعامل حر في حياته، بما يتوافق مع التعليم والحوافز والفرص التي يوفرها له المجتمع. وبالمثل، طور البشر في المجتمع حرية الإنسان في سياق التطور الاجتماعي. إن البشرية تتقدم تدريجيا على طريق المزيد من حرية العمل. وحرية العمل هذه هي في الواقع مقياس أو معيار للتقدم الاجتماعي.

الكفاح من أجل الحرية

في المجتمعات البدائية، يتم تقييد حرية الناس بشكل أساسي بسبب عدم تحكمهم وفهمهم للطبيعة. إنهم تحت رحمة الطبيعة الخارجية إلى حد كبير، ووجود الكائنات البرية اي ان حريته تتحدد إلى حد كبير من خلال الظروف الخارجية، كما هو الحال مع الحيوانات.

مع تطور الحضارة، تطور تحكم الناس في الطبيعة. وبالتالي أصبحت حريتهم في هذا الصدد أقل تقييدًا وأكثر توسعًا. لكن قيودًا جديدة دخلت حيز التنفيذ. في المجتمعات المتحضرة حتى الآن، كانت حرية الناس مقيدة بالظروف الاجتماعية، وخاصة بسبب اضطهاد طبقة أخرى. وبالتالي، مع تزايد الحرية المرتبطة بإلتحكم في الطبيعة، فقد قابلها الاضطهاد الطبقي. هذا يعني أن الناس قد تعرضوا للاستغلال والإكراه، وفي الوقت نفسه حُرموا من فرصة الاستفادة لمصالحهم الخاصة من المعرفة والقوة الموجودة في المجتمع.

الشباب الإنجليزي اليوم، على سبيل المثال، يتم إرسالهم للقتال في الحروب الاستعمارية. هذا شيء لا يعمل فقط على الحفاظ على تقييد

حرية الناس في المستعمرات، ولكنه يقيد أيضًا حرية الشباب البريطاني في العيش والتمتع بحياتهم الخاصة. إذا استخدم الشعب الاستعماري وأغلبية الشعب البريطاني المعارف والموارد التي وُضعت في الإعداد لهذه الحروب وشنها على الطبقات الحاكمة ضد الطبقة المستغلة من أجل حريته ورفاهيته، يمكننا أن نفعل ونستمتع بأشياء كثيرة لا يمكننا القيام بها ولا يمكننا الاستمتاع بها في الوقت الحاضر. هذا أيضًا تقييد لحريتنا.

وإذا أريد للناس أن يكونوا أحرارا، فلا في أنشطتهم الاقتصادية ولا في أي نشاط آخر من أنشطتهم إذا ما أجبروا على العمل أو على التصرف أو التفكير بما يتعارض مع مصالحهم الخاصة، وعلى حساب احتياجاتهم الأساسية، وبالضغط الخارجي ولمنفعة الآخرين. ولا ينبغي حرمانهم من فرصة الاستفادة من جميع عروض المجتمع لتلبية متطلباتهم. مثل هذه الظروف هي إنكار لحرية الناس. ويرجع انتشارها حتى الآن إلى تقسيم المجتمع إلى طبقات مستغلة ومستغلة.

لقد فصل الفلاسفة الميتافيزيقيون بعناية مسألة ما يسمى بحرية الإرادة عن مسألة الحرية الاقتصادية والسياسية، وقد ساعدهم هذا الفصل على تضليل الناس بشأن كليهما. لكن في الواقع، هذه ليست أسئلة منفصلة، ولكنها جانبان لمسألة واحدة هي نضال البشر من أجل الحرية. في مجتمع تستغل فيه طبقة أخرى، يتمثل الجزء الرئيسي من النضال من أجل الحرية في النضال من أجل التخلص من أشكال الاستغلال والقمع الحالية. وفي هذا الكفاح يتصرف الناس بحرية، ويجعلون أنفسهم أحرارًا ويوسعون حدود حرية الإنسان. العبد السلبي هو مجرد عبد، لكن العبد المتمرد يتصرف كإنسان حر على الرغم من أنه لا يزال يرتدي قيوده. هؤلاء الناس هم رواد حرية الإنسان.

يترتب على ذلك، في المجتمع الطبقي، أن الحرية والفوز بالحرية لهما دائمًا خلفية طبقية لها. ولمفهوم الحرية أهمية طبقية. في المقام الأول، والحرية التي تم كسبها وتحقيقها في أي مرحلة،

كما أن انعدام الحرية هو دائماً حرية الطبقات المحددة أو انعدام حريتها. وفي المقام الثاني، تختلف حرية أو انعدام حرية فئة ما بطرق ملموسة عن حرية أو انعدام حرية طبقة أخرى؛ وبالتالي فإن الطبقات المختلفة لديها أيضا أفكار مختلفة عما يشكل الحرية.

لقد تم تعزيز حرية الإنسان باستمرار من خلال الصراع الطبقي، وفئات مختلفة، تسعى جاهدة لتحقيق أهدافها الخاصة وأن يجعلوا أنفسهم أحراراً في السعي إلى تحقيق تلك الأهداف، قد عززوا حرية الناس عموماً من مرحلة إلى أخرى. يتم تحقيق مكتسبات كل مرحلة نتيجة النضال ضد القيود المفروضة على الحرية من خلال نظام محدد للحكم الطبقي، وبالتالي تنتج قيودًا خاصة بها على الحرية.

وهكذا، على سبيل المثال، تم إنهاء الحكم الإقطاعي والقنانة نتيجة للنضال الذي قادته البرجوازية ضد القيود الإقطاعية. كانت هذه خطوة إلى الأمام في حرية الانسان. لقد جلبت معها أشكالًا جديدة من الاستغلال والقمع، لكنها جلبت أيضًا تقدمًا جديدًا، والفوز بالحقوق

والحريات السياسية الأوسع، والتنظيم الجديد والأكثر قوة، والتقدم في المعرفة والثقافة. في الوقت نفسه، كان يعني عمليًا أشياء مختلفة للطبقتين الرئيسيتين في المجتمع الرأسمالي. تهتم الطبقة الرأسمالية بالحفاظ على حكمها وزيادة أرباحها. من ناحية أخرى، تواجه الطبقة العاملة مهمة التخلص من الحكم الرأسمالي والاستغلال الرأسمالي، واستخدام الحرية التي فازت بها بالفعل من أجل التقدم إلى درجة أعلى من الحرية.

وبالمثل، تعاني مختلف الطبقات من قيود الحرية بشكل مختلف. ويفرض كل نظام من أنظمة الاستغلال أشكالا محددة من الإكراه والقمع على المستغلين؛ والطبقة العاملة اليوم، على سبيل المثال، تجرب هذا. في الوقت نفسه، تجد كل طبقة حاكمة، التي يبدو أنها حققت حريتها من خلال استغلال الآخرين، في الممارسة العملية أن حريتها وهمية إلى حد كبير. على سبيل المثال، تجد البرجوازية نفسها مستعبدة بقوانين نظامها الخاص، ويجب أن تستمر في مراكمة رأس

المال، والتنافس مع بعضها البعض والقتال مع بعضها البعض حتى النهاية.

بالنسبة لعائلة فقيرة اليوم، تناقش ما إذا كانت ستمارس إرادتها الحرة في دفع الإيجار أو شراء بعض الطعام، يبدو غالبًا أن الرأسمالي الغني أكثر حرية بكثير مما هو عليه. إنهم لا يدركون إلى أي مدى يكون الانسان الدي يتم استغلاله عبدًا لعمله، ويعاني من ارتفاع ضغط الدم والقلق والإحباط الدائم. إذا فعلوا ذلك، فقد تدفعهم الإنسانية البسيطة إلى تحريره من هذه الاهتمامات، والقيام بقليل من الخير أيضًا، من خلال الاستيلاء على وسائل الانتاج والسماح له بحرية العمل الصادق. غالبًا ما يعتقد أعضاء طبقات الاستغلال المختلفة أن الثروات والسلطة ستمنحهم الحرية الكاملة. لكن حتى فلاسفتهم أشاروا لهم للأسف ان الثروات والقوة تستعبد مالكيها في نفس الوقت الذي يشاركون فيه في استعباد الآخرين.

من انعدام الحرية إلى الحرية

إن الكفاح من أجل الحرية يعني في جوهره كفاح الناس ليكونوا قادرين على تلبية متطلباتهم الخاصة، المادية والثقافية، التي يلزم معرفتها بتلك المتطلبات وكيفية تلبيتها، والقدرة على تحقيق ذلك الرضا.

عندما يقوم الناس في المجتمع الاشتراكي، بعد أن وسعوا بالفعل معرفتهم للطبيعة بشكل كبير، بإخضاع تنظيمهم الاجتماعي لسيطرتهم الواعية بفضل الملكية الاجتماعية لوسائل الإنتاج، يتم تحقيق خطوة حاسمة إلى الأمام في حرية الإنسان. في المجتمع الاشتراكي، عندما لا يكون هناك استغلال للإنسان من قبل الإنسان وعندما تكون وسائل الإنتاج ملكية مشتركة وتستخدم لغرض تلبية متطلبات كل فرد، يبدأ الناس في النضال من أجل الحرية أقل من التمتع بها وتعلم كيفية المضي قدمًا لممارستها بالكامل. وعندما يتخلص الناس في المجتمع الشيوعي أخيرًا من جميع آثار إخضاع الناس لوسائل الإنتاج والمنتجات الخاصة بهم، فسيكون الناس قد حصلوا

على أعلى درجة من الحرية التي يمكننا تصورها. ثم، كما قال إنجلز، "لأول مرة، بمعنى معين، يتم تمييز الانسان أخيرًا عن بقية مملكة الحيوان، ويخرج من مجرد حيوان في ظروف الوجود الى ظروف إنسانية حقيقية.... إنه فعل الإنسان من مملكة الضرورة إلى مملكة الحرية.

يمكننا القول إن الناس بدأوا من مجرد ظروف وجود حيوانية، لكنهم بدأوا في خلق ظروف الحرية عندما بدأوا الإنتاج الاجتماعي لأول مرة - أي عندما بدأوا في استخدام الأدوات لتغيير الأشياء، وفقًا للقوانين الموضوعية للطبيعة، بقصد واع لتلبية متطلباتهم الخاصة.

دخل الناس في علاقات إنتاج، وخلال عصور الكفاح لتلبية احتياجاتهم المتزايدة باستمرار، قاموا باستمرار بتطوير معرفتهم وبالتالي سيطرتهم على شؤونهم الخاصة وعلى الطبيعة الخارجية. لقد تقدم هذا النضال من خلال سلسلة من المراحل، قام الناس في كل

منها بتغيير علاقات إنتاجهم لتتوافق مع تطور قوى الإنتاج، ولكل فئة منها فئات مختلفة

وسعت مجال نشاطها الحر فقط على حساب أشكال هيمنة فئة على أخرى وأشكال الخضوع للقوانين الموضوعية لتنظيمهم الاجتماعي.

لقد وصل الصراع الطبقي بإسهاب إلى تلك المرحلة التي سيكون فيها نضال الطبقة المستغلة من أجل تحريرها أخيرًا تحرير المجتمع ككل من كل استغلال واضطهاد، وبالتالي تهيئة الظروف التي سيكون فيها الناس أنفسهم وإخضاع هده الاخيرة لسيطرتهم الاجتماعية الواعية وتصبح نتيجة عملهم الحر. ثم، أيضًا، العمل، الدي بدأ به البشر رحلتهم إلى الحرية التي أصبحت عملية استعباد بعد دلك، ستصبح الوسيلة الواعية التي يحققون بها تلبية جميع احتياجاتهم؛ وبتحديد ساعات العمل، سيتمكن كل منهم من التطور والتمتع بحرية بممارسة جميع قدراته.

وبهذه الطريقة، من خلال عملية يحكمها القانون بالكامل، الذي يتحدد في كل مرحلة من خلال تطبيق القوانين الموضوعية، الناس يخرجون تدريجياً من حالة الافتقار التام للحرية، عندما لا يتحدد ما يفعلونه ويحققونه بقرار واع، بل بظروفهم، وأن يكسبوا الحرية تدريجياً، وأن يصلوا بإسهاب إلى حالة يمكنهم فيها، فرادى وجماعات، أن يقرروا بوعي مصيرهم على أساس المعرفة باحتياجاتهم الخاصة والتحكم الواعي في ظروف رضاهم.

الأخلاق

ترتبط مراحل تطور الحرية ارتباطًا وثيقًا بتطور الأخلاق. إن تطور الأخلاق هو، في الواقع، جانب أو جانب من جوانب تطور الحرية، والمراحل المختلفة لتطور الأفكار الأخلاقية هي مراحل عديدة من تطور حرية الإنسان.

لاحظ العديد من الفلاسفة الأخلاقيين أن الأخلاق هي التعبير عن الحرية وأن للحياة الأخلاقية معنى فقط بقدر ما يتصرف الناس

بحرية. وبالطبع، إذا كانت جميع أفعالنا مجرد عواقب محددة ثم لن يكون هناك معنى لوصفهم بالصواب أو الخطأ، أو بالقول إن من واجبنا أن نفعل شيئًا وليس شيئًا آخر، من الواضح أن هؤلاء الفلاسفة كانوا على حق. ما لم يلاحظوه هو أن الحرية شيء يتطور اجتماعيًا على أساس أنشطة الطبقات المحددة، وأن الشيء نفسه ينطبق على الأخلاق.

فالأخلاق الإنسانية ليست تعبيرا عن بعض القوانين الأخلاقية الأبدية التي أصدرتها السماء والتي تكشف للبشرية بطريقة ما ؛ كما أنه ليس، كما تصور كانط، تعبيرا عن «حتمية قاطعة» متأصلة في الإرادة البشرية ؛ لكنه نتاج طبيعي للتنظيم الاجتماعي للبشر. وبما أن البشر يعيشون في المجتمع، فإنهم يطورون بالضرورة مدونة أخلاقية لتنظيم علاقاتهم وأنشطتهم المتبادلة في المجتمع. وهذا يفترض فيما يتعلق بالأفراد ظهور قوة مفروضة خارجيا وملزمة أخلاقيا، بسبب طابعها

كمنظم اجتماعي للسلوك. إنه يفترض الطابع الغريب لقوة «أخلاقية»: ليس علينا أن نتصرف بشكل صحيح، ولكن «يجب» أن نفعل ذلك. تتكون الأخلاق من معايير ومبادئ معينة للسلوك، وتقول إنه يجب القيام بأشياء معينة ويجب عدم القيام بأشياء أخرى، بغض النظر عما إذا كان الأفراد يريدون القيام بها أم لا، أو في الواقع القيام بها أم لا. إن الإحساس الكامل بالمصطلحات الأخلاقية، مثل «جيد» و «سيء» و «يجب» وما إلى ذلك، وارد في تأكيد المعايير التي لا تعتمد على رغبات الأفراد ودوافعهم وأفعالهم الخاصة. وتتصور هذه المعايير، وتتصور بالضرورة، على وجه التحديد بسبب الضرورة الاجتماعية لتنظيم السلوك الفردي.

بالطبع، إن تصور مثل هذه المعايير والاعتراف بها شيء وشيء آخر لتشغيلها. بشكل عام، يطور كل مجتمع أشكالًا مختلفة من العقوبات لتعليم الناس وإقناعهم بفعل ما ينبغي، بدءًا من الثناء المعتدل أو اللوم إلى أنظمة المكافأة والعقاب - ومع ذلك، فإن الأخير مخصص في

الغالب للأفعال التي تنطوي مباشرة على أمن الأرواح أو الممتلكات. ولكن في المجتمعات التي تحتوي على عداوات طبقية، وحيث يستفيد الناس على حساب الآخرين ويتنافسون مع بعضهم البعض، فإن جزءًا كبيرًا من الأخلاق يتخذ دائمًا شكل شيء يتم التبشير به للآخرين، ولكن يحاول المرء التهرب من نفسه. الأخلاق لا تنفصل عن النفاق. أخيرًا، عندما تكون المعايير الأخلاقية وكثيرا ما يتم التهرب منها، ولكن يتم التشكيك فيها وتجاهلها تماما، وعندما تتأرجح وتضعف مختلف العقوبات الأخلاقية، فهذه علامة على أن النظام الاجتماعي المعني يتفكك ويتغير.

إن التفاعل الاجتماعي برمته مرهون بعلاقات الإنتاج في المجتمع ويستند إليها. وهكذا فإن الأخلاق، بصفتها منظمًا للتفاعل الاجتماعي، هي في كل مجتمع نتاج علاقات إنتاج محددة. إنه يعكسهم ويتغير معهم، وتطور كل طبقة في المجتمع أفكارها الأخلاقية الخاصة التي تتوافق مع موقفها الطبقي.

كتب إنجلز: "يستمد البشر بوعي أو دون وعي أفكارهم الأخلاقية في الملاذ الأخير من العلاقات العملية التي يقوم عليها موقفهم الطبقي، من العلاقات الاقتصادية التي يواصلون فيها الإنتاج والتبادل.... جميع النظريات الأخلاقية السابقة هي، في التحليل الأخير، نتاج المرحلة " الاقتصادية التي وصل إليها المجتمع في حقبة معينة.

وبما ان الأمر كذلك، فمن الطبيعي أن تختلف الأفكار الأخلاقية من نواح كثيرة بين النظم الاجتماعية المختلفة والطبقات المختلفة. في الوقت نفسه، يجب أن نتوقع، كما نجد، أن هناك دائمًا شيئًا مشتركًا بينهما، او اشياء. بالنسبة للنظم والطبقات الاجتماعية المختلفة تمثل "مراحل مختلفة من نفس التطور التاريخي وبالتالي لديها خلفية تاريخية مشتركة، ولهذا السبب وحده لديها بالضرورة الكثير من القواسم المشتركة. أكثر من ذلك. وفي مراحل مماثلة أو متشابهة تقريبا من مراحل التطور الاقتصادي، يجب بالضرورة أن تكون النظريات الأخلاقية متفقة إلى حد ما . على سبيل المثال، «منذ اللحظة التي

تطورت فيها الممتلكات الخاصة، في جميع المجتمعات التي توجد فيها هذه الممتلكات، يجب أن يكون هناك هذا القانون الأخلاقي المشترك: لا «تسرق.

إن أخلاقيات أي فئة اجتماعية هي التعبير عن الطبيعة الملموسة لحريتها وتطلعاتها إلى الحرية - التي ترتكز على المكان الذي تشغله في الإنتاج الاجتماعي وعلاقتها بوسائل الإنتاج. بقدر ما قد تظل هذه المجموعة تحت التأثير وقد يقبلون الأفكار الأخلاقية لتلك المجموعة الأخرى في كثير من الأحيان على حسابهم الخاص ولمصلحة المجموعة الأخرى، لأنها تعمل على إبقائهم خاضعين.

ولكن بقدر ما يدركون ويبدأون في النضال من أجل أهدافهم الخاصة، يبدأون في لعب دور نشط وليس مجرد دور سلبي في عملية التغيير الاجتماعي، ويبدأون في تأكيد حريتهم، فإنهم يطورون أخلاقهم الخاصة في هذه العملية.

لماذا تستتبع الحرية الأخلاق؟ ذلك لأن الحرية في العمل هي عكس العمل بدافع أو بسبب الإكراه الخارجي. بقدر ما يتصرف الناس بناءً على الدافع أو بسبب الإكراه الخارجي، فإنهم هم عكس الحرية تمامًا ولكنهم مقيدون بالصدفة أو لأسباب خارجية. يتصرف الناس بحرية عندما يحددون بأنفسهم، عمداً وعن علم، مسار عملهم. وبالتالي، في تحقيق وممارسة حريتهم، يخلق الناس أقصى درجات أو مبادئ العمل، والتي تشكل أفكارهم الأخلاقية. ثم تتوافق أخلاقهم مع ظروف وأهداف كفاحهم، على النحو المحدد على أساس ظروف حياتهم المادية الفعلية.

في الوقت نفسه، تنشئ المؤسسات والعقوبات الاجتماعية التي تشكل، في هذا الصدد، التجسيد الخارجي والدفاع عن أخلاقهم وعن نوع ودرجة حريتهم والعمل الذي أنجزته أو تسعى جاهدة لتحقيقه.

الطبقة العاملة الحديثة، على سبيل المثال، خلقت، وتخلق، أخلاقها الخاصة، والتي تتلقى تعبيرًا خاصًا في مؤسسات مثل الحركة النقابية

والحزب الشيوعي أخلاقيات التضامن والمساعدة المتبادلة، ووضع النضال المشترك أمام المصالح الخاصة والقصيرة الأجل للفرد. تختلف الأخلاق البرجوازية عن هذا من نواح كثيرة. إذا ظل العديد من العاملين تحت تأثير الأخلاق البرجوازية - أو ما يحدث غالبًا اليوم، الافتقار البرجوازي إلى الأخلاق - فهذا يعني ببساطة أنهم يظلون عبيدًا سلبيين نسبيًا للنظام الرأسمالي، على الرغم من أنهم قد يفكرون ويؤكدون من قبل أصحاب العمل أنهم يتصرفون بقوة ذهنية واستقلالية كبيرة.

وهكذا، إذا أجاب عامل حث على المشاركة في نضاله النقابي بأنه لن يفعل ذلك لأن الجميع يجب أن يعتني بنفسه، فهذا يعني ببساطة أنه قد تشرب العناصر الفردية للأخلاق البرجوازية، التي ضخت فيه الدعاية الرأسمالية. وهذا يعني أيضا أنه لا يعرف في الواقع كيف يعتني بنفسه، لأن الأفكار التي طورها الرأسماليون لرعاية شؤونهم

الخاصة ليست مناسبة للغرض المعاكس تمامًا المتمثل في مساعدة العمال.

في المجتمع المنقسم بين الطبقات، تكون الأخلاق دائمًا وضروريًا أخلاق طبقية. وهي تعبر بدقة عن متطلبات مختلف الطبقات ووعيها الاجتماعي وقياسها ونوعها. وعندما ينخفض الفصل، تنخفض أخلاقه معها، وتفسح المجال لأخلاق مختلفة. يمكننا أن نقول إن الأخلاق أعلى مما يؤدي إلى تقدم المجتمع خطوة إلى الأمام على طريق التقدم المادي والحرية. هذان الأمران لا ينفصلان، لأن الناس في النضال من أجل المزيد من الحرية يدركون تقدمهم المادي، وفي النضال من أجل التقدم المادي يدركون المزيد من الحرية. إن العيش بشكل كامل هو هدف الحياة الحرة والنشطة، وهذا وحده يوفر المعيار الموضوعي للحكم على الأخلاق في الوقت الحاضر، لا توجد أخلاق أعلى من تلك التي تعبير عن الصراع الطبقي للطبقة العاملة.

إذا أراد أولئك الذين يتحسرون على تدهور الأخلاق في المجتمع

الرأسمالي العثور على أمثلة على المبدأ الأخلاقي، فهذا هو المكان الذي يجب أن ينظروا إليه. إنهم لا يفعلون ذلك لأنهم يخجلون ويخافون.

أخلاقنا خاضعة تمامًا لمصالح الصراع الطبقي للبروليتاريا. أخلاقنا " مستمدة من مصالح الصراع الطبقي للبروليتاريا "، كتب لينين. ...

"الأخلاق هي التي تعمل على تدمير المجتمع القديم، وتوحيد جميع الكادحين حول البروليتاريا، التي تبني مجتمعًا شيوعيًا جديدًا. الأخلاق الشيوعية هي الأخلاق التي تخدم هذا النضال الذي يوحد الكادحين ...."

عندما يتم إلغاء العداوات الطبقية في المجتمع الاشتراكي والشيوعي، فإن الأخلاق تصبح إنسانية وليست أخلاق طبقية.

كتب إنجلز: «مع تحرك المجتمع حتى الآن في العداء الطبقي، كانت الأخلاق دائمًا أخلاقًا طبقية». "لقد بررت إما هيمنة ومصالح الطبقة الحاكمة أو بمجرد أن تصبح الطبقة المضطهدة قوية بما فيه الكفاية، فإنها تمثل التمرد ضد هذه الهيمنة والمصالح المستقبلية للمضطهدين.

أنه في هذه العملية كان هناك بشكل عام تقدم في الأخلاق... لا يمكن التشكيك فيه. لكننا لم نتجاوز بعد الأخلاق الطبقية. إن الأخلاق الإنسانية الحقيقية التي تتجاوز العداوات الطبقية وموروثاتها في الفكر تصبح ممكنة فقط في مرحلة من المجتمع لم تتغلب على " التناقضات الطبقية فحسب، بل نسيتها في الحياة العملية.

وتعبر هذه الأخلاق عن مبادئ وحدود العمل الحر في «جمعية تكون «فيها التنمية الحرة لكل منها شرطا للتنمية الحرة للجميع.

إنه مستنتج من لا شيء سوى معرفة المتطلبات البشرية وكيفية تلبيتها. وفي الظروف التي يكون فيها للناس سيطرة متعمدة وواعية على وسائل تلبية متطلباتهم، يكون هذا هو التعبير عن حريتهم والمبدأ الذي يوجه أنشطتهم الحرة. أخلاقيات نضال الحرية للطبقة العاملة، التي لا ترفض، بل تدمج كل ما هو إيجابي ودائم في التطور الأخلاقي الكامل للبشرية، وتهيئ الطريق وتضع الأساس على الرغم من أن الأخلاق البشرية غير موجودة بعد، ربما يمكننا تخمين بعض

خصائصها. إنها ليست عقائديًة، ولكنها علمية. إنها لا تشجع على الخوف من الذات والتذمر الأخلاقي د، ولكنها هادئة ومعقولة. بالنسبة لها، فإن السلوك الغير الأخلاقي هو مجرد سلوك معاد للمجتمع بسبب الضعف ونقص التعليم، وهدفه ليس المعاقبة، ولكن الإصلاح والتثقيف. إنه من جميع النواحي لطيف وإنساني، ويقدر فوق كل شيء التنمية الحرة والسعادة للفرد البشري.

يمكننا أن نستنتج أنه إذا كان علينا أن نعارض الفلسفة التي تقول إن الأخلاق مرسومة من السماء، فيجب علينا أيضًا أن نعارض الفلسفة، التي لا تقل شيوعًا اليوم في الأوساط البرجوازية، والتي تقول إن أحكام الخير والشر هي مجرد تعبيرات عن المواقف العاطفية ولا يمكن أن يكون لها أساس في الواقع. إذا سُئل الاشتراكيون، فلماذا تعتبرون هذا جيدًا وسيئًا، فلا يحتاجون إلى خطب وعظ ولا تجاهل فالأخلاق الاشتراكية تقوم على تقدير الظروف الحقيقية والمتطلبات الحقيقية للنضال الفعلي من أجل الحرية للبشرية.

خاتمة

لقد أكملنا الآن هذا التلخيص للأفكار الأساسية للفلسفة الماركسية،

حيث نظرنا في المجلدات الثلاثة إلى المادية والطريقة الجدلية،

والتصور المادي للتاريخ، ونظرية المعرفة. ما كنا ننظر فيه هو ببساطة الأفكار الأساسية التي وضعتها الماركسية وأنشأتها من خلال الدراسة العلمية والتطبيق العملي ليس كنظام كامل وعقائدي، ولكن كأساس وبداية. بيت القصيد من هذه الأفكار هو أنه يجب استخدامها وتطبيقها وتطويرها بشكل إبداعي في الطرح العلمي وحل العديد من المعضلات النظرية والعملية لزمننا.

إن وقتنا هو الوقت الذي لا يوسع فيه الناس تحكمهم في الطبيعة بشكل لا يقاس فحسب، بل يؤسسون أيضًا إتقانهم لتنظيمهم الاجتماعي. ستكون النتيجة أن الناس أنفسهم، من خلال قراراتهم الواعية والجماعية، سوف يتحكمون في حياتهم، ويفهمون تمامًا متطلباتهم الخاصة، ويمضون قدمًا لإشباعها. والأفكار الماركسية، لأنها مستمدة من الإنجازات العلمية والاجتماعية الكاملة للبشرية، تساعدنا على معالجة المشاكل التي تنشأ في هذه العملية. إنها الأفكار التي يجب توجيهها وخدمتها في بناء مجتمع شيوعي، أي في تحقيق

ظروف الوجود الإنسانية الحقيقية. ولذا فهي تمثل إنجازًا دائمًا للبشرية. وهناك من الأسباب ما يدعو إلى الاعتقاد بأن الاستخدام الإبداعي للأفكار الماركسية وزيادة تطويرها، مع المزيد من التقدم العلمي والاجتماعي، سيقربها أكثر من أي وقت مضى من الواقع ويجعلها أدوات أكثر فعالية من أي وقت مضى لتقدم البشرية. لكن المستقبل يجب أن يقاتل من أجله. وبعد الانتهاء من هذا الاستطلاع، سنختتم بالنظر في بعض المشاكل التي تواجهنا في تلك المعركة.

تعكس البنية الفوقية الأيديولوجية للمجتمع دائمًا الأساس الاقتصادي. وهكذا بشكل عام، فإن الفترات التي يرتفع فيها أساس جديد وتتشكل فيها فترات من الإنجازات الثقافية - لأفكار واكتشافات جديدة في جميع المجالات، تعبر عن الإنجازات والتطلعات والثقة بالنفس للطبقات الجديدة الصاعدة. ولكن عندما يتحلل الأساس

القديم ويسعى المدافعون عنه جاهدين للحفاظ عليه في الوجود، تحدث فترات من الانحلال والتفكك في الأفكار والثقافة.

لذلك، من الطبيعي أن تنعكس الأزمة العامة للرأسمالية في أزمة عامة للثقافة الرأسمالية في ارتباك وانحلال ويأس في جميع ميادين الأفكار والنشاط الثقافي. هذه الأزمة العامة ليست واحدة من الأزمات الاقتصادية المؤقتة للرأسمالية، والتي لها فقط آثار ثانوية ومؤقتة في الثقافة، ولكنها أزمة دائمة للنظام بأكمله، تمثل مخاض موت النظام. وفي الوقت نفسه، فإن الفترة الحالية ليست فترة انحطاط، لأنها، قبل كل شيء، فترة تقدم كبير، أعظم فترة في تاريخ البشرية. وبالنسبة لعناصر المجتمع الجديد، فإن الصراع مستمر بين الجديد والقديم، وقد رسخ المجتمع الجديد نفسه بالتأكيد وبشكل لا رجعة فيه.

إنها فترة صراع شديد. وهكذا فإن حالة الارتباك والانحلال التي دخلت فيها الثقافة الرأسمالية، من جانبها، ليست بأي حال من الأحوال حالة سلبية. وبوجه عام، فإن الهيكل الفوقي الأيديولوجي يخدم أساسه

بنشاط، واليوم أصبح هذا النشاط ملحوظا جدا بالفعل وأصبح جهدا محموما من الجميع وأي وسيلة للحفاظ على النظام المحتضر ودرء تقدم الاشتراكية.

من السمات المهمة للأزمة العامة للرأسمالية أن الطبقة الرأسمالية مدفوعة للعودة إلى الوراء والبدء في تقويض وتدمير إنجازاتها السابقة. وهكذا، على سبيل المثال، اعتادت الطبقة الرأسمالية الدفاع عن الديمقراطية لكنها تنقلب الآن ضدها. في الأصل، ناضلت البرجوازية من أجل الديمقراطية ضد الحكم الإقطاعي، لأنه من خلال المؤسسات الديمقراطية كان من الأفضل أن يأخذوا السلطة من الحكام السابقين ويصبحوا الحكام أنفسهم. وبعد ذلك تمكنوا من التنازل عن المكاسب الديمقراطية التي حققتها الطبقة العاملة، لأن الرأسمالية كانت لا تزال تتقدم وكانت قادرة على التأثير على الطبقة العاملة داخل النظام الديمقراطي. لكن الآن، في فترة الاحتكار الرأسمالي، أصبحت المؤسسات الديمقراطية عائقًا وخطرًا على حكم

المحتكرين بلا منازع. ومن هنا تأتي المساعي المتكررة لتقويض الحقوق الديمقراطية والاستعاضة عن الحكم الديمقراطي بالعنف الفاشي.

مرة أخرى، اعتادت الطبقة الرأسمالية الدفاع عن الكرامة الوطنية والاستقلال لكنها الآن تنقلب ضدها. لا يدوس الرأسماليون المحتكرون المعاصرون على حقوق الدول الأخرى فحسب، بل يخونون المصالح الحيوية لأمتهم، كل ذلك من أجل من أجل أرباحهم الخاصة.

على الرغم من أن المدافعين عن الرأسمالية يحاولون توضيح أنهم يتخلصون من التحيزات القديمة من أجل تبني أفكار جديدة، إلا أن هذا الانقلاب والخيانة لكل شيء إيجابي كان مرتبطًا بها لا يزال سمة مميزة لجميع الطبقة الرأسمالية الآن. وهذا ينطبق بالتساوي في مجال الأفكار والثقافة، في العلوم والفلسفة والفنون.

في الفن والأدب، على سبيل المثال، هناك تراجع عن الواقعية. لقد وقعت مهمة التصوير العميق للواقع ونقده في حالة من عدم الرضا. في العلوم، أعطت المهمة الإنسانية المتمثلة في زيادة المعرفة لزيادة القوة

الجماعية للانسان ورفاهيته مكانًا ل الاستعمال الشامل للعلم لأغراض عسكرية. في الفلسفة انتقل العالم الرأسمالية من التفاؤل إلى التشاؤم من فكرة أنه يمكننا اكتساب معرفة متزايدة بالواقع إلى فكرة أن هذه المعرفة مستحيلة، من فكرة أنه يمكننا تحسين ظروف حياتنا إلى فكرة أن التقدم وهم، ومن التقليد العادي المتمثل في حرية التحقيق والنقد لرجال الدين والسلطة والعقيدة. رجال الدين والرجعيون، الذين كانوا في السابق في موقف دفاعي، هم الآن في الهجوم، مستفيدين من حقيقة أن خصومهم السابقين أعلنوا أنهم عاجزون. تُترك ما يسمى بالفلسفة بدون حياة أو روح محتضرة في أواخر العصور الوسطى، والتي تحولت إلى مراوغة صغيرة، كانت حديقة خصبة مقارنة بعدم جدوى الفلسفة البرجوازية المعاصرة. في مجلات فلاسفة البرجوازية المحترفين اليوم، تم تضخيم هذه السمات ألف مرة، وأصبحت بديلاً لها عن أي استفسار إيجابي. وفلسفاتهم، إذ

تتراجع عن جميع الإنجازات السابقة، لا تقدم حلا مهما كان لأي من المشاكل العملية أو النظرية التي تواجه البشرية.

إن مهمة حركة الطبقة العاملة، هي قيادة الطريق لإنهاء المجتمع القديم وبناء مجتمع جديد، هي أيضًا الدفاع عن جميع الإنجازات الإيجابية للمجتمع القديم. الطبقة الرأسمالية نفسها تنقلب ضد كل شيء تقدمي تدين به البشرية للعصر الرأسمالي. مهمتنا هي تولي المسؤولية عن ذلك، وتأمينه كجزء من عملية بناء - الدفاع عن جميع .إنجازات الثقافة الإنسانية، والبناء عليها ودفعها إلى الأمام

إذا كان الحفاظ على الثقافة ومستقبلها، كما هو الحال في جميع الحضارات، في أيدي الطبقة العاملة، فإنه يترتب على ذلك أن قيادة الطبقة العاملة الجديرة بالاسم لا يمكنها إلا اتخاذ موقف مسؤول فيما يتعلق بالمسائل الثقافية، فيما يتعلق بالمسائل السياسية والاقتصادية. لدى حزب الطبقة العاملة بالضرورة، «خط حزبي»،

فيما يتعلق بالمسائل الثقافية وتتمثل مهمتنا دائمًا في الانتقال به إلى .مرحلة جديدة وأعلى

فالدفاع عن المؤسسات الديمقراطية والحقوق الديمقراطية، على سبيل المثال، يتطلب بناء تحالف شعبي واسع للغاية، يرسي الأساس لشكل أعلى من الديمقراطية، أي الديمقراطية الشعبية.

من أجل الدفاع عن استقلالنا الوطني وسيادتنا الوطنية، يجب أن نتقدم من القومية البرجوازية الضيقة إلى الأممية الاشتراكية، التي تعترف بالحقوق المتساوية لجميع الأمم وترسي حقوق كل منها على أساس المساواة والصداقة بين جميع الشعوب.

وإذ ندافع عن تراث الواقعية في الفن والأدب، فإننا نطور الواقعية الاشتراكية الجديدة، التي تعكس حقا تعدد جوانب وقوة الأفراد والارتباط الإنساني.

دفاعًا عن تراث العلم والاستفسار الحر والتقاليد الإنسانية، ندفع الاكتشاف العلمي إلى الأمام ونحرر العلوم من قيود السيطرة .الاحتكارية والأيديولوجية البرجوازية

الدفاع عن تراث الفلسفة، كسعي لفهم العالم ومكانة الإنسان ومصيره فيه، نتغلب على المفاهيم الميتافيزيقية والمثالية القديمة في الفلسفة وننقلها إلى مرحلة علمية جديدة، تستند بقوة إلى العلوم، وتضيء مشاكلنا وتظهر الطريق إلى الأمام.

في الواقع، تنطبق المهمة المزدوجة للدفاع والمضي قدمًا في كل مجال من مجالات صراع الطبقة العاملة. فيما يتعلق بالصراعات الصناعية، على سبيل المثال، ندعم المبادئ الأساسية للنقابات ونمضي بها قدمًا في معركة الاشتراكية، ونؤيد هدف حزب العمال القديم المتمثل في تأميم الصناعة ونقلها إلى الاشتراكية التأميم.

لدينا هذه المهمة في جميع مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية، لأن مهمتنا هي تغيير العالم وتهيئة ظروف حياة بشرية حقيقية، تنطوي على صراع في الفنون والعلوم والفلسفة، وكذلك في الاقتصاد والسياسة. أو قد نقول إن سياسات الطبقة العاملة، ونضال الطبقة العاملة للفوز بالسلطة وبناء الاشتراكية، تحتضن كل جانب من جوانب الحياة الاجتماعية.

أحد المظاهر الرئيسية للتأثير الرأسمالي في حركة الطبقة العاملة هو فكرة أن حركة الطبقة العاملة لا تحتاج إلى الفلسفة والثقافة، وليست قادرة على تطويرها، ولكنها قد تقبل قصاصات منها بشكل مستعمل مما يسمى الطبقات المتعلمة. ومع ذلك، ألم تهتم الطبقة العاملة بمثل هذه الأمور؟ على العكس من ذلك، فإن التراث التقدمي للبشرية كله ملك للشعب العامل، الذي يجب أن يستعد لتوليه. سوف يغزو العمال العالم. ومن ثم فإن كل شيء في العالم وكل ما اكتشفته البشرية أو خلقته، من أصغر جسيم في الذرة حتى ذروة

الثقافة، هو مصدر اهتمام للعمال. ومن ثم عليهم أن يخلقوا، ويخلقوا، الآلاف، ومئات الآلاف والملايين من الكوادر الجديدة من المناضلين، المجهزين بشكل كامل ليس فقط والخبرة العملية ولكن بمعرفة وثقافة واسعة.

كان النظام الاجتماعي القديم لاستغلال الإنسان من قبل الإنسان، وهو الثقافة القديمة للطبقات المستغلة، موجهًا من قبل أقلية صغيرة من المستغلين وشكلوه لخدمة أغراضهم. لكنهم لم يكونوا ليحققوا أي شيء لو لم تستمر بجهود وكدح الجماهير العاملة. والآن انتهى زمنهم. إن النظام الاجتماعي الجديد والثقافة الجديدة يتم إنشاؤهما وتوجيههما من قبل العمال أنفسهم، الذين كان عملهم دائمًا هو السبب الرئيسي للحياة الاجتماعية، وسيتجاوز بكثير القديم. فلسفتنا تجهزنا لمحاربة الرأسمالية وأيديولوجياتها، والاستيلاء على السلطة، وبناء المستقبل الاشتراكي السعيد والمجيد.